علم البيان

بين النظريات والأصول

الدكتور ديزيره سقال



علم البيان

بين النظريات والأصول



للطباعة و النشر

كورنيش سليم سلام ـ مقابل مخفر المصيطبه

بناية الشروق ـ الطابق الاول

ص.ب. ١٤/٥٠٧٠ ـ بيروت ـ لبنان

ت : ٠١/٣١١١١٤ ـ ٠١/٣١١١١٥ فاكس : ٣١٣٧٣١

الطبعة الاولى ١٩٩٧

للمؤلف

١ ـ في الشعر:

١ ـ رؤيا لتاريخ أبي عبدالله ـ ١٩٨٦ (نافد).

٢ ـ كتاب الشاهد ويليه كتاب ملوك الطوائف ـ ١٩٨٩.

٣ ـ كتاب إسماعيل ويليه كتاب بابل ـ ١٩٩١ (نافد).

٤ ـ كتاب العاشق ـ ١٩٩١ (نافد).

٥ ـ تجليات اللون ـ ١٩٩٤.

٢ ـ في الدراسات النقدية:

١ ـ بحوث إسلامية ـ ١٩٨٩ (نافد).

٢ ـ الصرف وعلم الأصوات ـ ١٩٩١ (طبعة أولى) و١٩٩٦ (طبعة ثانية).

٣ ـ حركة الحداثة ـ ١٩٩١ (طبعة أولى) و١٩٩٦ (طبعة ثانية).

٤ ـ الأرض الخراب والشعر العربي الحديث ـ ١٩٩٢.

٥ ـ الكتابة والخلق الفني ـ ١٩٩٣.

٦ ـ من الصورة إلى الفضاء الشعري ـ ١٩٩٣.

٧ ـ بحوث في الفلسفة ـ ١٩٩٣.

٨ ـ العرب في العصر الجاهلي ـ ١٩٩٥.

٩ ـ نشأة المعاجم العربية وتطورها ـ ١٩٩٥.

٣ ـ في النثر الفني:

- كتاب الراهبة المنسية ـ ١٩٩٦ .

٤ ـ كتب مدرسية للمؤلف:

١ ـ صناعة الإنشاء ـ ١٩٩٥.

٢ ـ المرشد المساعد في القراءة والأدب ـ ١٩٩٦.

٥ ـ كتب مدرسية مشتركة:

١ ـ الوافي في القواعد (للمرحلة المتوسطة) ـ ١٩٩٢.

٢ ـ الأدب في نصوصه المختارة ـ ١٩٩٦.

فهرس المحتويات

مقدمة

إن وضع كتاب جديد في علم البيان ليس ابتكاراً ولا شيئاً جديداً في مجال الأدب، لأن الكتب التي وضعت في هذا المجال كثيرة ومتنوعة.

ولكننا آثرنا في كتابنا هذا: «علم البيان بين النظريات والأصول» أن نتوخى الوضوح والتبسيط مع الدقة، في مجال العرض والشرح، وعدم الإطالة والدخول في تفاصيل لا تخدم غَرَضَنا الذي نتكلم عليه.

كما أننا حاولنا في آخر كل قسم من أقسام الكتاب أن نناقش قليلاً المنظورات المعروضة من خلال مفاهيم حديثة، لعلنا بذلك أن نلقي ضوءاً جديداً على عدد من المسائل، وأن ننظر في القديم نظرة جديدة.

ولقد قسمنا الكتاب ثلاثة أبواب، توزّعت كما يلي: الباب الأول بعنوان: «الفصاحة والبلاغة» عالجنا فيه مفاهيمهما وشروطهما ثم نظرنا إليهما من منظور جديد وقدمنا بعض الملاحظات. والباب الثاني بعنوان «علم المعاني»، تناولنا فيه هذا العلم المعقّد من علوم العربية، وقسمناه ثمانية فصول وملحقاً، تناولنا في الأول الخبر والإنشاء، وفي الثاني المسندَ إليه، وفي الثالث المسند، وفي الرابع أحوال متعلقات الفعل، وفي الخامس التقييد والإطلاق، وفي السادس القصر، وفي السابع الفصلَ والوصل، وفي الثامن الإيجازَ والإطنابَ والمساواة؛ وكل ما جاء في هذه الفصول أمور تناولتها العرب عبر العصور، وتعددت آراؤها فيها وتشعّبت، لأنها مسائل معقدة، وتحتاج إلى مباحثَ مطوّلة ونظر بعيد، وإلمام واسع باللغة ووسائل الكلام. وخصصنا ملحقاً بعد الفصل الثامن من هذا الباب بعنوان «الفكر واللغة وعلاقتهما بالنص»، حاولنا فيه أن نربط بين ما عرضنا من نظريات ومفاهيم تقليدية وبين النظريات اللسانية الحديثة، وأن نوضح العلاقة الحميمة بين التفكير الإنساني والتعبير، وبين المقام والمقال.

وفي الباب الثالث تناولنا «علم البيان» وهو من أهم العلوم الجمالية عند العرب، فقسمناه ستةَ فصول: الفصل الأول عنوانه «التشبيه»، تناولنا فيه هذا الركنَ البيانيّ على أنواعه؛ والفصل الثاني عنوانه «الاستعارة»، تناولناها فيه على أنواعها وعلاقاتها؛ والفصل الثالث عنوانه «المجاز المرسل»، عرضنا فيه لهذا الركن البياني ولعلاقاته وانماطه؛ والفصل الرابع عنوانه «المجاز العقلي»، تناولناه فيه، وعرضنا لأنواعه، بعد أن بَيّنا مكانه في العملية الإسنادية؛ والفصل الخامس عنوانه «الكناية» عالجنا فيه مسائلها وأنواعها وتفرّعاتها. وحاولنا في الفصل السادس، وعنوانه «الرمز والكتابة الفنية الحديثة» أن نشرح المفهوم الجمالي الحديث لعلاقات النثر والشعر، وأن نبيّن دور عملية الانحراف داخل النص في خلق المعاني الجمالية.

ولإنجاز عملنا هذا، عدنا إلى عدد من المراجع والمصادر، كان أبرزها كتاب «دلائل الإعجاز في علم المعاني» لعبد القاهر الجرجاني، وهو يعتبر بحق، من أغنى الكتب القديمة وأدقها في مجال علم المعاني ـ بل لا نغالي إذا قلنا إنه هو من وضع الاساس الصلب لها؛ وكتاب القزويني «التلخيص في علوم البلاغة» الذي حققه عبد الرحمن البرقوقي، حيث أفدنا كثيراً من تعليقات المحقق.

ومن الكتب المستحدثة التي عدنا إليها، واعتمدناها كثيراً في دراستنا هذه كتاب «جواهر البلاغة في المعاني والبيان البديع» لأحمد الهاشمي، وهو كتاب غنيّ بنماذجه وشروحه، وكذلك كتاب «كشف الغموض عن قواعد البلاغة والعروض» لياسين الأيوبي ومحيي الدين ديب.

وكان عرضنا يعتمد، عموماً، منهجاً وصفياً، لا بد منه في مثل هذه الدراسات، بل لا يمكن أن تقوم دراسة كهذه من غيره. إلا أننا، في فصول أخرى ـ ولا سيما حيث نربط الدراسات القديمة بالمفاهيم الحديثة ـ اعتمدنا منهجاً تحليلياً، كان مفيداً جداً في تناول أفكارنا.

وأخيراً، لا بد لنا من توجيه كلمة شكر للصديق الدكتور عصام نور الدين أستاذ اللغة في كلية الآداب ـ الفرع الأول لكل ما قدمه لنا من مساعدة، وإلى بعض الأمور التي لفتنا إليها. ونتمنى أن نكون قد قدمنا خدمة للقارئ العربي بهذا الكتاب الجديد.

ـ المؤلف ـ

الباب الأول

الفصاحة والبلاغة

تحديدات وشروط وتعليق

١ ـ التعريف بالفصاحة: جاء في اللسان: «الفصاحة: البَيان؛ فَصُحَ الرجل فصاحةً، فهو فصيح من قوم فُصَحَاءَ وفِصَاحٍ وفُصُحٍ... وامرأة فصيحة من نِسوةٍ فِصاحٍ وفصائح. تقول: رجل فصيح وكلامٌ فصيح؛ أي بليغ، ولسان فصيحٌ أي طَلْق. وأَفْصَحَ الرجلُ القولَ... وفَصُحَ الرجل وتَفَصَّحَ إذا كان عربيَّ اللّسانِ فازدادَ فصاحةً... وتفاصَحَ: تكلّفَ الفصاحةَ... والتفصُّح استعمال الفصاحة... فالفصيح (من الحيوان) كلُّ ناطقٍ، والأَعْجَمُ كلُّ مَا لا ينطقُ... والفصيحُ في كلام العامة المُعْرِب».[١] وتُطلقُ لفظةُ الفصاحة، أيضاً، على اللّبن؛ يقال أَفْصَحَ اللّبنُ: إذا ذهبَ اللِّبَأُ عنه، وفَصُحَ اللّبنُ إذا أخذت رَغْوَتُه،[٢] وتطلق كذلك على اليوم، فيقال: يومٌ مُفْصِحٌ، أي لا غيمَ فيه ولا بَرْد...[٣]

نستنتج من هذا الكلام أن صفة الفصاحة تطلقُ على عددٍ من المعاني، فإذا أردنا أن نعدّدها وجدناها تُطلقُ على الرجل والمرأة والكلام والحيوان (أي المخلوق الحيّ المتكلّم) وعلى اللبن واليوم، وقد عدّدنا كلَّ هذا. وتطلقُ، أيضاً، على الشّاةِ والناقة،[٤] وعلى

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، لا تاريخ، ٢/٥٤٤

(٢) الموضع نفسه

(٣) الموضع نفسه

(٤) يقال: أفصحت الشاةُ والناقةُ، أي: خَلُصَ لَبَنُها، وكذلك إذا انقطع لبؤها وجاء اللبن (الموضع نفسه).

البَوْل،[٥] وعلى الصبح.[٦] لكننا نجد صاحب اللسان يختصر كل ذلك بقوله: «وكلّ ما وَضَحَ، فقد أفصح. وكل واضح مُفْصِح».[٧]

نلاحظ أنّ معنى الوضوح هو الغالب على المادة اللغوية المذكورة. ففصاحةُ الكلام تعني إيضاحه؛ وفصاحةُ اللسان تعني قدرته على إبانة المعاني وإيضاحها؛ وفصاحةُ اللّبن تعني زوال اللبأ أو الرغوة عنه؛ وفصاحةُ النهار تعني صفاءَه، وكذلك فصاحة البول... من هنا نكاد نقول إنّ الدّلالة المادية لمعنى الفصاحة هي التي كانت أسبق إلى الشيوع، تلتها الدلالة المعنوية، وهي ما سنتكلم عليه بعد قليل، وذلك لأن المعاني المادية في اللغة تكون أسبق إلى الظهور من المعاني المجرّدة، فالعقلُ الإنسانيُّ ينمو من المادي إلى المجرد؛ لأنّه يكتسبُ الخبرة مع الأيام.

أمّا الفصاحةُ التي نتكلمُ عليها، ونريدُ أن ندرسها فأكثر ممّا ذكرنا؛ ولهم فيها آراء. يقول ابنُ الأثير في هذا: «إنّ اللفظَ الفصيحَ هو الظاهرُ البَيّنُ».[٨] ثم يقول في موضع آخر: «إنّ الكلامَ الفصيحَ هو الظاهر البَيّنُ، وأعني بالظاهر البيّن أن تكون ألفاظُهُ مفهومةً لا يُحتاجُ في فهمها إلى استخراج من كتب اللغة... وإنّما كانت مألوفةَ الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرةً في كلامهم، وإنّما كانت مألوفةَ الاستعمال دائرةً في الكلام دون غيرها من الألفاظ لمكان حسنها... فالفصيحُ، إذاً، من الألفاظ هو الحسن».[٩] ويوضح أكثر، فيقول: «ثبت أنّ الفصيحَ من الألفاظ هو الظاهرُ البَيّنُ، وإنّما كانَ ظاهراً بَيّناً لأنّه مألوفُ الاستعمال لمكان حسنه، وحسْنُهُ مُدْرَكٌ بالسَّمْعِ، والذي يُدْرَكُ بالسَّمع إنّما هو اللفظُ»...[١٠] ويضيف إليه حسن المعنى أيضاً وبعده عن

---

(٥) يقال: أفصح البولُ إذا صفا (الموضع نفسه).

(٦) يقال: أفصح الصبح أذا ظهر ضوؤه ولاح (الموضع نفسه).

(٧) الموضع نفسه

(٨) ابن الأثير، المثل السائر، صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٩٠، ١/٨٠

(٩) المصدر نفسه، ١/٨١

(١٠) المصدر نفسه، ١/٨٢

الإبهام...[11] وقال الجاحظ كلاماً قريباً من هذا: «وأحسنُ الكلام ما كانَ قليلُهُ يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان اللهُ عزَّ وجلَّ قد ألبسه من الجلالة وغشّاه من نور الحكمة على حَسَب نية صاحبه وتَقْوَى قائِلِهِ. فإذا كان المعنى شريفاً، واللفظُ بليغاً، وكان صحيحَ الطّبع، بعيداً من الاستِكراه، ومنزّهاً عن الاختلال، مصوناً عن التكلّف، صَنَعَ في القلب صنيعَ الغيثِ في التربةِ الكريمةِ. ومتى فصلت الكلمةُ عن هذه الشريطة، ونفذتْ من قائلها على هذه الصِّفة، أَصْحَبَها اللهُ من التوفيق، ومَنَحَها من التأييد ما لا يمتنعُ من تعظيمها به صدورُ الجبابرة، ولا يذهَل عن فهمها عقولُ الجَهَلَة».[12] ومعنى هذا أن الجاحظ يشترط في الكلام الحسن الإيجاز والوضوح، وشرف المعنى واللفظ، والبعد عن التكلّف والاختلال. ويقول الجرجاني محدداً معنى حسن الكلام: «ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها... غير وصف الكلام بحسن الدلالة، وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرّجها في صورة هي أبهى وأزين، وآنق وأعجب، وأحق بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب... ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، ويختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلاً، ويظهر فيه مزية».[13] أي أن الكلام الجيد يجب أن يكون حسن الدلالة، مزيَّناً، أنيقاً، يستميل القلوب، ويؤدي المعنى جيداً بلفظ جيد مناسب.

ويربط أبو هلال العسكري الفصاحة بالإيضاح والإبانة. يقول: «فأما الفصاحة فقد قال قوم إنها من قولهم أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره، والشاهد على أنها هي الإظهار قول العرب: أفصح الصبح إذا أضاء، وأفصح اللبن إذا انجلت عنه رغوته. فظهر وفصح أيضاً، وأفصح الأعجمي إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين، وفصح اللحان إذا

---

(١١) المصدر نفسه، ٨٢/١ - ٨٤

(١٢) الجاحظ، البيان والتبيين، الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٦٨، ص ٥٨

(١٣) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، بيروت دار المعرفة، ١٩٧٨، ص ٣٥

عبر عما في نفسه وأظهره على جهة الصواب دون الخطأ».[١٤] وهي «تمام آلَة البيان».[١٥] وهي تتضمن اللفظ فقط دون المعنى.[١٦]

يتحصّل لنا من كل هذا أن الفصاحة ميزة من ميزات اللفظة لا من ميزات النص، وأن هدفها الإيضاح، وأن لها مقاييسَ وشروطاً خاصة بها سنتوقف عندها في ما يلي.

٢ ـ مقاييس الفصاحة وشروطها: الفصاحة، في علم المعاني، هي استعمال الألفاظ البيّنة، المتبادرة إلى الفهم، المأنوسة الاستعمال.[١٧] فمدار الفصاحة في اللفظة كثرة استعمال العرب لها، وظهورها وبيانها في أصل الوضع اللغوي. واللفظ الفصيح هو الظاهر البيّن الجميل، يألفه السامع من غير أن تنكره الآذان أو تمجّه الأذواق. وجعل علماء العرب للكلام ضوابط يُعْرَف بها لتقادم العهد بزمان العرب، لأن كل أحد لا يقدر أن يعرف ما كثر استعماله عندهم. فحددوا الفصاحة في المفرد والفصاحة في المركب.

٢ ـ أ ـ فصاحة المفرد: يشترط في المفرد ليكون فصيحاً، جملة أشياء، منها:

١ ـ أن يكون خالياً من تنافر الحروف. والمقصود بتنافر الحروف ثقلها في تركيب الكلمة على اللسان. «والحكَم في هذا هو «الذوق السليم الذي يثمر التحفظ لكلام العرب، ومزاولة أساليب البلغاء».[١٨] فلا حظٌّ للفصاحة في لفظة «هُعْخُع»، مثلاً، في قوله: تركتُ ناقتي ترعى الهعخُع،[١٩] لأن تركيبها اللفظي تكثر فيه الحروف الحلقية، ما

---

(١٤) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٩، ص ١٦

(١٥) الموضع نفسه

(١٦) المصدر نفسه، ص ١٧

(١٧) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١٢، ص ٧

(١٨) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، بيروت: دار الكتاب العربي، لا تاريخ، ص ٢٤ ـ ٢٥

(١٩) الهُعْخُع: العشب ترعاه الإبل

يجعل مخرج الحروف متقارباً جداً، والتلفّظ بها صعباً. وكذلك الأمر في لفظة «مستشزرات» في بيت امرئ القيس:

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلى العُلَى

تَضِلُّ العِقَاصُ في مُثَنًّى وَمُرْسَلِ

ومن هذا القبيل أيضاً أن نستعمل كلمة «النقاخ» بمعنى الماء العذب الصافي في كلامنا، فأحرفها ثقيلة، مستهجنة.

ونبادر هنا إلى القول إن هناك نوعين من الثقل: الأول شديد، كلفظة «هُعْخُع» السالفة الذكر، والثاني خفيف، كلفظة «مستشزرات»، أو كلفظة «نقنقة».

٢ ـ أن يكون خالصاً من غرابة الاستعمال: ونقصد بالغرابة أن يكون اللفظ غير مألوف في الاستعمال، ومعناه غير ظاهر.[٢٠] والقياس في هذا فصحاء العرب.[٢١]

والغرابة نوعان: النوع الأول منها إذا جاء في الجملة أوقع السامع في حيرة، فلم يفهم المعنى، واستغلق عليه المُراد من الكلام. ومن هذا قول الشاعر رؤبة بن العجاج:

وَمُقْلَةً وَحَاجِباً مُزَجَّجاً وَفَاحِماً ومُرْسِناً مُسَرَّجَا

فالحاجب المزجج هو ما كان دقيقاً، طويلاً، والفاحِم هو الشعر الشديد السواد وقد أُخِذَ لونه من الفحم. أما المُرْسِن فله أكثر من معنى؛ فإن فتحتَ الميم وكسرت السين، أو كسرتَ الميم وفتحت السين جاء المعنى لامعاً كالسراج، أو مصقولاً ومحدودباً كالسيف المنسوب إلى سريج الذي تنسب إليه السيوف الدقيقة المستوية. والغرابة هي في لفظة «مرسناً» صفةً للأنف أهو مُسْتَوٍ ودقيق، أم لامع كالسراج، أم أنه مأخوذ من الحبل يُشَدّ على أنف البعير (الرَّسَن)؟.

ومن هذا القبيل أيضاً قول الشاعر:

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ

يَوْمُ الرحيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ

---

(٢٠) المصدر نفسه، ص ٢٥

(٢١) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٩

وهنا الغرابة في قوله «ما لم أَفْعَل» (أي في الفعل) لأننا لا نعرف المقصود: أهو بكاؤه على رحيلهم، أم بحثه عنهم، أم منعهم من الرحيل، أم أي شيء آخر؟

والنوع الثاني من الغرابة أن يورد المتكلم لفظة صعبة نحتاج إلى البحث عنها في بطون المعاجم المختصة. ومن هذا قول عيسى بن عمرو النحوي: «ما لكم تكأكأتم عليّ كتكأكئكم على ذي جنّة؟ افرنقعوا عني».[٢٢] فلفظة تكأكأ غير مستعملة، ونحتاج إلى البحث عنها في المعاجم. وكذلك لفظة «الجِرِشّى» أي النفس في قول المتنبي:

مُبَارَكُ الاسْمِ أَغَرُّ اللَّقَبْ كَرِيمُ الجِرِشَّى شَرِيفُ النَسَبْ

وقد تكون اللفظة غريبة إلى حدّ أنك لا تقع على تفسير لها حتى في المعاجم. كقول أبي الهميسع:

مِنْ طَمحَةٍ صَبِيرُها جَحْلَنْجعٌ لَمْ يَحْضها الجَدْوَلُ بِالتنَوُّعِ

فلفظة «جحلنجع» لا تقع عليها في اللغة.

٣ ـ **أن يكون خالياً من مخالفة القياس اللغوي**: ومعنى هذا أن تكون الكلمة شاذة تخالف قانون اللغة الصحيح، ولا سيما الصرفيّ هنا. وهذا كما في قول المتنبي:

فَلا يُبْرَمُ الأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ
وَلاَ يَحْلُلِ الأَمْرُ الَّذِي هُوَ يُبْرَمُ

فالمخالفة، في هذا البيت واقعة في لفظة «حَالِلٌ»، وهي اسم فاعل من فعل حَلَّ المضاعف. ومن المعروف أن اسم الفاعل المشتق على فاعل من الثلاثي المضاعف يأتي مضاعفاً أيضاً، فنقول في حَلَّ حَالٌّ، وفي رَدَّ رادٌّ، وفي شَمَّ شامٌّ... ولكن الشاعر قد فكّ الإدغام ضرورةً، فقال «حالِلٌ» بدل حـالٌّ، وهو من الجوازات المكروهة كما يقولون... وربما فعل المتنبي ذلك ليُشعر سامعه أنه يعلم بالضرورات...

ومن مخالفة القياس اللغوي قول المتنبي أيضاً:

فَإِنْ يَكُ بَعْضُ النَاسِ سَيْفاً لِدَوْلَةٍ
فَفِي النَاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطُبُولُ

---

(٢٢) المرجع نفسه، ١٠ ـ ١١، وقارن: أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص ٣٧

فقد جمع الشاعر بوق على «بوقات»، وجمعها: أبواق. وهذا لا يطعن في جمع المتنبي، بل يضعفه، لأن الجمع بألف وتاء ـ أو ما يدعوه بعضهم الجمع المؤنث السالم ـ هو جمع قياسي. وذلك لأن «في النحو العربي موسيقى يدركها كل ذي ذوق رفيع، وإن في صيغ مفردات اللغة العربية رنة حلوة وعذبة، والخطأ في النحو والصرف شبيه بوقوع العازف في النشاز يدركه صاحب الأذن الموسيقية والإحساس المرهف».[٢٣]

ومن هذا النشاز وهذه المخالفات قول أبي النجم في بعض أراجيزه:

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الأَجْلَلِ   أَلْوَاحِدِ الْفَرْدِ الْقَدِيمِ الأَوَّلِ

فقد جاء بالصفة المشبهة «أَجْلَل»، وقياسها أَجَلّ لأنها مأخوذة من فعل جَلّ وهو مضاعف الآخر، ولا يجوز للشاعر أن يفك الإدغام إلاّ للضرورات المكروهة كما قدّمنا.

٤ ـ أن يكون بعيداً عن الابتذال: أي ألاّ يكون لفظاً من الألفاظ التي غيّرتها العامة فصارت مشوّهة المعنى، ومعناها عند العرب غير ذلك، كأن تستعمل لفظة «بهلول» بمعنى أحمق، وهي، في الأصل تعني العزيز الجامع لكل خير؛ وقد يكون الابتذال في استعمال كلمات عامية في سياق الكلام بالفصحى من غير مبرر، كاستعمالك لفظة «باس» محل لفظة «قَبَّل» أو «لَثَمَ».

ولكننا نلفت هنا إلى أن الابتذال ليس صفة ملازمة للّفظة، بل يلحقها بحسب الاستعمال في زمان دون زمان، وفي مكان دون مكان، فقد تكون اللفظة مبتذلةً قديماً، ولكنها صالحة اليوم.

ونلفت أخيراً أن بعض هذه النقاط ربما اختلف في سياق الكلام وتحوّل من عدم الفصاحة إلى الفصاحة، كأن تكون اللفظة، في الأساس غير صالحة للاستعمال في الكلام العادي، لأنها غريبة ومتنافرة مثلاً، ثم تصير، حيث استعملت، كأنما نُزّلت في مكانها تنزيلاً فلم تعد قادراً على تغييرها، لأنها تعبّر جيداً عن المعنى الذي يرمي إليه المتكلم، كقول المتنبي في هجاء كافور وأهل مصر:

وَإِنَّ ذَا الأَسْوَدَ الْمَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ

تُطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطُ الرَّعَادِيدُ

---

(٢٣) أحمد محمد فارس، الكتابة والتعبير، بيروت: دار الفكر اللبناني، ط ٣، ١٩٨٩، ص ١٧١

فهو، إذ أراد أن يسخر من أهل مصر، استعمل لفظة «عضاريط» وهي لفظة مضحكة حيث وقعت، على غرابتها، فجاءت معبّرة بصورة جيدة عن المعنى المقصود وهو الجبن وحِطّة الشأن، فلم تعد نافرة في هذا الموضع، واستمدت من هذا الواقع فصاحتها.

٢ ـ ب ـ فصاحة المركّب: يقول عبد القاهر الجرجاني: «وهل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلاّ وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ وهل قالوا: لفظة متمكنة ومقبولة، وفي خلافه: لفظة قلقة ونابية، ومستكرهة، إلا وغرضهم أن يعبّروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهما، وبالقلق والنبوّ عن سوء التلاؤم، وأن الأولى لم تَلقِ بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لِفْقاً[٢٤] للتالية في مؤدّاها؟»[٢٥] ومعنى كلام الجرجاني هنا أن الكلمة لا تقاس فصاحتها بمعزل عن التركيب، بل داخله. فإذا رَكَّبْتَ مجموعة من الكلمات صار النظر في فصاحة كلماته يفترض أيضاً النظر في فصاحة جمعها، لأن اللفظة قد تكون فصيحة إذا كانت خارجة، ولكنها، عند جمعها مع أخواتها، تصير نافرة، لا تتلاءم وما يجاورها. فما هي الشروط التي يفترض أن تكون متوفّرة في التركيب لِيُقَالَ إنه فصيح؟

١ ـ خلوّه من تنافر الألفاظ: قد تكون كلمات المركَّب فصيحة إذا نُظِرَ إليها كلاً على حِدَة، ولكنكَ عند جمعها وقراءتها في المواضع التي جعلتْ تجدها متنافرة، نابية. كقول أحد الجن من الهاتفين صاح على حرب بن أمية فقتله:

وَقَـبْـرُ حَـرْبٍ بِمَـكَـانٍ قَـفْـرُ ... وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ[٢٦]

فالألفاظ التي جاءت في هذا البيت، إذا نُظر إلى كل لفظة منها بمعزل عن

---

(٢٤) اللفق: الشقة من شقتي الملاءة، وهما لفقان ما دام أنهما يتضامنان فإذا فتقت خياطة الملاءة لا يسميان لفقين. ويراد أيضاً باللفقين الصاحبان المتلازمان، وكذلك المصنّف في الكلمتين المتناسبتين.

(٢٥) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٦.

(٢٦) قيل إن أحداً لا يستطيع التلفظ بهذا البيت ثلاث مرات متتالية من غير أن يخطئ لتنافر حروفه (أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٢٢).

الأخرى قيل إنها فصيحة، ولكنها هنا، في هذه المجاورة، صار فيها خلل لفظي ناتج عن تجاور الحروف التي تنافرت بهذا الشكل، ولا سيما القاف والباء والراء. ولهذا نقول إنَّ المركّب ليس فصيحاً.

وتنافر الألفاظ في المركب نوعان: الأول ثقيل جداً، يجعل التلفّظ به صعباً جداً، كقول الشاعر:

أَشْكُوكَ كُوكَكَ كَيْ يَنْفَكَّ عَنْ كَتَفِي وَلاَ يُنِيخُ عَلَى الرُّكَّابِ كَلْكَلَهُ

فإن تتابع الكافات في هذه الكلمات جعل الكلام شديد الثقل، صعباً.

والنوع الثاني خفيف، كقول أبي تمام:

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالْوَرَى

مَعِي: وَإِذَا مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي

فإن سبب التنافر هنا هو تكرار لفظة «أَمْدَحْهُ».

التنافر، إذاً، مردّه إلى تتابع الحروف تتابعاً غير ملائم داخل التركيب، يجعل التلفظ به عسيراً. تأمل الأبيات التالية: قال الأعشى:

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الحَانُوتِ يَتْبَعُني

شاوٍ مُشِلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

وقال آخر:

لَكَ الْخَيْرُ غَيْرِي رَامَ من غَيْرِكَ الْغِنَى

وَغَيْرِي بِغَيْرِ اللاَّذِقِيَّةِ لاَحِقُ

وقال المتنبي:

وَقَلْقَلْتُ بِالْهَمِّ الذي قَلْقَلَ الْحَشَا

قَلاَقِلُ هَمٍّ كُلُّهُنَّ قَلاَقِلُ

تجدْ في البيت الأول تكرار الشين واللام يسبب ثقلاً، وفي البيت الثاني تكرار الغين والياء والراء، وفي البيت الثالث تكرار القاف واللام.

٢ ـ **خلوّه من ضعف التأليف:** والمقصود بضعف التأليف أن يخالف المركب أصول نحو النحاة. كقول المتنبي:

خَلَتِ الْبِلاَدُ مِنَ الْغَزَالَةِ لَيْلَهَا
فَأَعَاضَهَاكَ اللَّهُ كَيْلاَ تَحْزَنَا

فالشاعر خالف القياس اللغوي في لفظة «أعاضهاك» لأنه قدَّم الضمير الأقل شهرة، وهو الهاء العائدة إلى البلاد على الضمير الأكثر شهرة، وهو الكاف العائدة إلى الممدوح، وكان أحرى به أن يقول: فأعاضكَ اللهُ إيّاها، أو فأعاضَكَهَا، لكن الضرورة الشعرية جعلته يقلب موضع الضميرين حسب رأي سيبويه، ولكنّ أبا العباس المبرّد أجاز قبل المتنبي مثل هذا التركيب... ونحن نظن أنّ المتنبي كان يستعمل هذه التراكيب ليثبت معرفته بلغات العرب وبأقوال النحاة وليثير حول شعره التساؤلات... وليوقع بخصومه الذين قد لا يعرفون ما كان يعرفه.

ومن هذا القبيل أيضاً قول الشاعر:

لَمَّا رَأَى طَالِبُوهُ مُصْعَباً ذُعِرُوا
وَكَادَ لَوْ سَاعَدَ الْمَقْدُورُ يَنْتَصِرُ

فقد قدّم هنا الهاء في «طالبوه» على «مصعباً»، وفي العربية لا يتقدم الضمير على صاحبه.

٣ ـ **خلوّه من التعقيد:** ويكون التعقيد بسبب تقليب في التركيب يؤدي إلى صعوبة فهم المعنى المقصود، كقول المتنبي:

جَفَخَتْ وَهُمْ لاَ يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ
شِيَمٌ عَلَى الحَسَبِ الأَغَرِّ دَلاَئِلُ

فترتيب الكلمات في هذا البيت أدى إلى عدم فهمه، لأنه أخّر الجارّ والمجرور «بِهِمْ»، والمقصود جَفَخَتْ (أي فخرت) بهم وهم لا يجفخون بها. فهذا تعقيد لفظي.

ومن هذا التعقيد أيضاً قول الفرزدق يمدح إبراهيم بن إسماعيل خال هشام بن عبد الملك:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَاسِ إلاَّ مُمَلَّكاً
أَبُـو أُمِّـهِ حَـيٌّ أَبُـوهُ يُـقَـارِبُـهْ

فقد قدّم هنا المستثنى على المستثنى منه وفصل «مثل» عن «حيّ» (مثله حيّ)، وبين المبتدأ والخبر (أبوه أبو أمه). وترتيب البيت: وما مثله في الناس حيّ يقاربه إلا مملّكاً أبوه أبو أمه، والمعنى أن إبراهيم ليس بين الناس من يشبهه في فضائله إلا ابن أخته هشام. فتغيير مواقع الكلمات هنا جعل البيت أحجية غايةً في التعقيد.

ومن التعقيد أيضاً ما هو معنوي ليس مردّه تقليب الكلمات ومواقعها بل استعمال كلمة لا تربطها قرينة بالسياق العام، أو لم تستعملها العرب كذلك. كقول العباس بن الأحنف:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدارِ عَنْكُم لِتَقْرُبُوا
وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُمُوعَ لِتَجْمُدَا

والتعقيد في لفظة «تجمد» هنا، فسكب الدموع كناية عن الحزن جيد، إلا أن جمود العين مبهم غامض. فالشاعر أراد به ما يسببه التلاقي من فرح وسرور لقرب الأحبة، لكن العرب كَنّت بجمود العين عن حالة الحزن، ما جعل المعنى مستغلقاً على الفهم. ذلك لأن هدف الكلام، عند العرب، هو الإبانة والإفصاح، فإذا استغلق على الفهم ولم يوضح لم يعتبر فصيحاً.

٤ ـ **خلوّه من التكرار**: ويكون التكرار على أنواع؛ فمنها تكرار الأسماء، كقول الشاعر:

إِنِّي وَأَسْطَارٌ سُطِرْنَ سَطْرا   لَقَائِلٌ: يا نَصْرُ نَصْرٌ نَصْرا

فقد كرر لفظة «نصر» ثلاث مرات حشواً ولا داعي لذلك إلا أن يكمل البيت فجاء مخلاً بالفصاحة.

ومن التكرار تكرار الصفات، كقول المتنبي:

دَانٍ بَعِيدٍ مُحِبٌّ مُبْغِضٍ بَهِجٍ   أَغَرَّ حُلْوٍ مُمِرٌّ لَيِّنٍ شَرِسٍ

فالبيت مركب من مجموعة صفات، وهذا مكروه في اللغة. أما إذا تكررت الصفات مفصولة عن بعضها بالمضاف إليه فالكلام حسن، كقولنا: «كان زيدٌ رجلاً طويلَ القامة، عريضَ المنكبين، دمثَ الأخلاقِ، خفيف الظلِّ، كثيرَ الرمادِ، طلقَ اللسانِ»...

ومن التكرار تكرار الأفعال، كقول الشاعر:

لَوْ كُنْتَ كُنْتَ كتَمْتَ السِرَّ كُنْتَ كَمَا
كُنَّا وَكُنْتَ وَلَكِنْ ذاكَ لَمْ يَكُنِ

فقد كرر هنا «كنت» (الفعل كان) ست مرات. ومن هذا النوع أيضاً قول المتنبي:

أَقِلْ أَنِلْ أَقْطِعِ اجْمِلْ عَلِّ سَلِّ عِدِ
زِدْ هِشَّ بِشَّ تَفَضَّلَ ادْنِ سُرَّ صِلِ

فالبيت ليس فيه سوى مجموعة من الأفعال ذكرها مادحاً سيف الدولة.(٢٧)

وكذلك فَعَل أبو العُمَيْثِل حين قال:

أُصْدُقْ وَعِفَّ وبِرَّ وَاصْبِرْ وَاحْتَمِلْ
وَاحْلُمْ وَدَارِ وَكَافِ وَابْذِلْ وَاشْجَعِ

---

(٢٧) رووا أن المتنبي لما أنشد هذا البيت وجدهم يعدّون ألفاظه، فقال وزاد فيه:

أَقِلْ أَنِلْ أُنْ صُنِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ
زِدْ هِشَّ بِشَّ هَبِ اغْفِرْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ

فرآهم قد استكثروا الحروف، فقال:

عِشِ ابْقِ اسْمُ قُدْ جُدْ مُرِ انْهَ رِقِ اسْرِ نَلْ
غِظِ ارْمِ صِبِ احْمِ اغْزُ اسْبِ رُعْ زَعْ دِلِ اثْنِ نُلْ

وَهَذَا دُعَاءٌ لَوْ سَكَتُّ كُفِيتُهُ لأَنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ فِيكَ وَقَدْ فَعَلْ

(عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٠، ٣/ ٢١٢ - ٢١٣)

ومن التكرار تكرار أحرف الجر، كقول المتنبي:

وَتُسْعِدُني فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سَبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ

وكقول أبي تمام:

كَأَنَّهُ فِي اجْتِمَاعِ الرُّوحِ فِيهِ لَهُ

فِي كُلِّ جَارِحَةٍ من جِسْمِهِ رُوحُ

ففي كل بيت من هذين البيتين تتتابع ثلاثة أحرف جر، في الأول «لها منها عليها»، وفي الثاني «فيه له في»؛ وهذا مخلّ بالفصاحة.

ومن التكرار أيضاً تكرار الإضافات، أي تتابعها، كقول ابن بابك:

حَمَامَةَ جَرْعَى حَوْمَةِ الجَنْدَلِ اسْجَعِي

فَأَنْتِ بِمَرْأًى مِنْ سُعَادَ وَمَسْمَعِ

فقد تتالت في هذا البيت ثلاث إضافات: «جرعى» إلى «حمامة»، و«حومة» إلى «جرعى»، و«الجندل» إلى «حومة». أما إذا انفصلت الإضافات عن بعضها فالكلام فصيح، وهذا مشابه لما أوردنا في معرض كلامنا على تكرار النعوت.

نشير هنا إلى أن بعضهم اشترط، لكي يكون الكلام فصيحاً، أن تجتمع فيه، إلى جانب ما ذكرنا، صفات الجزالة والفخامة، وإلا لم يكن فصيحاً. قال أبو هلال العسكري: «وشهدت قوماً يذهبون إلى أن الكلام لا يسمّى فصيحاً حتى يجمع مع هذه النعوت فَخَامَةً وشدّة جزالة فيكون مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ألاَ إنَّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»... وإذا كان الكلامُ يجمع نعوت الجودة ولم يكن فيه فخامة وفضل جزالة سُمّي بليغاً ولم يُسَمَّ فصيحاً»[28].

٣ ـ البلاغة: اختلفت آراء العرب في البلاغة، ولكنها بقيت، في كل هذه الآراء محطة أساسية في صناعة الكلام.

---

(٢٨) العسكري، كتاب الصناعتين، ص ١٧

والبلاغة، في اللغة، هي الوصول والانتهاء. قال اللسان: «بَلَغَ الشيءُ... وصل وانتهى... وتبلَّغَ بالشيء: وصل إلى مُراده... والبلاغة: الكفاية».[٢٩] وقال: «والبلاغة: الفصاحة... ورجل بليغ وبَلْغ وبِلْغ: حَسَنُ الكلام فصيحُهُ يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه، والجمع بُلَغاء، وقد بَلُغَ، بالضم، بلاغةً أي صار بليغاً».[٣٠]

نفهم من هذا الكلام أن للبلاغة علاقةً بالفصاحة، وأنها تكون في العبارة التي تُحْسِن الإبلاغ والإيصال، وهي ليست في الكلمة المفردة بدليل قوله: «يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه».

نستنتج من هذا أن البلاغة تكون في العبارة والجملة، ولا تكون في الكلمة المفردة.[٣١] وهي تفترض فصاحة المفرد والمركّب، وحسنَ إيصالهما للمعنى، والكشف عنه. فكأن البلاغة هي البلوغُ الذي يعبّر عن نفسه بالإبلاغ.

٤ ـ **آراء العرب في البلاغة**: قلنا إن العرب اختلفت آراؤهم في البلاغة وتشعّبت. وسنحاول أن نتوقف عند بعضها مما يمكن أن يلقي لنا ضوءاً على تعدد هذه المعاني.

قال العسكري: «البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعنى حسن... على أن من شرط البلاغة أن يكون المعنى مفهوماً واللفظ مقبولاً»،[٣٢] أي إنها «إيضاح المعنى وتحسين اللفظ».[٣٣] ورأى بعض الحكماء أنها «تصحيح الأقسام واختيار الكلام».[٣٤] ورأى محمد بن الحنفية أنها

---

(٢٩) ابن منظور، لسان العرب، ٨/٤١٩

(٣٠) المصدر نفسه، ٨/٤٢٠

(٣١) يقول أبو هلال العسكري: «الفصاحة تتضمن اللفظ والبلاغة تتناول المعنى». (كتاب الصناعتين، ص ١٧).

(٣٢) المصدر نفسه، ص ١٩

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٢١

(٣٤) الموضع نفسه

«قول تضطر العقول إلى فهمه بأسهل العبارة»؛[٣٥] وهذا أمر لافت لأنه يفترض سهولة اللفظ والبعد عن التنقيح.

وقال ابن المقفع: «البلاغة اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة، منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً، ومنها ما يكون خطبا. وربما كانت رسائل: فعامّة ما يكون من هذه الأبواب فالوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ، والإيجاز هو البلاغة».[٣٦] وهذه نقطة مهمة أضافها ابن المقفع عندما ربطها بالإيجاز والإيحاء والإشارة، فأخرج ما هو إطالة أو مساواة من باب الكلام البليغ.

وقال الهندي: «البلاغة وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة».[٣٧] ورأى عبيد الله بن عتبة أن «البلاغة دنو المأخذ، وقرع الحجة، وقليل من كثير».[٣٨] ورأى حكيم الهند أن: «أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة: وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، متخيّر اللفظ، لا يكلم سيّد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قواه التصرّف في كل طبقة، ولا يدقّق المعاني كل التدقيق، ولا ينقّح الألفاظ كل التنقيح، ويصفيها كل التصفية، ويهذبها كل التهذيب...»[٣٩] ومعنى ذلك أنه يجعل في البلاغة شرطاً أن يكون لكل مقام مقال، وأن يبتعد المتكلم عن الزخارف ويجري كلامه مجرى البساطة.

وقال الإمام علي: «البلاغة ايضاح الملتبسات، وكشف عوار الجهالات بأسهل ما يكون من العبارات».[٤٠]

---

(٣٥) الموضع نفسه

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٢٣

(٣٧) المصدر نفسه، ص ٢٥

(٣٨) الموضع نفسه. وقارن: ابن المعتز، كتاب البديع، بيروت: دار المسيرة، ط ٢، ١٩٧٩، ص ٦

(٣٩) المصدر الأول نفسه، ص ٢٩. وقارن: الجاحظ، البيان والتبيين، ص ٦٤

(٤٠) المصدر الأول نفسه، ص ٦٣

ويعرف ابن الأثير البلاغة تعبيراً شائقاً، فهو يقول: «وسمي الكلام بليغاً من ذلك، أي أنه قد بلغ الأوصاف اللفظية والمعنوية. والبلاغة شاملة للألفاظ والمعاني، وهي أخص من الفصاحة، كالإنسان من الحيوان، فكل إنسان حيوان، وليس كل حيوان إنساناً، وكذلك يقال: كل كلام بليغ فصيح، وليس كل كلام فصيح بليغاً».[٤١]

أما الرمّاني، فيعرّف البلاغة بقوله إنها «إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ»؛[٤٢] ويجعلها عشرة أقسام، هي: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان.[٤٣]

وكان الجاحظ يروي قولاً زعم أنه يستحسنه في البلاغة: «يكفي من خط البلاغة أن لا يؤتى السامعُ من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع».[٤٤] ومعنى ذلك أن الإفهام والإيضاح هما هدف البلاغة.

ورأى عمرو بن عبيد أنها تحبير الألفاظ في أحسن إفهام، و«أنك إن أردت تقرير حجة الله في عقول المتكلمين وتخفيف المؤونة على المستمعين وتزيين المعاني في قلوب المستفهمين بالألفاظ الحسنة رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الناطقة عن الكتاب والسنّة كنتَ قد أوتيتَ فصل الخطاب».[٤٥] ورأى غيره أنها «إنجاز الكلام وحذف الفضول وتقريب البعيد».[٤٦] وقال صحار العبدي إن البلاغة هي «أن تجيب فلا تبطىء، وتصيب فلا تخطئ»؛[٤٧] أي إنها سرعة البديهة.

---

(٤١) ابن الأثير، المثل السائر، ص ٨٤

(٤٢) الرماني والخطّابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، القاهرة: دار المعارف، ط ٢، ١٩٦٨، ص ٧٥

(٤٣) المصدر نفسه، ص ٧٦. وهو يعددها كلها في معرض كلامه على إعجاز القرآن.

(٤٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ص ٦١، وقارن: ابن عبد ربه، العقد الفريد، بيروت: دار ومكتبة الهلال، لا تاريخ، ١٧٤/١

(٤٥) الموضع الثاني نفسه

(٤٦) الموضع نفسه

(٤٧) الموضع نفسه

وقال خالد بن صفوان: «البلاغة ليست بخفة اللسان وكثرة الهذيان، ولكنها باصابة المعنى والقصد إلى الحجة».(٤٨) وقال أعرابي إنها «قلة الكلام وإيجاز الصواب».(٤٩)

ورأى بعضهم أن «حق المعنى أن يكون الاسم له طبقاً، وتلك الحال له وفقاً، ويكون الاسم له لا فاضلاً ولا مفضولاً، ولا مقصّراً ولا مشتركاً ولا مضمناً، ويكون مع ذلك ذاكراً لما عقد عليه أول كلامه، ويكون تصفحه لمصادره في وزن تصفحه لموارده، ويكون لفظه مؤنقاً، ولهول تلك المقامات معاوداً ومدار الأمر على إفهام كل قوم بقدر طاقتهم».(٥٠) ورأى أعرابي أنها «الإيجاز في غير عجز، والاطناب في غير خَطَل».(٥١) وذكر القزويني أنها «في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته».(٥٢) و«مقتضى الحال هو الاعتبار المناسب».(٥٣)

٥ ـ تعليق وتقويم: من خلال ما عرضنا من نماذج لآراء العرب في البلاغة يتجلى لنا ما يلي:

١ - معظم هذه الأقوال تلتقي على أن دور البلاغة هو الإيضاح وكشف المعنى.

٢ - رأى بعضهم أن البلاغة تفترض البساطة والبعد عن التعقيد.

٣ - رأى بعضهم أنها تقوم على الإيجاز.

٤ - رأى بعضهم أنها تقوم على سرعة البديهة.

٥ - رأى بعضهم أنها تقوم على إيصال المعنى في أحسن وجه.

---

(٤٨) الموضع نفسه

(٤٩) الموضع نفسه

(٥٠) الجاحظ، البيان والتبيين، ص ٦٤

(٥١) المصدر نفسه، ص ٦٧

(٥٢) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ٣٣

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٣٥

٦ ـ رأى بعضهم أنها تعني موافقة الكلام الذي يوضح لمقتضى الحال؛ بمعنى آخر، تفترض أنَّ لكل مقامٍ مقالاً.

وعلى هذا، فإن المقولة السادسة، أي لكل مقام مقال، تكاد تختصر كل المقولات الأخرى تقريباً، ولا بد من أخذها في الاعتبار؛ وبناءً عليها نقول إن بلاغة الكلام هي «مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب، مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها».(٥٤)

وهكذا، فإن أحسن الكلام هو ما راعى حال السامعين، أي ما جاء بأفضل صورة تناسب حالهم، فلا يخاطب الأمير، مثلاً، كما يخاطب السوقيّ، ولا يخاطب الأديب ورجل الفكر كما يخاطب الجاهل.

ويجب هنا أن يراعى أمران: الأول المَقَام، أي حال الخطاب، وهو «الأمر الحاصل للمتكلم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة دون أخرى»،(٥٥) مثلاً الهجاء من المهجوّ هو المقام، فإذا جاءت ألفاظه ساخرة، مضحكة لم يكن هذا غريباً. والأمر الثاني هو «الاعتبار المناسب» أي ما يقتضيه المقام، و«هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة».(٥٦)

فإذا أردت أن تمدح شخصاً، فأطنبتَ في كلامك على صفاته الحميدة جاء كلامك بليغاً ولم يكن بعيداً عن البلاغة بسبب الإطناب، بل على العكس لأن المدح يقتضي ذلك، وإلاّ عجزت على أداء ما تريد. فالمدح، في هذه الحال، هو المقام، ومدحك وإطنابك هما الاعتبار المناسب.

وخلاصة القول في هذا «أن الأمر الذي يحمل المتكلم على إيراد كلامه في صورة دون أخرى يسمى «حالاً»، وإلقاء الكلام على هذه الصورة التي اقتضاها الحال يسمى «مقتضى»؛ والبلاغة هي مطابقة الكلام الفصيح لما يقتضيه الحال».(٥٧)

---

(٥٤) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٣٣

(٥٥) الموضع نفسه

(٥٦) الموضع نفسه

(٥٧) المرجع نفسه، ص ٣٤

٦ ـ **ملاحظات في مفهومي الفصاحة والبلاغة:** نلاحظ أن مبدأ الفصاحة عند العرب يرتبط، أساساً بالموقع الذي تكون فيه هذه اللفظة. أي أنها ترتبط بالسياق والمعنى، وتفترض لها ميزة التلاؤم الصوتي.

وعليه، فإن الفصاحة ـ وهي ترتبط بالسياق والموقع والكلام ـ جزء لا يتجزأ من البلاغة.[٥٨] فلتحديد غرابة الاستعمال لا بد من السياق، ولتحديد المخالفة اللغوية (النحوية) لا بد من السياق؛ وكذلك الأمر لتحديد التكرار، وتنافر الحروف في التركيب (لا في المفرد). أما الشروط الأخرى الباقية (ومنها مخالفة القياس الصرفي) فهي شروط صوتية هدفها المحافظة على النطق السليم.[٥٩] ونحن بهذا نرى رأي الجرجاني في أن فصاحة اللفظة تكون «في حسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها»[٦٠]؛ فهو يقول: «فقد اتضح اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ. ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر».[٦١]

وربما كان تركيز العرب على الفصاحة بالمفهوم الذي عرضنا نتيجة ربط الفصاحة بفن الخطابة، أي أنها تتعلق بالارتجال. ولكن هذا لا يعني أن نظرتهم التي عَرَضناها كانت سليمة من الخطأ. فخطؤها أنها تفصل وحدات العمل الأدبي. ووحداته لا يجوز أن تنفصل لأنها تتفاعل في سبيل أن تخلق وحدة متكاملة.

---

(٥٨) راجع: صبحي البستاني، الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، بيروت: دار الفكر اللبناني، ط ١، ١٩٨٦، ص ٤٤ وما بعدها.

(٥٩) يمكن، في مسألة علاقة الصرف بعلم الأصوات مراجعة: ديزيره سقال، الصرف وعلم الأصوات، بيروت: منشورات مريم، الطبعة الأولى ١٩٩١، (وكذلك: الطبعة الثانية، دار الصداقة العربية ١٩٩٦)؛ وكتاب: عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، وكتاب أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (١٩٨٢).

(٦٠) صبحي البستاني، الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، ص ٤٤

(٦١) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٨ .

الباب الثاني:

علم المعاني

التعريف بعلم المعاني

يعرّف القزويني علم المعاني قائلاً: «هو علم يُعَرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال».[1] وعلى هذا، فإن علم المعاني داخل في علم البيان، لأن موضوع علم البيان «هو الفصاحة والبلاغة، وصاحبهما يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية».[2] وأما استقراء المعاني ففائدته «الإحاطة بأساليب المعاني على اختلافها وتباينها».[3]

ولكننا نميز بين علم البيان وعلم المعاني من أجل المنهج والدراسة فقط، علماً بأن هذين العلمين لا ينفصلان.

وواضع علم المعاني هو عبد القاهر الجرجاني، بمعنى أنه هو الذي جعل له أسساً في كتابه «دلائل الإعجاز»، واستكملها في «أسرار البلاغة»، بعد أن كان سابقوه قد خاضوا في هذا البحر من قبل، نذكر، على سبيل المثال لا الحصر، أبا عبيدة بن المثنى تلميذ الخليل بن أحمد في كتابه «مجاز القرآن»، والجاحظ في كتابه «البيان والتبيين»، وقدامة بن جعفر في «نقد النثر» و«نقد الشعر». وتابع هذا العلمَ من بعدُ أيضاً عدد من العلماء أمثال السكاكي أبي يعقوب يوسف، وجار الله الزمخشري وابن الأثير

---

(١) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ٣٧

(٢) ابن الأثير، المثل السائر، ١/٢٦

(٣) المصدر نفسه، ١/٤٩

والقزويني وغيرهم... ويذكر عبد الرحمن البرقوقي ميزة الجرجاني من سواه في هذا العلم في أنه فاقهم «في لطف الحس»، وصفاء الديباجة، وبراعة الكلام».[٤]

أما موضوع علم المعاني فاللفظ العربي، كما أسلفنا. ومن خلاله تعرف دقائق المعاني التي بها يطابق الكلام مقتضى الحال.

وأما فائدته عند واضعيه فمعرفة إعجاز القرآن الكريم، والوقوف على معانيه الدقيقة ولطائف تعبيره من جهة، وعلى أسرار البلاغة والفصاحة نظماً ونثراً، من جهة ثانية للتمييز بين جيد الكلام ورديئه.

وفي هذا الباب ثمانية فصول: الخبر والإنشاء، والمسند إليه، والمسند، والتقييد والإطلاق، ومتعلقات الفعل، والقصر، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب والمساواة؛ وملحق يتناول موضوع الفكر واللغة، وعلاقتهما بالنص.

---

(٤) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ٣

الفصل الأول:

الخبر والإنشاء

١ ـ **التعريف بالخبر:** الخبر هو كلّ كلام يحتمل التصديق والتكذيب لذاته، بقطع النظر عن طبيعة الخبر، أو عن حال المخبر الخاصة.

ونقصد بالتصديق أن يكون الكلام مطابقاً للواقع العام.

ونقصد بالتكذيب مخالفة الكلام للواقع العام.

فإذا قلتَ: «أخوك مُسَافِرٌ»، تحققتَ من الأمر، فإمّا أن تثبته، وإمّا أن تنفيه. وإذا قلت: «ألله عادل»، أثبتت، لأن العرفَ والطبيعة تقول هذا. وإذا قلت: «الكسل مفيد، نفيت صحة الخبر، لأن التجارب وطبيعة الأمور والمتعارف عليه والشائع عكس ذلك؛ أي أن هذه الجملة تناقض ما في الخارج.[1]

٢ ـ **أغراض الخبر:** نستعمل الخبر، عادةً، لغرض من اثنين:

١ ـ **الأول:** أن يكون المستمع جاهلاً لما تتضمنه الجملة من حكم، فننقله إليه، فنسمي هذا «فائدة الخبر»، نحو: «وصلتُ اليومَ باكراً».

٢ ـ **والثاني:** أن يريد المخبر إفهامَ المستمع بأنه عالم هو أيضاً بحكم الخبر، فنسمي هذا عندئذ «لازم الفائدة»، نحو: «لقد كسبتَ اليومَ مالاً كثيراً»، تقول هذا لشخص ربح مالاً فأخفى هذا عنك، ليفهم أنك تعرف بالأمر.

---

(١) يعرف القزويني الخبر قائلاً: «صدق الخبر مطابقته للواقع، وكذبه عدمها؛ وقيل مطابقته لاعتقاد المخبر ولو خطأ، وعدمها». (القزويني التلخيص في علوم البلاغة، ص ٣٨)

ولكن الخبر قد يخرج عن هذه الأغراض، ويفيد أغراضاً أخرى، نذكر منها:

١ ـ **المدح**، كما في قول أبي تمام واصفاً المعتصم:

هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَوَاحِي أَتَيْتَهُ ... فَلُجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ وَالجودُ سَاحِلُهْ

٢ ـ **الذم**، كقول ابن الرومي:

وَجْهُكَ يَا عَمْرُو فِيهِ طُولُ ... وَفِي وُجُوهِ الكِلاَبِ طُولُ

٣ ـ **طلب الرأفة والعطف**، كقولنا: «أنا عبدٌ أحتاج إلى عطف ربي».

٤ ـ **الحَثّ على الشيء**، كقولنا: «لا يُشبه الجاهلَ العالِمُ»، لأننا بهذا لا نريد أن نحكم، بل أن نحث السامع على طلب العلم لأنه يميزه من الجاهل.

٥ ـ **إظهار الضعف**، كقولنا: «يا ربُّ، إني رقَّ عظمي وانحنيت».

٦ ـ **التحذير والوعيد** كما في قوله تعالى: ﴿**وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله**﴾.[٢]

٧ ـ **إظهار الفرق بين المراتب والأمور**، كقول المعري:

عَرَفْتُ سَجَايَا الدَهْرِ، أَمَّا شُرُورُهُ ... فَنَقْدٌ وَأَمَّا خَيْرُهُ فَوُعُودُ

٨ ـ **الفخر**، كما في قول عبيد الله بن قيس الرقيات:

نَحْنُ مِنَّا النَبِيُّ الأُمِّيُّ وَالصِدِّ ... يقُ مِنَّا التَقِيُّ وَالخُلَفَاءُ

وغير هذا عديد، نعرفه من الجمل، والسبيل إلى معرفته تذوق القارئ للمعنى وإلمامه باللغة.

٣ ـ **أنواع الخبر**: لمّا كان الغرض من الخبر الإفهامَ والإبلاغ، والغرضُ من الكلام البليغ ملاءَمته لمقتضى الحال، بات من البديهي أن تكون للخبر صور عديدة يأتي عليها، تختلف باختلاف أحوال الكلام لتناسب المرام.

---

(٢) البقرة / ٢٨٤

لهذا يكون الخبر على ثلاثة أنواع تناسب أحوال المتكلم:

١ ـ الخبر الابتدائي: ويكون خبراً للمتكلم الخالي الذهن منه، ليَعْلَمَه. وعندئذ لا يحتاج المخبر إلى تأكيد الخبر، أو إلى إنكاره. كقوله تعالى: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾.(٣)

وكقول الشاعر جميل بن معمر:

يَهْوَاكِ ما عِشْتُ الْفُؤادُ فَإِنْ أَمُتْ
يَتْبَعْ صَدَايَ صَدَاكِ بَيْنَ الأَقْبُرِ

٢ ـ الخبر الطلبي: ويكون خبراً للمتكلم الذي يخالجه تردد، فيأتي المخبر به مؤكداً لكي يقوّي الحكم، ويمكّنه في نفس الآخر، كقوله تعالى: ﴿**إنَّ كثيراً من الأحبار والرهبان لَيَأكلون أموالَ الناس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله**».(٤) فقد أُكد الخبر هنا بإنّ ثم باللام، لتقوية الحكم وتثبيت الكلام. ومن هذا القبيل قول المعري:

وَإِنِّي، وَإِنْ كُنْتُ الأَخِيرَ زَمَانُهُ
لآتٍ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الأَوَائِلُ

وأدوات التأكيد كثيرة، وكذلك وسائله. وأشهر هذه الأدوات:

١ ـ نونا التوكيد المخففة والثقيلة، وقد اجتمعا معاً في قوله تعالى: ﴿**لَيُسْجَنَنَّ ولَيَكُوناً من الصّاغرين**﴾؛(٥) وتدخلان على الأمر مطلقاً،(٦) وعلى المضارع الدال على

---

(٣) النور / ٣٥

(٤) التوبة / ٣٤

(٥) يوسف / ٣٢

(٦) إذا كانت صيغة الأمر في الفعل الماضي الدال على التعجب (أي في وزن «أَفْعِلْ بِـ»)، امتنع دخول النون عليه.

الاستقبال دون الحال، ولا تدخلان على الماضي والمضارع الدال على الحال مطلقاً.[7]
ومثال على دخولها على الأمر قول الشاعر:

أَيَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ

نَدَامَايَ مِنْ نَجْرانَ أَنْ لاَ تَلاَقِيَا

فقد دخلت هنا نون التوكيد المخففة على «بَلِّغْ».

٢ ـ **إنَّ المشبهة بالفعل**، وهي حرف توكيد مشبه بالفعل ينسخ المبتدأ والخبر: ينصب الأول اسماً له ويترك الثاني مرفوعاً خبراً له. ومثال عليه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ المنافقين في الدَّرْكِ الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا**﴾[8]، وقول الشاعر:

إِذَا اسْوَدَّ جَنْحُ اللَّيْلِ فَلْتَأْتِ وَلْتَكُنْ

خُطَاكَ خِفَافاً، إِنَّ حُرَّاسَنَا أُسْدَا

٣ ـ **لام الابتداء**، وهي تفيد أمرين: تخليص المضارع للحال إذا دخلت على الفعل المضارع، وتوكيد مضمون الجملة. فتدخل على المبتدأ الذي يتصدّر الجملة، نحو: «لأَنْتَ مُقتدِرٌ»، وعلى الخبر إذا تصدر متقدماً على المبتدأ، نحو: «لَفِي بيتكَ زَائِرٌ». وقد تُزَحْلَقُ من الركن الأول إلى الثاني إذا دخلت «إِنَّ» المشبهة بالفعل على المبتدإ والخبر، فتسمى اللام المزحلقة، كقول قسّ بن ساعدة: «إِنَّ في السماءِ لَعِبَراً». وتدخل على الفعل المضارع، نحو: لَيَقْرَأُ قراءةً جيدةً، وعلى بعض الأدوات مثل قَدْ وسوف.

٤ ـ **أحرف التنبيه (ها، ألا، أما)**، وهي أحرف تتصدر الجملة، نحو قول عمرو ابن كلثوم:

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا   فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجاهِلِينَا

---

(٧) وقد شذ قول الشاعر:

دَامَنَّ سَعْدُكِ لو رَحِمْتِ مُتَيَّماً   لَوْلاَكِ لَمْ يَكُ لِلصَّبَابَةِ جَانِحَا

(راجع: ابن هشام، مغني اللبيب، صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٨٧، ص ٣٤٠)

(٨) النساء / ١٤٥

فقد تصدرت «ألا» كلامَه، ثم أردفها بنون التوكيد. وتختص «أما» من هذه الأحرف بالقسم، فتسبقه، نحو: أما واللهِ سينزلَنَّ بالمشركين عقابٌ أليمٌ.

٥ ـ **القَسَم**، وله ثلاثة حروف جارة هي الباء والواو والتاء ـ ولا تكون التاء إلا لاسم الجلالة. مثال على القسم بالتاء ما جاء في قوله تعالى: ﴿**تاللّهِ تَفتَؤُا تذكرُ يوسفَ**﴾[٩]، والآية: ﴿**وَتَاللّهِ لأَكِيدَنَّ أصنامكم**﴾.[١٠] ومثال على القسم بالباء قول الشاعر:

وَقَالَتْ: رُحْ، بِرَبِّكَ، مِنْ أَمَامِي
فَقُلْتُ لَهَا بِرَبِّكِ أَنْتِ رُوحِي

ومثال على القسم بالواو قوله تعالى: ﴿**والشمسِ وضحاها**﴾[١١] وقول عديّ بن زيد:

سَعَى الأَعْدَاءُ لاَ يَأْلُونَ شَرّاً
عَلَيَّ، وَرَبِّ مَكَّةَ، وَالصَّلِيبِ

٦ ـ **التكرار**، وهو من باب التوكيد اللفظي، كقول الشاعر:

أَبَاكَ أَبَاكَ إِنَّ مَنْ لاَ أَبَا لَهُ
كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بِغَيْرِ سِلاَحِ

وكذلك التوكيد المعنوي (أي بالنفس والعين)، كقولك: جاءَ زيدٌ نَفْسُهُ (أو عينُهُ).

٧ ـ **قد**، إذا كانت حرفاً للتحقيق، أي قبل الفعل الماضي، كقوله تعالى: ﴿**وما لَكُمْ ألاّ تأكلوا مِمّا ذُكِرَ اسمُ الله عليه، وقد فَصَّلَ لكم ما حَرَّم عليكم**﴾.[١٢]

---

(٩) يوسف / ٨٥
(١٠) الأنبياء / ٥٧
(١١) الشمس / ١
(١٢) الأنعام / ١١٩

٨ ـ **أمّا الشرطية**، وهي حرف تفصيل يتضمن معنى الشرط، غير جازم، وكذلك معنى التوكيد. وهو تأويل لجملة «مهما يكن من أمر». كقوله تعالى: ﴿**إنَّ اللهَ لا يستحيي أنْ يضربَ مثلاً ما بعوضةً فما فوقها، فأمَّا الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم، وأمّا الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا**﴾.(١٣) ويقترن جوابها بالفاء، كما جاء في الآية السابقة، وكما في الآية: ﴿**فأمّا اليتيمَ فلا تَقْهَرْ، وَأمّا السائلَ فلا تَنْهَرْ، وأمّا بنعمة ربكَ فحدِّثْ**﴾.(١٤) وتفسير هذا أنك، لو قلت: أما زيدٌ فمنطلقٌ، فكأنك تقول: مهما يكن من أمر فزيدٌ منطلق؛ فحذفت «مهما يكن من أمر» واستبدلتَ به «أمّا»؛ ثم كرهت أن تقع فاء الجزاء مباشرة بعدها فأخّرتها.(١٥)

٩ ـ **إنّما**، وهي تتألف من «إنَّ» الحرف المشبه بالفعل، و«**ما**» الكافة التي تكفّها عن العمل، كقول الشاعر:

إنَّمَا الدُنْيَا بَلاَءٌ وَكَدٌّ   وَاكْتِئَابٌ قَدْ يَسُوقُ اكْتِئَابَا

وقد قال ابن عطية فيها إنها «لفظ لا تفارقه المبالغة والتأكيد حيث وقع، ويصلح، مع ذلك، للحصر».(١٦)

١٠ ـ **تقديم الفاعل على الفعل**، وذلك من أجل إظهاره والتأكيد عليه؛ لأنّ الفاعل من حقه أن يقع بعد الفعل. ومن المعروف أن للتقديم والتأخير دلالاتٍ معنوية، كما سنظهر في مكان آخر. ومن تقديم الفاعل على فعله قولنا: «زيدٌ وصل متعباً إلى البيت»؛ فقد قدمت «زيداً» على «وصل» لأنك تريد إظهاره والتأكيد على أنه هو الذي وصل متعباً. وفي هذه الأحوال، أي عندما يتقدم الفاعل على الفعل يصير مبتدأ ولا يعرب فاعلاً.

---

(١٣) البقرة / ٢٦

(١٤) الضحى / ٩ ـ ١١

(١٥) راجع تفصيل هذا في: ابن يعيش، شرح المفصل، بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٨، ١١/٩ وما بعدها.

(١٦) اميل بديع يعقوب، موسوعة الحروف في اللغة العربية، دار الجيل، ط ١، ١٩٨٨، ص ١٧٢

وثمة أدوات أخرى ممكنة تظهر للمتكلم في خلال الكلام، ويستخرج منها معنى التوكيد من السياق.

٣ ـ **الخبر الإنكاري**: ويكون خبراً للسامع الذي ينكر الخبر لأنه يعتقد خلافه، فيأتي المتكلم بخبره مؤكّداً. كقول عمر بن ربيعة على لسان نعم:

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَتَعْجِيلُ حَاجَةٍ
سَرَتْ بِكَ أَمْ قَدْ نَامَ مَنْ كُنْتَ تَحْذَرُ

فقد أكدت نُعْم شَكّها بالقسم لأنها ظنت أن عُمَر يخالها تدري سبب قدومه.

ويمكن أن يكون التأكيد في النفي أيضاً، سواء أكان الخبر طلبياً أم إنكارياً، كما هي الحال في بيت عمر السابق، وكما في الآية: ﴿**وما أنا بِظَلاَّمٍ للعبيد**﴾،[١٧] فقد أكّد الخبر هنا منفيّاً بالباء الزائدة التي دخلت على «ظلاّم».[١٨]

٤ ـ **التعريف بالإنشاء**: الإنشاء هو كل كلام لا يحتمل في ذاته تصديقاً أو تكذيباً؛ كقوله تعالى: ﴿**قال موسى لقومه استعينوا باللهِ واصبروا**﴾.[١٩] فالأمر هنا ليس المقصود به تصديقه أو تكذيبه لأنه لا يحتمل هذا.

٥ ـ **نوعا الإنشاء**: الإنشاء نوعان:

١ ـ **إنشاء غير طلبي**: هو ما لا يستوجب مطلوباً غير حاصل عند الطلب. فإن قلتَ، مثلاً: «ما أجملَ السماءَ!» متعجباً، فإن جمال السماء قد حصل فعلاً عندما تمّ التعجب.

ويكون هذا الإنشاء بالصيغ والألفاظ التالية:

---

(١٧) ق / ٢٩

(١٨) حرفا الجر الزائدان «مِنْ» و«الباء» يفيدان التأكيد على النفي أو الاستفهام.

(١٩) الأعراف / ١٢٨

١ ـ المدح والذم (نِعْمَ ـ حبذا ـ بِئْسَ ـ ساء ـ لا حبذا،[٢٠] وما اشتُقَّ على فَعُلَ).
نحو قول الشاعر:

فَنِعْمَ ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ، غيرَ مُكَذَّبٍ
زُهَيْرٌ، حُسَامٌ مُفْرَدٌ مِنْ حَمَائِلِ

٢ ـ القَسَم، وقد مَرَّ، وأحرفه الباء والواو والتاء.

٣ ـ التعجب، وله صيغتان قياسيتان نحويتان ما أَفْعَلَه وأَفْعِلْ بِهِ. وتتألف صيغة «ما أَفْعَلَه» من «(ما» النكرة التامة بمعنى شيء، وتعرب مبتدأ خبره الجملة التي بعده؛ ومن فعل التعجب وفاعله المستتر وجوباً على خلاف الأصل لأنه عائد إلى «ما»؛ ومن مفعول به للفعل. نحو قول الشاعر:

حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي:
مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا!

و«كان» هنا بين «ما» و«أكثرها» زائدة للدلالة على الزمن الماضي.

وأمّا صيغة «أَفْعِلْ بِهِ» فهي فعل ماضٍ على قياس أَفْعَلَ، جُعِل في صيغة الأمر لتقوية التعجب.[٢١] ثم استقبحوا أن يظهر الفاعل مرفوعاً بعد تلك الصيغة، فأدخلوا عليه الباء الزائدة، فَجُرّ لفظاً. كقولك: «أعظِمْ بأخيك»، فأصلها: أَعْظَمَ أخوك، أي صار عظيماً. ومنه قول الشاعر:

إِذَا عُمِّرَ الإِنْسَانُ عِشْرِينَ حِجَّةً
فَأَبْلِغْ بِهَا عُمْراً، وَأَجْدِرْ بِهَا شُكْرَا

---

(٢٠) تتألف «حبذا» من الفعل «حَبَّ»، و«ذا» اسم الإشارة، وهو فاعل «حب». وقد يستعمل الفعل من غير «ذا»، كقول الشاعر:

فَقُلْتُ اقْتُلُوهَا عَنْكُمْ بِمِزَاجِهَا   وَحَبَّ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ

فقد جر الشاعر هنا «الها» بالباء الزائدة، وهي فاعل أساساً.

(٢١) راجع: ابن هشام، قطر الندى وبَلّ الصدى، القاهرة: المكتبة التجارية. ط ١١، ١٩٦٣، ص ٣٢٣

٤ ـ **الرجاء** (أو الترجي): وأدواته لعلّ المشبهة بالفعل (وعَلَّ)، وعَسَى وحرى واخلولق وهي أفعال جامدة. ومنه قول الشاعر:

عَسَى الكرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتَ فِيهِ
يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ

٥ ـ **العُقود:** زادها بعضهم على الإنشاء غير الطلبي. ومنها الأفعال اشتريتُ، وبِعْتُ، ووهَبْتُ، وغير هذا إذا دل على فعل حاصل.[٢٢]

٢ ـ **إنشاء طلبي:** وهو ما يستدعي مطلوباً لم يكن حاصلاً، عند الطلب، في ذهن المتكلم. وهو يشمل: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء، والتحضيض، والعرض.[٢٣]

ـ أولاً: الأمر:

الأمر، تحديداً، طلب حدوث الفعل من المخاطب، مع استعلاء المتكلم. ويكون إمّا بفعل الأمر، كما في قوله تعالى: ﴿**فإذا انسلخ الأشهر الحُرُم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**﴾[٢٤]؛ وإما بالفعل المضارع الذي دخلته لام الأمر فجزمته، كما في الآية: ﴿**فليستجيبوا لي، وليؤمنوا بي**﴾[٢٥]؛ وإما باسم فعل الأمر، كقول الشاعر:

حَذَارَ حَذَارِ مِنْ جَشَعٍ فَإِنِّي   رَأَيْتُ النَاسَ أَجْشَعُهَا اللِئَامُ

وإمّا بالمصدر النائب عن فعل الأمر، كقول الشاعر:

فَصَبْراً فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْراً   فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ

ولكن الأمر قد يخرج عن معناه الأصلي فَتُقْصَد به أغراض أخرى، نعدد أبرزها:

---

(٢٢) زاد بعضهم على الإنشاء غير الطلبي: رُبَّ، وكم الخبرية.

(٢٣) ليس خطأً، برأينا، أن نعتبر الدعاء نوعاً من الإنشاء الطلبي لأنه يستوفي الشروط. وكذلك إذا اعتبرنا الترجي (أو الرجاء) من هذا القبيل أيضاً.

(٢٤) التوبة / ٥

(٢٥) البقرة / ١٨٦

١ ـ **الدعاء**، ومنه قول المتنبي:

أَزِلْ حَسَدَ الْحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ
فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِيَ حُسَّدَا

٢ ـ **الإباحة**، كما في قول ابن الرومي:

أَلْقِهَا عَنْكَ، يا طَوِيلَةُ، أوْ لا
فَاحْتَبِسْهَا شَرَارَةً فِي السَّعِيرِ

٣ ـ **الالتماس**، ويكون لمن يساويك شأناً، وعلى سبيل التلطف. كقول امرئ القيس:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
بِسِقْطِ اللِوَى بَيْنَ الدَخُول وَحَوْمَلِ

٤ ـ **الإرشاد والنصح**، كقول العرب في بعض أمثالِهِمْ: «أَكْثِرْ من الصديق فإنك على العدوّ قادر».

٥ ـ **التعجيز**، كما في قوله تعالى: ﴿**فَانْفُذُوا لا تَنفُذُونَ إلا بسلطان**﴾.[٢٦] ومنه قول الشاعر:

خَلِّ الطَرِيقَ لِمَنْ يَبْنِي الْمَنَارَ بِهِ
وَابْرِزْ بِبَرْزَةَ حَيْثُ اضْطُرَّكَ الْقَدَرُ

٦ ـ **التهديد والوعيد**، كما في قوله تعالى: ﴿**اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير**﴾.[٢٧] وكقول الشاعر:

حَتَّى سَقَيْنَاهُمْ بِكَأْسٍ مُرَّةٍ
فِيهَا الْمُمَثَّلُ نَافِعاً فَلْيَشْرَبُوا

---

(٢٦) الرحمن / ٣٣

(٢٧) فصلت / ٤٠

وكقول الشاعر:

إِذَا لَمْ تَـخْـشَ عَـاقِـبَـةَ الـلَّـيَـالِـي
وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ

٧ ـ **التسليم**، كقوله تعالى: ﴿**فَاقْضِ ما أَنْتَ قاض**﴾.[٢٨]

٨ ـ **الاكرام**، كقوله تعالى: ﴿**ادخلوها بسلام آمنين**﴾.[٢٩]

٩ ـ **المُساواة**، كقول النبي: «إصبروا أو لا تصبروا».

١٠ ـ **التمني**، كقول امرئ القيس:

أَلاَ أَيُّهَا اَللَيْلُ الطَويلُ أَلاَ انْجَلِ
بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ عَنْكَ بِأَمْثَلِ

وغير هذا كثير. وقد عدد ابن فارس كثيراً من أنواع الأمر تمكن العودة إليها.[٣٠]

ثانياً ـ النهي:

هو طلب للكفّ عن شيء، ممن هو أقل شأناً، أي على وجه الاستعلاء، وله طابع الإلزام؛ ومنه قوله تعالى: ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا لا تأكلوا الربّا أضعافاً مضاعفةً**﴾.[٣١] معنى هذا أن النهي أمر بالنفي، فهو يتضمن صيغتي الأمر والنفي معاً.

على أن النهي قد يفيد مدلولاتٍ أخرى غير التي ذكرنا، تُعْرَف من سياق الكلام، نذكر منها:

---

(٢٨) طه / ٧٢

(٢٩) الحجر / ٤٦

(٣٠) راجع: ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، بيروت: مؤسسة بدران، ١٩٦٤، ص ١٨٤ ـ ١٨٦. وقارن: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ٧٨ ـ ٧٩

(٣١) آل عمران / ١٣٠

١ ـ التمني، كقول الشاعر:

يَـا لَـيْـلُ طُـلْ، يَـا نَـوْمُ زُلْ،
يَـا صـبـح قِـفْ، لا تَـطْـلُـعِ

٢ ـ الدعاء: ومنه قوله تعالى: ﴿**ربَّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربَّنا ولا تحملْ علينا إصْراً**﴾.[٣٢]

٢ ـ الالتماس: ومنه قول عنترة بن شداد:

وَلَـقَـدْ نَـزَلْـتِ فَـلاَ تَـظُـنِّـي غَـيْـرَهُ
مِـنِّـي بِمَـنْـزِلَـةِ المُحِـبِّ الْمُكْـرَمِ

٣ ـ الإرشاد والنصح: كقول أبي نواس:

لاَ تَحْظُرِ الْعَفْوَ إِنْ كُنْتَ امْرَءًا حَرِجاً
فَـإِنَّ حَـظْـرَكَـهُ بِـالـدِيـنِ إِزْرَاءُ

٤ ـ بيان العاقبة: كقوله تعالى: ﴿**ولا تَحْسَبَنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزَقُون**﴾.[٣٣]

٥ ـ التهديد والتحقير: كقول المتنبي:

لا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إلاَّ وَالْعَصَا مَعَهُ
إِنَّ الْـعَـبِـيـدَ لأَنْجَـاسٌ مَـنَـاكِـيـدُ

ثالثاً: الاستفهام:

هو طلب للعلم بأمر كان الطالب يجهله. وله أدوات مختصة، هي: الهمزة وهل، وما، ومَنْ، ومتى، وأيّانَ، وكيف، وكم، وأنّى، وأيّ. فالهمزة وهل حرفان، ومَنْ وما وكم وكيف وأيّ أسماء، ومتى وأنّى وأيّانَ ظروف.

---

(٣٢) البقرة / ٢٨٦

(٣٣) آل عمران / ١٦٩

١ ـ **الهمزة**: وهي رأس أدوات الاستفهام، وتكون للتصوّر، أي لإدراك المفرد، نحو قول الآية: ﴿**وإذ قال الله: يا عيسى بن مريم أأنتَ قلتَ للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟**﴾[٣٤] وتكون أيضاً للتصديق، أي لإدراك النسبة، نحو قول الآية: ﴿**قال: أراغبٌ أنتَ عن آلهتي يا إبراهيم؟**﴾[٣٥].

ويُجاب عن التصور بالتعيين، لأنه طلب له؛ لهذا السبب كان حكم الهمزة التي يُطلب بها التصور أن يقع بعدها من نسأل عنه بها، ونذكر معادله بعد «أم» العاطفة غالباً، كقول الشاعر:

فَقُمْتُ لِلطَّيْفِ مُرْتَاعاً فَأَرَّقَنِي

فَقُلْتُ: أَهْيَ سَرَتْ أَمْ عادني حُلْمُ؟

وقد لا يذكر المتكلم المعادل كما في الآية الأولى التي مَثّلنا بها.

ويُجاب عن التصديق بنعم أو لا، ذلك لأن المتكلم يكون خالي الذهن مما يُستَفْهَم عنه.[٣٦] ويكثر التصديق في الجمل الفعلية، ويقل في الجمل الإسمية.[٣٧] وإذا امتنع المعادل وذكرت «أم» كانت بمعنى «بل»، واعتبرت منقطعة.[٣٨]

٢ ـ **هل**: تكون هل للأسماء والأفعال معاً، كقول الآية: ﴿**فهل أنتم مُسْلِمون؟**﴾[٣٩] والآية: ﴿**وهل أتاكَ نبأ الخصم؟**﴾[٤٠] وتكون لطلب التصديق فقط دون التصور. لهذا السبب لا نذكر معادلاً بعد أم المتصلة.

---

(٣٤) المائدة / ١١٦

(٣٥) مريم / ٤٦

(٣٦) يقول أحمد الهاشمي إن همزة الاستفهام تدل على التصديق إذا أُريد بها النسبة؛ وقد عرّف التصديق بأنه «إدراك وقوع نسبة تامة بين المسند والمسند إليه أو عدم وقوعها». (جواهر البلاغة، ص ٨٧)

(٣٧) يمتنع أن يُذكر مع همزة التصديق معادل (الموضع نفسه).

(٣٨) يقول ابن هشام: «ومعنى أم المنقطعة الذي لا يفارقها: الإضراب، ثم تارة تكون له مجرداً، وتارة تتضمن مع ذلك استفهاماً إنكاريّاً، أو استفهاماً طلبياً». (مغني اللبيب، ص ٤٤)

(٣٩) هود / ١٤

(٤٠) ص / ٢١

وتختص هل بالمستقبل، فلا تكون للحاضر ولا للماضي.[41]

٣ ـ ما: وهي للاستفهام عن غير العاقل، وتكون لطلب الإيضاح إما في الاسم، كقول الآية: ﴿**وما تلكَ بيمينك؟**﴾[42] وإما في حقيقة المسمى، كقول الآية: ﴿**قال فرعون وما ربُّ العالمين؟**﴾[43] وإما في حقيقة الصفة، كقولك: «ما المؤمنُ؟».[44]

٤ ـ مَنْ: وهي للاستفهام عن العقلاء دون سواهم، وتكون لتعيين الأفراد، كقول الآية: ﴿**مَنْ بَعَثَنا من مَرْقَدِنا؟**﴾[45] ورُبَّما تسرّب إليها معنى النفي، كقول الآية: ﴿**ومَنْ يغفر الذنوبَ إلا اللهُ؟**﴾.[46]

٥ ـ متى: وهي للاستفهام عن الزمان ماضياً أو مستقبلاً، كقول الآية: ﴿**ويقولون: متى هذا الوعدُ إن كنتم صادقين؟**﴾[47] وكما في قول الشاعر:

مَتَى يَبْلُغُ الْبُنْيَانُ يَوْماً تَمَامَهُ
إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وغَيْرُكَ يَهْدُمُ؟

---

(٤١) لا تدخل هل على ما يلي: على المنفي، وعلى المضارع الذي هو الحال، وعلى إنَّ، وعلى الشرط، وعلى حرف العطف. أما الهمزة فتدخل على كل هذا. (راجع: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٩٠)

(٤٢) طه / ١٧

(٤٣) الشعراء / ٢٣

(٤٤) قد تُرَكب «ما» مع «ذا»؛ ولكَ عندئذ فيها الوجوه التالية:
١ ـ أن تكون مع «ذا» للإشارة، نحو: «ماذا التقصير».
٢ ـ أن تكون مع «ذا» الموصولة.
٣ ـ أن تكون «ماذا» كله استفهاماً، كقول جرير:

يَا خُزْرَ تَغْلِبَ مَاذَا بَالُ نِسْوَتِكُمْ
لَوْ يَسْتَفِقْنَ إِلَى الدَّيْرَيْنِ تَحْنَانَا؟

٤ ـ أن يكون «ماذا» كله اسم جنس بمعنى شيء، أو موصولاً بمعنى الذي.
(عبد الغني الدقر، معجم النحو، بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع، ط ٢، ١٩٨٢، ص ٣٢٠)

(٤٥) يس / ٥٣

(٤٦) آل عمران / ١٣٥

(٤٧) يونس / ٤٨، الأنبياء / ٣٨، النمل / ٧١، سبأ / ٢٩، يس / ٤٨، الملك / ٢٥

٦ ـ **أيّانَ**: تكون للاستفهام عن المستقبل، كقول الآية: ﴿**يسألونك عن الساعة أيّانَ مُرْساها؟**﴾[٤٨] وتتضمن عادة معنى التهويل والتعظيم.

٧ ـ **كيف**: للاستفهام عن الحال. كقول الشاعر:

وكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أُحْرَمُ الْغِنَى

وَرَأْيُ أَمِيـرِ الْمُؤْمِـنِـينَ جَـمِـيـلُ؟

٨ ـ **أين**: للاستفهام عن المكان. كقول الشاعر أمين نخلة:

هُوَ الْحَلْيُ جَنْبَ الْحَلْيِ، دُونَ سُطُورِهَا

فَيَا أَحْرُفَ اللاّتِينِ: أَيْنَ الْقَلاَئِدُ؟

٩ ـ **أنّى**: للاستفهام ولها ثلاثة معان:

أ ـ **الحال**، كقول الآية: ﴿**نِساؤكم حَرْثٌ لكم فَأْتوا حَرْثَكُم أنّى شئتم**﴾.[٤٩]

ب ـ **معنى «مِنْ أَيْنَ»**، كقول الآية: ﴿**قال: رَبِّ أَنّى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر؟**﴾.[٥٠]

ج ـ **بمعنى «متى»**، كقولك: عُدْ إليَّ أنّى رغبت.

١٠ ـ **كم**: للاستفهام عن العدد المبهم، كقول الآية: ﴿**قال قائل منهم: كم لبثتم؟**﴾.[٥١]

١١ ـ **أي**: للاستفهام عن أمر يعمّ متشاركَيْن فيه، وهي تأخذ معناها مما تضاف إليه. ومنه قول الآية: ﴿**فَبِأيِّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون؟**﴾[٥٢] والآية: ﴿**أيُّكم يأتيني بعرشها؟**﴾.[٥٣]

---

(٤٨) الأعراف / ١٨٧، النازعات / ٤٢

(٤٩) البقرة / ٢٢٣

(٥٠) آل عمران / ٤٠

(٥١) الكهف / ١٩

(٥٢) الجاثية / ٦

(٥٣) النمل / ٣٨

وقد يخرج الاستفهام عن معناه ويفيد معاني أخرى، أبرزها ما يلي:

١ ـ **الأمر**، كقول الشاعر:

هَلْ ضَمَمْتِ النُورَ فَجْراً وَغَفَوْتِ؟ ذَاكَ أَنْتِ

وكقول الآية: ﴿**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوةَ والبغضاءَ في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم مُنتَهون؟**﴾.(٥٤)

٢ ـ **النهي**: كقول الآية: ﴿**أتخشونَهُم؟ فالله أَحَقُّ أن تَخْشَوه**﴾.(٥٥)

٣ ـ **الإنكار والنفي**: كقول الآية: ﴿**هل يستوي الأعمى والبصير؟ أم هل تستوي الظلمات والنور؟**﴾(٥٦) وكقول جميل بن معمر:

أَحِلْماً؟ فَقَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ أَوَانُهُ

أَمَ اخْشَى؟ فَقَبْلَ الْيَوْمِ أُوعِدْتُ بِالْقَتْلِ

٤ ـ **التشويق**: كقول الآية: ﴿**هل أدلّكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم؟**﴾(٥٧) ومنه قول جرير:

أَتَذْكُرُهُمْ وَحَاجَتُكَ ادِّكَارُ

وَقَلْبُكَ فِي الضَغَائِنِ مُسْتَعَارُ؟

٥ ـ **الاستئناس**: كقول الآية: ﴿**وما تلك بيمينكَ يا موسى؟**﴾.(٥٨)

٦ ـ **الحسرة**: كقول الشاعرة متحسّرة على أخيها القتيل:

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً

كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ؟

---

(٥٤) المائدة / ٩١

(٥٥) التوبة / ١٣

(٥٦) الرعد / ١٦. ونلفت إلى أن الإنكار إذا وقع في ما هو مثبت جعله نفياً، وإذا وقع في ما هو منفي جعله مثبتاً.

(٥٧) الصف / ١٠

(٥٨) طه / ١٧

٧ ـ **التعظيم**: كقول الآية: ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنِهِ؟**﴾.[٥٩]

٨ ـ **التهويل**: ﴿**ألحاقةُ ما الحاقة؟**﴾.[٦٠]

٩ ـ **التحقير**: كقول نعم متعجبة من مظهر عمر السيّئ:

أَهَذَا الَّذِي أَطْرَيْتِ نَعْتاً فَلَمْ أَكُنْ

وَعَيْشِكِ أَنْسَاهُ إِلَى يَوْمِ أُقْبَرُ؟.

١٠ ـ **التعجب**: ويكثر هذا في صيغ الاستفهام. ومنه قول الآية: ﴿**ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟**﴾[٦١] وكقول جميل بن معمر:

خَلِيلَيَّ فِيمَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا

قَتِيلاً بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي؟

١١ ـ التنبيه على الخطإ: كقول الآية: ﴿**أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟**﴾.[٦٢]

١٢ ـ **التكثير**: كقول أبي العلاء المعرّي:

صَاحِ، هَذِي قُبُورُنَا تَمْلأُ الرَحْـ

ـبَ، فَأَيْنَ القُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَادِ؟

وباختصار، «فإن الاستفهام الذي وضع لاستكناه المجهول يتحول إلى ما يشبه النقيض، ليقرر الشيء المعلوم أو يستغرب وجوده أو يستنكره أو ينهى عنه...».[٦٣]

---

(٥٩) البقرة / ٢٥٥

(٦٠) الحاقة / ١ ـ ٢

(٦١) الفرقان / ٧

(٦٢) البقرة / ٦١

(٦٣) ياسين الأيوبي ومحيي الدين ديب، كشف الغموض عن قواعد البلاغة والعروض، طرابلس: دار الشمال، ط ١، ١٩٩٠، ص ٨٣

رابعاً: التمني:

وهو طلب شيء محبَّب يستحيل حصوله أو لا يُتَوَقَّع، إما لأنه محال، كقول الشاعر:

أَلاَ لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْماً
فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

فعودة الشباب إلى الإنسان مستحبة، ولكنها مستحيلة. وإما لأنه لا يُطْمَع في حصوله (وعندئذ قد يكون فيه شيء من الممكن الذي يصعب حصوله). كقول الآية: ﴿**يا ليتَ لنا مثلَ ما أوتيَ قارون**﴾.(٦٤) أما إذا كان الأمر المحبب أمراً يرجى حصوله كان الكلام ترجّياً، لا تمنياً، وقد أشرنا إليه.

وأدوات التمني هي:

١ ـ **ليت**: وهي حرف مشبه بالفعل. وتعتبر الحرف الأساسي للتمني، أما الحروف الأخرى فنائبة عنها، ولا تعتبر حروفاً أصلية.

٢ ـ **هَلْ**: وشرطها، لكي تكون للتمني، أن تفيد معناه، فينتقل الاستفهام إلى معنى التمني. كقول الشاعر:

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَنَا بَعْدَ النَوَى
مِنْ سَبِيلٍ لِلِّقَا أَمْ لاَتَ حِينُ؟

٣ ـ **لو**: كقول الآية: ﴿**لو أنَّ لنا كَرَّةً فنكونَ من المؤمنين**﴾.(٦٥)

٤ ـ **لَعَلَّ**: إذا حمل الرجاء معنى التمني، فصار طلباً لحصول ما هو محال. كقول الشاعر:

عَلَّ اللَّيَالِي الَّتِي أَضْنَتْ بِفُرقَتِنَا
جِسْمِي سَتَجْمَعُنِي يَوْماً وَتَجْمَعُهُ

---

(٦٤) القصص / ٧٩

(٦٥) البقرة / ١٦٧

خامساً: النداء:

النداء، أساساً، هو «توجيه الدعوة إلى المخاطب، وتنبيهه للإصغاء، وسماع ما يريده المتكلم».[٦٦] وقد عَرَّفه البلاغيون بأنَّه طلب إقبال المدعو إلى الداعي.[٦٧] ويمكننا أن نقول إن النداء هو طلبٌ لإقبال المخاطب علينا بوساطة حرف ينوب عن الفعل «أنادي» أو «أدعو» أو ما بمعناهما. وهذا الحرف هو الذي ينقل معنى الجملة، حين يحل محل الفعل، من الخبر إلى الإنشاء.

وأدوات النداء هي:

١ ـ الهمزة وأَيْ للقريب.

٢ ـ يا للمتوسط.

٣ ـ أيا وهيا وآ للبعيد.

٤ ـ وا للندبة.

ولكن حرف النداء قد يُسْتَعمل في غير موضعه لأغراض بلاغية. فقد يستعمل المتكلم الهمزة مثلاً لما هو بعيد ليجعله بمنزلة القريب، وذلك لشدة استحضاره في ذهنه، كقول الشاعر:

أَسُكَّانَ نُعْمَانَ الأَرَاكِ تَيَقَّنُوا

بِأَنَّكُمُ فِي رَبْعِ قَلْبِيَ سُكَّانُ

وقد يجعل المتكلم القريبَ في منزلة البعيد إما ليعظّمه وإما ليحقّره وإما ليشير إلى سهوه، أو غير ذلك من معانٍ بلاغية سنشير إليها في ما يلي:

إذاً قد يفيد النداء معانيَ أخرى، أبرزها ما يلي:

١ ـ الترغيب والإغراء: كقول المتنبي:

يَا أَعْدَلَ النَاسِ إلاَّ في مُعَامَلَتِي

فِيكَ الخِصَامُ وَأَنْتَ الخَصْمُ وَالحَكَمُ

---

(٦٦) عباس حسن، النحو الوافي، القاهرة: دار المعارف، ط ٣، ١٩٧٤، ١/٤

(٦٧) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣ ـ ١٩٨٧، ٣٢٦/٣

٢ ـ **الاستغاثة:** كقول الشاعر:(٦٨)

تَمَلَّكَنِي الْوُشَاةُ فَأَزْعَجُونِي
فَيَا لَلَّهِ لِلْوَاشِي الْمُطَاعِ

٣ ـ **الندبة:** كقول الشاعر راثياً الخليفة عمر بن عبد العزيز:(٦٩)

حُمِّلْتَ أَمْراً عَظِيماً وَاصْطَبَرْتَ بِهِ
وَقُمْتَ فِيهِ بِأَمْرِ اللَّهِ يا عُمَرَا

٤ ـ **التعجب:** كقول الشاعر:

يَا لَهُ طَائِراً بِصُورَةِ شَيْطَا
نٍ يَبُثُّ اللَهِيبَ بُرْكَانُ صَدْرِهْ(٧٠)

٥ ـ **الحسرة والتوجع:** كقول الخنساء:

فَيَا لَهَفِي عَلَيْهِ وَلَهْفَ أُمِّي
أَيُصْبِحُ فِي الضَرِيحِ وَفِيهِ يُمْسِي؟

---

(٦٨) نشير إلى أن للاستغاثة ثلاثة أركان، هي: المستغاث به، والمشتغاث له (أو منه)، والأداة (ولا تكون سوى «يا»). والاستغاثة هي طلب المساعدة لشخص أو أشخاص، أي أن يطلبَ العونَ طرفٌ لطرفٍ آخر (مستغاث له) أو لنفسه (مستغاث منه). وتكون اللام المفتوحة في المستغاث به زائدةً، واللام الثانية المكسورة في المستغاث له لاماً أصلية. وذلك نحو قول الشاعر:

يَا لَقَوْمِي وَيَا لأَمْثَالِ قَوْمِي   لأُنَاسٍ عُتُوُّهُمْ فِي ازْدِيَادِ

فـ «لَقَوْمِي» المستغاث به، و«لأُنَاس» المستغاث له. ومثال على المستغاث منه قول الشاعر:

يَا لَلرِجَالِ ذَوِي الأَلْبَابِ مِنْ نَفَرٍ   لاَ يَبْرَحُ السَفَهُ الْمُرْدِي لَهُمْ دِينَا

فـ «مِنْ نَفَرٍ» هو المستغاث منه. ونشير إلى أن الاستغاثة قد تفيد عدداً من المعاني البلاغية الأخرى.

(٦٩) قد تفيد الندبة عدداً من المعاني، كالتحسّر والتوجّع وما إلى ذلك.

(٧٠) أسلوب التعجب منقول، في الأساس، عن أسلوب الاستغاثة، وذلك بحذف المستغاث له (أو منه) والإبقاء على الطرف الأول في التركيب، فيصير أسلوب تعجب عندئذ، وتظل اللام الداخلة على ما بعد «يا» زائدة.

٦ ـ **التحقير**: كقول الإمام عليّ ذامّاً رجاله في خطبة الجهاد: «يا أشباهَ الرجال ولا رجال!».

٧ ـ **الزجر**: كقول الشاعر:

أَفُـؤَادِي مَـتَـى الْـمَـتَـابُ؟ أَلَمَّا
تَـصْـحُ وَالـشَّـيْـبُ فَـوْقَ رَأْسِـي أَلَمَّا؟

٨ ـ **التضجُّر والشعور بالغربة**: كقول الشاعر:

أَيَا مَـنَـازِلَ سَـلْـمَـى أَيْـنَ سَـلْـمَـاكِ؟
مِـنْ أَجْـلِ هَـذَا بَـكَـيْـنَاهَـا بَـكَـيْـنَاكِ

وكقول البحتري:

يَـا دَارُ لاَ زَالَـتْ رُبَـاكِ مَـجُـودَةً
مِـنْ كُـلِّ سَـارِيَـةٍ تُـعَـلُّ وَتُـنْـهَـلُ

٩ ـ **الاستعظام**: كقول الإمام عليّ: «فَيَا لَلَّهِ وَلِلشورى! متى اعترضَ الريبُ فيَّ مع الأول منهم حتّى صِرْتُ أُقْرَنُ إلى هذه النظائر».

سادساً: التحضيض:

هو طلب الشيء بشدة وتعنيف. وله خمس أدوات: هَلاّ، ألاَ، ألاّ، لولا ولوما.

ويسمّى التحضيض تحضيضاً إذا وقع بعد الأداة فعل مضارع، كقول الآية: **﴿أَنِ ائْتِ القومَ الظالمينَ قومَ فرعونَ ألا يتّقون﴾**[٧١] ويسمّى تنديماً وتوبيخاً إذا وقع بعد الأداة فعل ماضٍ، كقول عنترة:

هَلاَّ سَـأَلْتِ الْخَيْـلَ يا ابْنَةَ مَالِكٍ
إِنْ كُنْـتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي

ويشير ابن فارس إلى أن التحضيض (والحَثّ) هما كالأمر.[٧٢]

---

(٧١) الشعراء / ١٠ ـ ١١

(٧٢) ابن فارس، الصاحبي، ص ١٨٧

سابعاً: العرض:

وهو الطلب برّقة، وبهذا يختلف عن التحضيض. وله ثلاث أدوات هي: أَلاَ، وأما، ولو. ومثال عليه قول الشاعر:

يَا ابْنَ الْكِرَامِ أَلاَ تَدْنُو فَتُبْصِرَ مَا

قَدْ حَدَّثُوكَ فَمَا راءٍ كَمَنْ سَمِعَا

المسنَد إليه

١ ـ **تعريف الإسناد:** يعرّف سيبويه المسند والمسند إليه قائلاً: «وهما ما لا يَغْنَى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدّاً».[١] ومعنى هذا الكلام أن المسند والمسند إليه ركنان لا غنى عنهما في بناء الجملة، فهما عمدتاها. ويمكننا تعريف المسند إليه بأنه بمنزلة الموصوف، وتعريف المسند بأنه بمنزلة الصفة، أو، على الأصح، تعريفهما بأنهما حكم ومحكوم عليه. وهذا مفاد كلام أهل اللغة أن الخبر إعلام.[٢]

٢ ـ **أنواع المسند إليه ومواضعه:** قلنا إن المسند إليه، هو بمنزلة المحكوم عليه. ويكون في الجمل: مبتدأ، أو فاعلاً، أو نائب فاعل؛ وكلها ألفاظ لا تقوم الجمل من غيرها.

أما المواضع التي يذكر فيها المسند إليه فهي التالية:

١ ـ **فاعل الفعل التام:** سواءٌ أكان ظاهراً، كقول الآية: ﴿**إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم**﴾[٣]، أو متصلاً، كقول الآية: ﴿**وإن لم تؤمنوا إليّ فاعتزلونِ**﴾،[٤] أو مستتراً، كقول الآية: ﴿**ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع**﴾.[٥]

(١) سيبويه، كتاب سيبويه، بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٩٩١، ١ ـ ٢٣

(٢) ابن فارس، الصاحبي، ص ١٧٩

(٣) الأنعام / ١٦١

(٤) الدخان / ٢١

(٥) النور / ٤٥

٢ ـ فاعل اسم الفاعل: لأن اسم الفاعل قد يعمل عمل الفعل، كقول الشاعر:

خَلِيلَيَّ، مَا وَافٍ بِعَهْدِيَ أَنْتُمَا
إِذَا لَمْ تَكُونَا لِي عَلَى مَنْ أُقَاطِعُ

فالضمير «أنتما» فاعل «وافٍ» سد مسدّ خبر ما المشبهة بليس.

٣ ـ فاعل الصفة المشبهة: كقول الشاعر:

لَيَالِيَ لَيْلَى لَمْ يُشَبْ عَذْبُ مَائِهَا
بِمِلْحٍ، وحَبْلانَا مَتِينٌ قِوَاهُمَا

٤ ـ فاعل صيغ المبالغة: كقولنا: ربّي فَيّاضٌ خَيْرُهُ.

٥ ـ فاعل اسم التفضيل: كقول الشاعر:

مَا رَأَيْتُ امْرأً أَحَبَّ إِلَيْهِ
البَذْلُ مِنْهُ إِلَيْكَ يَا ابْنَ سِنَانِ

٦ ـ نائب فاعل الفعل التام المبني للمجهول: كقول الشنفري:

وَإِنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ
بِأَعْجَلِهِمْ، إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ

٧ ـ نائب فاعل اسم المفعول: كقولنا: الله محمودةٌ أفعالُهُ ومشكورة.

٨ ـ المبتدأ: كقول الآية: **﴿والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ مَرَدّا﴾**.[٦]

٩ ـ ما كان في أصله مبتدأ: نحو قول طرفة:

وَلَسْتُ بِحَلاَّلِ التِلاَعِ مَخَافَةً
وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفُدِ

---

(٦) مريم / ٧٦

٣ ـ **ذكر المسند إليه:** يُذكر المسند إليه لأنه يوضّح المعنى ويؤدّيه. لهذا، فلا داعي لحذفه، إلا إذا كان في هذا ضرورة، وسنبينه بعد حين. أما موجبات الذكر فنحصرها بالأسباب التالية:

١ ـ **لأنه الأصل في الكلام،** وعليه يُبنى. فإذا قُلْتَ مثلاً: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾[٧]، فإن الكلام والمعنى ينبنيان على أساس الله.

٢ ـ **لزيادة التأكيد أو الإيضاح:** وهذا كقول أبي تمام يمدح المعتصم:

هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ
فَلُجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ وَالْبِرُّ سَاحِلُهْ

فالضمير «هو» عائد إلى الخليفة، وهو المسند إليه. وقد ذُكِرَ للإيضاح والتأكيد. وكقول الآية: ﴿**قل هُوَ اللهُ أَحَد**﴾.[٨]

٣ ـ **لتقوية المعنى في ذهن السامع:** كقول طرفة:

وَلَوْلاَ ثَلاَثٌ هُنَّ مِنْ لَذَّةِ الْفَتَى،
وَجَدِّكَ، لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِي

٤ ـ **لضعف فهم السامع، أو ضعف ثقته:** كقول الفرزدق ذاكراً زين العابدين أمام الخليفة هشام بن عبد الملك وقد تظاهر بتجاهل الإمام الشيعي:

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمُ
هَذَا التَقِيُّ النَقِيُّ الطَاهِرُ الْعَلَمُ

٥ ـ **الردّ على المخاطب:** كأن يُنْكِر أَحَدٌ نبوّة محمّد، فتقول له: «محمد رسول الله»، أو كأن يزعم أحَدُهم أنَّ هناك آلهة غير الله عديدة، فتقول له: «الله واحد أحد».

٦ ـ **التلذّذ بذكر المسند إليه:** كقول المصلّي: الله ربي، الله منجاي ومعتصمي.

٧ ـ **للإطناب وبسط الكلام:** لغرض من الأغراض. كقول الشاعر مكرراً:

---

(٧) النور / ٣٥

(٨) الاخلاص / ١

عُمْرِي انْسِحَاقٌ فِي غِمَارِ الْوَصْلِ، أَسْفَاراً يُجَرِّعُنِي!
عُمْرِي سُوَيْعَاتٌ أُقَضِّيهَا رُؤًى سَكْرَى... تُضَيِّعُنِي!
عُمْرِي هَدِيرٌ، دَافِئُ الْوِجْدَانِ، بِالإِيقَاعِ يُحْيِينِي...

٨ ـ **لإظهار جهل السامع أو حمقه:** كقولكَ ساخراً: زَيْدٌ رأى هذا الرأي، ردّاً على تساؤل بعضهم عن سخافة القول: من رأى هذا؟!

٩ ـ **التعجب:** كقولك: عنتر قَتَلَ الأَسَدَ في السيرة. جواباً عن سؤال من سأل: أعنتر يقتل الأسدَ في السيرة؟.

١٠ ـ **التعظيم:** كقولك: دَخَلَ الملك. ردّاً على سؤال من قال: مَنْ دخل؟

١١ ـ **التحقير:** كقولك: الجبانُ وَصَلَ، ردّاً على سؤال من قال: مَن وصل؟

٤ ـ **حذف المسند إليه:** ثمة موجبات في الكلام تجعل المتكلم أحياناً يحذف المسند إليه. وقد أشار الجرجاني إلى هذا وعقد له باباً في كتابه دلائل الاعجاز، قال: «فإنك ترى به تركَ الذكر، أفصحَ من الذكر، والصمتَ عن الإفادة، أَزْيَدَ للإفادة، وتجدُكَ أنطقَ ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن...»[٩]

فهناك دواع للحذف إذاً، بشرط أن تَرِدَ في الكلام قرينة على المسند إليه. وتلك أشهر حالات الحذف:

١ ـ **الاستئناف والقطع:** كقول الشاعر:

وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَا ... كَ مُنَازِلٌ كَعْباً وَنَهْدَا
قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيـ ... ـدَ تَنَمَّرُوا حَلَقاً وَقِدَّا

فلفظة «قومٌ» في البيت الثاني خبر لمحذوف تقديره كعب ونَهْد.

٢ ـ **ظهوره من خلال قرينة:** تجعلنا نستغني عن ذكره، كقول الآية: **﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا، وقالت: عجوزٌ عقيم﴾**.[١٠] والتقدير: أنا عجوز عقيم.

---

(٩) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ١١٢

(١٠) الذاريات / ٢٩

٣ ـ إخفاء الأمر: كقولك: أَخْفَقَ وَفَشِلَ؛ وتقصد زيداً مثلاً، ولكنك لا تريد أن يفهم الآخرون.

٤ ـ ضيق المقام: وذلك حين يُضْطَرّنا الكلام إلى عدم الإطالة. كقول الشاعر:

قَالَ لِي: كَيْفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عَلِيلُ؛
سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ

أي: أنا عليلٌ. ومن ضيق المقام خوفُ فواتِ الفرصة السانحة، كأن يصرخ الصياد: «أرنب». فلو أطال لأمكن فرار الأرنب وفوات الفرصة.

٥ ـ تَيَسُّر الإنكار: كأن تقول: جبان ضعيف، بعد ذكر شخص لم تذكر مَنْ هو، فإذا شئت أنكرت القصد.

٦ ـ ما وَقَعَ مَثَلاً في الكلام: كقولهم: «أَخْلَفُ من عُرْقوب». والمقصود: هو أخلف.

٧ ـ المحافظة على الوزن: كقول الشاعر:

عَلَى أَنَّنِي رَاضٍ بِأَنْ أَحْمِلَ الْهَوَى
وَأَخْلُصَ مِنْهُ لاَ عَلَيَّ وَلاَ لِيَا

والمقصود: لا شيءَ عليَّ ولا شيءَ لي.

٨ ـ الترفُّع عن ذكر المسند إليه: كقولك: خسيسٌ، دنيءٌ. وتقصد: فلان خسيس دنيء.

٩ ـ التعظيم: فتترك ذكر المسند إليه لتعظيمه، كقولك: خالقُ الأكوان. وتقصد: الله خالق الأكوان.

١٠ ـ تكثير الفائدة: كقول الآية: ﴿**صبرٌ جميل**﴾؛[١١] والمقصود: حالكم صبرٌ جميل.

---

(١١) يوسف / ١٨، ٨٣

١١ ـ أن تعيّنه «أل» العهدية:[١٢] كقول الآية: **﴿واستوت على الجوديّ﴾**.[١٣] والمقصود هنا السفينة التي صنعها نوح، لكن الكلام وسياق الآيات دلاّ عليا، فأُهمل ذكرها.

١٢ ـ أن يقع المسند إليه جواباً للاستفهام: كقول الآية: **﴿هل أتاك حديث الغاشية؟ وجوه يومئذ خاشعة﴾**،[١٤] والمقصود: أصحاب الوجوه خاشعون.

٥ ـ تعريف المسند إليه: أصل المسند إليه أن يكون معرفة، لأننا حين نحكم على طرف في الكلام يجب أن نعرفه. وقد جاء التعريف بسبعة أشياء نذكرها تباعاً:

أ ـ التعريف بالإضمار: أي أن يكون المسند إليه ضميراً، إما في مقام الخطاب، كقول ابن الرومي:

وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ سُوءٍ   قِصَّتُهُمْ قِصَّةٌ تَطُولُ

وإما في مقام التكلُّم، كقول المتنبي:

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى أَدَبِي
وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ

وإما في مقام الغيبة، كقول الشاعر:

هِيَ الْحَيَاةُ تَعَلَّمْ كَيْفَ تَحْيَاهَا
وَلاَ تَكُنْ خَامِلَ الإِحْسَاسِ تَيَّاهَا

---

(١٢) تقول موسوعة الحروف في «أل» العهدية: «وهي التي تدخل على النكرة فتفيدها درجة من التعريف تجعل مدلولها فرداً معيناً بعد أن كان مبهماً شائعاً»، ويكون مصحوبها معهوداً ذِكْرِيّاً، أي مذكوراً قبلها في الكلام، نحو قوله تعالى: **﴿كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعونُ الرسولَ﴾**. (المزمل: ١٥ ـ ١٦)... أو معهوداً ذِهْنِيّاً، أي معهوداً في الذهن، كأن يسأل طالبٌ زميلَهُ: «ما أخبار الجامعة؟»... ومنه قوله تعالى: **﴿إذْ يُبايعونك تحت الشجرة﴾** (الفتح: ١٨)؛ أو معهوداً حضورياً، أي معهوداً حاضراً وقت التكلم يعيه المتكلم والسامع معاً، نحو: «اليوم تُعْلَن نتائج الامتحان». (إميل بديع يعقوب، موسوعة الحروف في اللغة العربية، ص ٩٨ ـ ٩٩).

(١٣) هود / ٤٤

(١٤) الغاشية / ١ ـ ٢

ب ـ **التعريف بالعَلَمِيَّة:** وهو أن يكون المسند إليه عَلَماً، وعندئذ يتميز به عمّا سواه. كقول الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات:

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَلْمَاءُ

وربما أفاد العلمُ بعض الأغراض المعنوية، إلى جانب علميته، مثل:

ـ **المدح**، في: صلاح الدين، والمُعِزّ لِلّه...

ـ **الذم**، في: تأبّط شرّاً.

ـ **الكناية**، في: أبو لَهَب (وهو كناية عن لَهَب الجحيم، أي أنه جهنّميّ)، كما في الآية: ﴿**تبّت يدا أبي لهب وتب**﴾.(١٥)

ج ـ **التعريف بالإشارة:** وهو أن يكون المسند إليه اسم إشارة وذلك ليكون حاضراً محسوساً ويتعرف إليه السامع. كقولنا: هل هذا لك؟ إذا كنتَ لا تعرف له اسماً.

وقد تكون لاستعمال التعريف بالإشارة أغراض، أشهرها:

١ ـ **إظهار القرب:** كقولنا: هذه مدرستي.

٢ ـ **إظهار التوسّط في المسافة:** كقولنا: ذاكَ صديقي قادماً.

٣ ـ **إظهار البعد:** ذلك اليوم ـ يوم الثواب ـ بعيد.

٤ ـ **التعظيم:** ويكون بإظهار القرب، نحو قول الآية: ﴿**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أَقوَم**﴾(١٦)، أو بإظهار البعد، كقول الآية: ﴿**ذلك الكتابُ لا ريبَ فيه**﴾.(١٧)

٥ ـ **التحقير**، بإظهار القرب، كقول الآية: ﴿**هل هذا إلا بشر مثلكم؟**﴾(١٨) أو بإظهار البعد، كقول الآية: ﴿**فذلك الذي يَدُعُّ اليتيمَ**﴾.(١٩)

---

(١٥) المسد / ١

(١٦) الاسراء / ٩

(١٧) البقرة / ٢

(١٨) الأنبياء / ٣

(١٩) الماعون / ٢

٦ ـ **التعظيم:** كقول الفرزدق يفخر بأهله:

أُولَـئِـكَ آبَـائِـي، فَـجِـئْـنِـي بِمِـثْـلِـهِـمْ
إِذَا جَـمَـعَـتْنَا، يَـا جَـرِيـرُ، الْمَجَـامِـعُ

٧ ـ **التنبيه:** كقول الآية: ﴿**أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾.[٢٠]

د ـ **التعريف بالموصوليّة:** وهو أن يكون المسند إليه اسم موصول، كقول الآية: ﴿**إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق**﴾.[٢١] وقد يستعمل التعريف بالموصولية لأغراض بلاغية خاصة، أبرزها:

١ ـ **التعظيم:** كقول أبي نواس في الخمر يعظمها:

مَضَى بِهَا مَا مَضَى مِنْ عَقْلِ شَارِبِهَا
وَفِي الزُّجَاجَةِ بَاقٍ يَطْلُبُ البَاقِي

٢ ـ **التشويق:** ويُعْرَف من صِلَة الموصول، إذا كان شيئاً غريباً، نحو قول الشاعر:

وَالَّـذِي حَـارَتِ الْـبَـرِيَّـةُ فِـيـهِ
حَـيَـوَانٌ مُـسْـتَـحْـدَثٌ مِـنْ جَـمَـادِ

٣ ـ **الإضمار،** وإخفاء الأمر عن السامع، كقول الشاعر:

وَأَخَـذْتُ مَـا جَـادَ الأَمِـيـرُ بِـهِ
وَقَـضَـيْـتُ حَـاجَـاتِـي مِـنَ الأُخْـرَى

٤ ـ **التنبيه إلى الخطأ:** كقول الشاعر:

إِنَّ الَّـذِيـنَ تَـرَوْنَـهُـمْ إِخْـوَانَـكُـمْ
يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا

---

(٢٠) البقرة / ٥، ولقمان / ٥

(٢١) الرعد / ١٩ ـ ٢٠

وكقول الآخر:

إِنَّ الَّتِي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّهَا

خَلَقَتْ هَوَاكَ كَمَا خَلَقْتَ هَوًى لَهَا

فالتنبيه، في البيت الأول كان إلى خطإ المخاطَب، أما في البيت الثاني فكان إلى خطإ سواه.

٥ ـ **التوبيخ**: كقول الآية: ﴿**ما عندكم يَنفَدُ وما عند الله باقٍ**﴾.[٢٢]

هـ ـ **التعريف بـ «أل»**: وهو أن يكون المسند إليه معرَّفاً بـ «أل» العهدية أو الجنسية لعدد من الأغراض.

١ ـ **التعريف بـ «أل العهدية»**: وهي التي تدخل على النكرات فتفيد عندئذ شيئاً من التعريف وتجعلها بمنزلة المعارف، وتجعل مدلولها فرداً معيناً، وكان قبل دخولها نكرة، فيصير لذلك معهوداً «خارجاً بين المتخاطبين».[٢٣] وعهده يظهر بتقدمه ذكرياً أي صراحةً، كقول الآية: ﴿**كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعونُ الرسول**﴾[٢٤]، أو بتقدمه ذهنياً، أي تلويحاً، كقول الآية: ﴿**وليس الذكر كالأنثى**﴾[٢٥]، أو بتقدمه حضوريّاً، أي حضوره بذاته، كقول الآية: ﴿**اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي**﴾.[٢٦]

٢ ـ **التعريف بـ «أل الجنسية»**: وهي التي تستعمل لتعريف الجنس، ويراد بالجنس «واحد يدل على أكثر منه».[٢٧] وتأتي في المسند إليه للأغراض التالية:

---

(٢٢) النحل / ٩٦

(٢٣) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ١٣٢

(٢٤) المزمل / ١٥ ـ ١٦

(٢٥) آل عمران / ٣٦. وقد وردت لفظة «الذَّكَر» هنا بعد آية سابقة ﴿**ربِّ إني نذرت لك ما في بطني محرّراً**﴾ (آل عمران / ٣٥)، فحلت محل «ما».

(٢٦) المائدة / ٣

(٢٧) الرماني، حروف المعاني، طرابلس: دار الشمال، ١٩٨٨، ص ٦٨

أ ـ **لاستغراق الأفراد**، كقول الآية: **﴿وخُلِقَ الإنسان ضعيفا﴾**[٢٨]، أي كل إنسان.

ب ـ **لاستغراق خصائص الأفراد**، وهي التي تفيد شمول صفة واحدة كل الأفراد، كقول الآية: **﴿إن الإنسان لفي خُسر﴾**.[٢٩]

ج ـ **لتعريف الماهية**، وهي التي تفيد «أن الجنس يراد منه حقيقته القائمة في الذهن ومادته التي تكون منها في العقل بغير نظر إلى ما ينطبق عليه من أفراد قليلة أو كثيرة، ومن غير اعتبار لعددها، أو لصفة طارئة عليها»[٣٠]، كقول الآية: **﴿والله يعلم المفسدَ من المصلح﴾**.[٣١]

د ـ **للتعويض**، إما من همزة اسم الله، لأن الأصل فيه «إله»، واما للتعويض من ياء النسبة، كما في لفظتي اليهود والمجوس، وأصلهما يهوديون ومجوسيون، وهما معرفتان[٣٢]، كما في قول الشاعر:

أَحَـادِ تَـرَى بُـرَيْـقـاً هَـبَّ وَهْـنـاً
كَـنَـارِ مَـجُـوسَ تَـسْـتَـعِـرُ اسْـتِـعَـارَا

وفي قول الآخر:

فَـرَّتْ يَـهُـودُ وَأَسْـلَـمَـتْ جِـيـرَانَـهَـا
صَـمِّـي لِمَا فَـعَـلَـتْ يَـهُـودُ صَـمَـامِ

---

(٢٨) النساء / ٢٨

(٢٩) العصر / ٢

(٣٠) إميل بديع يعقوب، موسوعة الحروف في اللغة العربية، ص ٩٩

(٣١) البقرة / ٢٢٠

(٣٢) راجع: الرماني، معاني الحروف، ص ٧٠

ومنه قول الحديث: «فخرجت يهودُ بمساحيها».[٣٣]

و ـ **التعريف بالإضافة**: وهو أن يُستعمل المسند إليه مضافاً إلى معرفة من المعارف، وذلك لغرض من الأغراض البلاغية التالية:

١ ـ **إحضاره في ذهن السامع**، كقولنا: ضاع دفتري، فإن هذا اسرع وأقصر من قولي ضاع الدفتر الذي لي (أو الذي أملكه).

٢ ـ **التعظيم**: كقول الآية: ﴿**شهرُ رمضانَ الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس**﴾[٣٤]؛ فإضافة «شهر» إلى «رمضان» عظمت الأول.

٤ ـ **التحقير**: كقول المتنبي هاجياً كافوراً:

أَكُلَّمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُوءِ سَيِدَهُ

أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ؟

٥ ـ **الاختصار**: كقول الشاعر السجين:

هَوَايَ مَعَ الرَكْبِ اليَمَانِينَ مُصْعِدٌ

جَنِيبٌ، وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثَقُ

ز ـ **التعريف بالنداء**: وهو أن يدخل حرف من حروف النداء على المسند إليه فيعرّفه، نحو قول الشاعر:

يَا أَعْدَلَ النَاسِ إِلاَّ فِي مُعَامَلَتِي

فِيكَ الخِصَامُ وَأَنْتَ الخَصْمُ وَالحَكَمُ

---

(٣٣) هناك أنواع أخرى من «أل»، نعددها من غير أن نتوقف عندها، وهي: «ال» الموصولية، وهي جزء من اسم الموصول؛ و«أل» التي للحضور، وهي الواقعة بعد اسم الإشارة؛ و«أل» التي للغلبة، وهي في أصل «أل» العهدية، ولكن معلومها صار علماً بالغلبة لأنه غلب على بعض ما له معناه؛ و«أل» التي للمح الأصل، وتفيد التنبيه إلى الأصل، وهي بمنزلة الزائدة؛ و«أل» الزائدة اللازمة، وهي التي تقترن باسم معرفة ولا تفارقه؛ و«أل» الزائدة غير اللازمة، وهي التي تدخل على المعرفة أو النكرة فلا تغير فيهما شيئاً؛ و«أل» التي هي بدل من الضمير؛ و«أل» التي للتعظيم، وتكون في لفظ الجلالة (الله)؛ و«أل» الاستفهامية، وهي التي بمعنى «هل» (ولعلها لغة عند بعضهم). راجع كل هذا مفصلاً في: إميل بديع يعقوب، موسوعة الحروف في اللغة العربية، ص ٩٨ ـ ١٠٦.

(٣٤) البقرة / ١٩٥

٦ ـ **تنكير المسند إليه:** يُنَكَّر المسند إليه لأن السامع يجهله حقيقةً أو ادّعاء. ولكن، قد يكون للتنكير هدف بلاغي آخر غير إظهار الجهل. وأشهر تلك الأغراض البلاغية:

١ ـ **التكثير:** نحو قول الآية: ﴿**وإن يكذبوك فقد كُذِّبَتْ رُسُلٌ من قبلك وإلى الله ترجع الأمور**﴾.[٣٥]

٢ ـ **التقليل:** كقول الآية: ﴿**فمن عُفِيَ له من أخيه شيءٌ فاتّباعٌ بالمعروف...**﴾[٣٦] فلفظة «شيء» هنا تفيد القلة.

٣ ـ **التحقير أو التعظيم:** وقد جمعهما قول الشاعر:

وَلِـلَّـهِ عِـنْـدِي جَـانِـبٌ لاَ أُضِـيـعُـهُ،

وَلِـلَّـهْـوِ عِـنْـدِي وَالْخَلاَعَـةِ جَـانِـبُ

ففي الشطر الأول من البيت تفيد لفظة «جانب» التعظيم، وفي الشطر الثاني تفيد التحقير.

٤ ـ **إخفاء الأمر عن السامع:** كقولهم: قال قائل إنك فشلت.

٥ ـ **الدلالة على النوع:** كقولك: لكل مشكلةٍ حَلٌّ.

٧ ـ **تقديم المسند إليه:** يقول عبد القاهر الجرجاني في التقديم: «واعلم أن تقديم الشيء على وجهين ـ تقديم يُقال إنه على نية التأخير، وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه... وتقديمٌ لا على نيّة التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم وتجعله باباً غير بابه، واعراباً غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له فتقدم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا».[٣٧] ويقول القزويني: «وأما تقديمه (أي تقديم المسند إليه): فلكون ذكره أهم، إما لأنه الأصل ولا مُقتضى للعدول

---

(٣٥) فاطر / ٤

(٣٦) البقرة / ١٧٨

(٣٧) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٨٣

عنه، وإما ليتمكن الخبر في ذهن السامع، لأن في المبتدأ تشويقاً إليه... وإما لتعجيل المسرّة أو المَسَاءَة للتفاؤل أو التطيُّر... وإما لإيهام أنه لا يزول عن الخاطر أو أنه يُسْتَلَذُّ به؟ وإما لنحو ذلك».[٣٨]

ونقول إن مرتبة المسند إليه، أصلاً، التقديم، فهو الذي نفكّر فيه أولاً، وعلى أساسه نبني الحكم، ونشكّل الخبر، ولا نستطيع أن نحكم إلا إذا عرفنا ما نحكم عليه. أما دواعي التقديم البلاغية فهي التالية:

١ ـ **لفت النظر إلى أهميته:** كقول الآية: ﴿**قل: الروحُ من أمر ربي**﴾.[٣٩]

٢ ـ **تعجيل المسرّة:** نحو قولكَ: نجاحُكَ الباهرُ بَلَغني خَبَرُهُ.

٣ ـ **تعجيل المساءة:** نحو قولك: المجرمُ في منزلِ صديقِكَ.

٤ ـ **التشويق:** كقول أبي العلاء المعرّي:

وَالَّـذِي حَـارَتِ الْـبَـرِيَّـةُ فِـيـهِ
حَـيَـوَانٌ مُـسْـتَـحْـدَثٌ مِـنْ جَـمَـادِ

٥ ـ **التلذّذ:** بمعنى أن ذكره يلذّ من يذكره، نحو قولك: أسماءُ جاءت، وأسماءُ مرت بنا.

٦ ـ **التخصيص:** وفيه قال الجرجاني: «وقد يُقَدَّم ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي إن ولي حرف النفي»[٤٠]؛ وهذا كقول الشاعر:

وَمَـا أَنَـا أَسْـقَـمْـتُ جِـسْـمِـي بِـهِ
وَلاَ أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارَا

٨ ـ **تـأخير المسند إليه:** يؤخر المسند إليه حين تدعو الحاجة إلى تقديم المسند، وسنبين هذه الحالات لاحقاً عندما نتناول المسند.

---

(٣٨) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ٧٤ ـ ٧٥

(٣٩) الإسراء / ٨٥

(٤٠) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ٧٥؛ وقارن: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٩٦ وما بعدها.

المسند

١ ـ التعريف بالمسنَد: المسنَد هو الحكم الذي يعطى لاسم ما، ويكون كالصفة الملازمة له، أو كالإخبار عنه؛ فهو وصف يُسْنَد إلى الاسم. كقولك: الشمسُ مشرقة، فقد حكمت على الشمس بالإشراق، وأسندت إليها تلك الصفة.

٢ ـ أنواع المسنَد: المسند أنواع، هي:

١ ـ الفعل التام: سواء أكان معلوماً، كقول الآية: ﴿**لو شاءَ اللهُ لجَعَلَهم أمةً واحدةً**﴾[١]، أم مجهولاً، كقول الآية: ﴿**يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ**﴾.[٢]

٢ ـ خبر المبتدأ: كقول الشاعر واصفاً المطر:

غَـيْـثَـانِ: فَـالأَنْـوَاءُ غَـيْـثٌ ظَـاهِـرٌ
لَكَ فِعْلُهُ، وَالصَحْوُ غَيْثٌ مُضْمَرُ

و«غيث» في هذا البيت هي الخبر، وهي، بالتالي، المسند إليه.

٣ ـ المبتدأ العامل في ما بعده، المكتفي بمرفوعه: كقول الآية: ﴿**أَرَاغبٌ أنت عن آلهتي يا إبراهيم**﴾[٣]؛ وكقول الشاعر:

أَقَاطِنٌ قَوْمُ سَلْمَى أَمْ نَوَوا ظَعَناً؟
إِنْ يَظْعَنُوا فَعَجِيبٌ عَيْشُ مَنْ قَطَنَا

---

(١) الشورى / ٨

(٢) إبراهيم / ٤٨

(٣) مريم / ٤٦

فـ «قاطنٌ» هنا مبتدأ و«قومٌ» فاعل له سَدَّ مَسَدّ الخبر؛ فالأولى مسند والثاني مسند إليه.

٤ ـ خبر الناسخ: كقول السموأل بن عادياء:

سَلِي إِنْ جَهِلْتِ النّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمُ
فَلَيْسَ سواءً عَالِمٌ وَجَهُولُ

٥ ـ مفعول ظَنَّ وأخواتها الثاني: كقول الشاعر:

رَأَيْتُ اللّهَ أَكْبَرَ كُلِّ شَيْءٍ ... مُحَاوَلَةً وَأَكْثَرَهُمْ جُنُودَا

وكقول الآية: ﴿**وإني لأَظُنُّكَ يا فِرْعَونُ مثبوراً**﴾.(٤)

٦ ـ مفعول أَرَى وأخواتها الثالث: كقول الآية: ﴿**كذلك يُريهم اللهُ أعمالَهُم حَسَرَاتٍ عليهم**﴾(٥)، وكالآية: ﴿**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ في منامكَ قليلاً، ولَوْ أَراكَهُمْ كثيراً لَفَشِلْتُم**﴾.(٦)

٧ ـ المصدر (المفعول المطلق) النائب عن فعل الأمر: كقول الآية: ﴿**وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين**﴾.(٧)

٨ ـ اسم الفعل: كقول الشاعر:

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ
وَهَيْهَاتَ خِلٌّ بِالعَقِيقِ نُوَاصِلُهْ

---

(٤) الإسراء / ١٠٢،

(٥) البقرة / ١٦٧

(٦) الأنفال / ٤٤. وقد يكون الفعلُ مجهولاً، فيصير مفعول الفعل المعلوم الثالث مفعولاً ثانياً في المجهول، بعد أن يتحول المفعول الأول نائب فاعل، كقول الأعشى:

وَأُنْبِئْتُ قَيْساً، وَلَمْ أَبْلُهُ ... ـ كَمَا زَعَمُوا ـ، خَيْرَ أَهْلِ الْيَمَنْ

وكقول غيره:

وَخُبِّرْتُ سَوْدَاءَ الْغَمِيمِ مَرِيضَةً ... فَأَقْبَلْتُ مِنْ أَهْلِي بِمِصْرَ أَعُودُهَا

(٧) البقرة / ٨٣

٣ ـ حذف المسند: يحذف المسند لعدد من الأغراض البلاغية، أهمها الآتية:

١ ـ إذا كانت تدل عليه قرينة في النص: كقول الآية: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السمواتِ والأرضَ لَيَقُولُنَّ: الله**﴾.[٨] وكقول الأعشى:

إنَّ مَحَلاًّ، وَإِنَّ مُرْتَحَلاً ... وَإِنَّ فِي السَفْرِ، إِذَا مَضَوا، مَهْلاَ

٢ ـ الابتعاد عن الحشو: كقول الآية: ﴿**إن اللهَ بريءٌ من المشركين ورسولُهُ**﴾[٩]، فقد رُفِعَت لفظة «ورسولُه» على نية الابتداء، والمقصود: ورسولُهُ بريء من المشركين، فذكرت لفظة و«رسوله» وأُسقط ما بعدها ابتعاداً عن الحشو.

٣ ـ ضيق المقام وتعذّر الإطالة: كقول الشاعر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْـ ... ـدَكَ رَاضٍ وَالرَأْيُ مُخْتَلِفُ

٤ ـ مجاراة كلام العرب وأمثالهم: كقول المَثَل: «رميةٌ من غَيْرِ رامٍ». والمقصود: هذه رميةٌ من غيرِ رامٍ.

٥ ـ بعد «إذا» الفجائية: كقولنا: وصلتُ فإذا الحارسُ. والمقصود: فإذا الحارسُ أمامي.

٤ ـ ذكر المسند: يُذكر المسند للأغراض التالية:

١ ـ إذا كان هو الأصل وعليه يُبنى الكلام: كقول الشاعر:

أَنْتِ مِثْلُ الْغُصْنِ لِيناً ... وَشَبِيهُ الْبَدْرِ حُسْنَا

٢ ـ إذا ضعفت دلالة القرينة: وهذا لأن ضعف دلالتها قد يؤدي إلى سوء الفهم. وذلك نحو قول الشاعر:

أَلسحبُ تُعطي وتبكى ... وأنت تعطي وتضحكْ

فلو حذفت «تعطي وتضحك». لما استقام لك المعنى لأن قرينة البيت غير كافية من غير ذكر المسند.

---

(٨) لقمان / ٢٥، والزمر / ٣٩

(٩) التوبة / ٣

٣ ـ إذا ضعف تنبّه السامع إليه، كقوله تعالى: ﴿**الله نور السموات والأرض...**﴾[١٠] فإذا حذفت المسند لم تدرك المعنى.

٤ ـ إذا كان المسند في معرض الرد على المخاطب: كقوله تعالى: ﴿**قل: يحييها الذي أنشأها لأول مرة وهو بكل خلق عليم**﴾.[١١] وذلك رداً على من سأل: ﴿**من يحيي العظام وهي رميم؟**﴾.[١٢]

٥ ـ إذا أُريد من المسند إفادته الفعلية دليلاً على الحدوث، أو الاسمية دليلاً على الثبات: فمثال على الأول قول الشاعر:

هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا ... لِجَارِهِمِ بَيْنَ السماكِينِ مَنْزِلُ

فالمسند «يمنعون الجار» يدل على الحدوث والحركة.

ومثال على الثاني قول الشاعر:

هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَوَاحِي أَتَيْتَهُ ... فَلُجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ وَالْبِرُّ سَاحِلُهْ

فقد ثبّت حال الوسع كالبحر في الممدوح. ومثال على حالي الفعل والاسم معاً قوله تعالى: ﴿**يخادعون اللهَ وهو خادِعُهم...**﴾[١٣] فقد أظهرت الآية حال التقلّب في مخادعة الفاعل (هم)، وحال الثبات في «وهو خادعهم».

٥ ـ تعريف المسند: يُعَرَّف المسند لغرض من الغرضين التاليين:

١ ـ إذا كان الهدف إفادة السامع بأمر حُكِمَ عليه حكماً غير الحكم الذي يعرفه. نحو: هو المنقذ. فأنت هنا أسندت الإنقاذ إلى الضمير هو، وعرّفتَ السامع بأنّه «المنقذ»، وهو حكم ربما كان يجهله عنه.

---

(١٠) النور / ٣٥

(١١) يس / ٧٩

(١٢) يس / ٧٨

(١٣) النساء / ١٤٢

٢ ـ قصر الحكم على المسند إليه حقيقةً أو مبالغةً. كما في قولك، مثالاً على الأول: زيدٌ الشاعرُ في هذه الغرفة، إذا لم يكن فيها شاعر سواه. وكما في قول الشاعر مثالاً على الحال الثانية:

هُـمِ الْـغُـيُـوثُ إِذَا مَـا أَزْمَـةٌ أَزِمَـتْ
وَالأُسْدُ، أُسْدُ الشَرَى، وَالْبَأْسُ مُحْتَدِمُ

فتعريف «الغيوث» هنا جاء من أجل المبالغة.

٦ ـ تنكير المسند: ينكّر المسند لأحد الأغراض التالية:

١ ـ إذا أريد منه إفادة حصر المعنى. نحو قولك: أخوك ملكٌ وأنتَ الحاشية؛ فقد أُريد هنا حصر معنى العظمة في «أخيك» من خلال لفظة «ملك».

٢ ـ للتعظيم: نحو قوله تعالى: **﴿ذلك الكتاب، لا ريب فيه، هدًى للمتقين﴾**.[١٤] فلفظة «هدًى» هنا منكّرة لإرادة تعظيم المسند إليه «الكتاب».

٣ ـ للتحقير: نحو قول ابن الرومي في هجاء عمرو:

وُجُـوهُـهُـمْ لِـلْـوَرَى عِـظَـاتٌ   لَـكِـنَّ أَقْـفَـاءَهُـمْ طُـبُـولُ

فقد نَكّر لفظة «طبول» لإرادة تحقير الأقفاء.

٧ ـ تقديم المسند: يقدم المسند على المسند إليه لغرض من الأغراض التالية:

١ ـ إذا كان له حق الصدارة: كقوله تعالى: **﴿أين شركاؤهم الذين كنتم تزعمون...﴾**[١٥]

٢ ـ إذا أريد له أن يُخصّصه المسند إليه، كقوله تعالى: **﴿ولله ما في السموات وما في الأرض...﴾**[١٦]

---

(١٤) البقرة / ٢

(١٥) الأنعام / ٢٢

(١٦) آل عمران / ١٢٩

٣ ـ **إذا أريد به التنبيه على أنه خبر، لا نعت، للمسند إليه:** كقول الشاعر:

فِي كَفِّهِ قَلَمٌ يَمُجُّ لُعَابُهُ   سُمّاً وَيَنْفُثُهُ عَلَى الأَوْرَاقِ

فقد تقدم المسند «في كفه» على المسند إليه «قلم» لأنه، لو تأخر لَظُنَّ نعتا وهو ليس بنعت.

٤ ـ **التشويق:** بمعنى أن تأخيره يجعل السامع يشتاق إلى معرفته، نحو قوله تعالى: ﴿**إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآياتٍ لقوم يتّقون...**﴾(١٧)

٥ ـ **القَصر:** بمعنى أن يكون المسند إليه مقصوراً على المسند، كقوله تعالى: ﴿**لكم دينكم ولي دين...**﴾(١٨) فقد قصر دينَ الكفار هنا عليهم ودينه عليه، فكأنه قال: دينكم مقصور عليكم، وديني مقصور عليّ.

٦ ـ **إذا أردتَ تعجيل الحكم للمخاطب،** كالمدح والذم والتعظيم والتحقير، وما سوى ذلك، كقولك: ميمونٌ وصولُكَ. فقد أردت تعجيل المسرّة هنا فقدّمت.

٨ ـ **المسند المفرد:** المسند المفرد قسمان:

١ ـ **فعل،** كقول الشاعر:

نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعَالِبِهَا   فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفْنَى الْعَنَاقِيدُ

فـ «نامت» و«بشمن» و«تفنى» أفعال، وكلها مسند.

٢ ـ **واسم،** كقول الشاعر:

وَالْبَحْرُ خَفَّاقُ الْجَوَانِبِ ضَائِقٌ   كَمَداً كَصَدْرِي سَاعَةَ الإِمْسَاءِ

ف «خفّاق» و«ضائق» كلاهما اسم.

٩ ـ **المسند الجملة:** المسند الجملة ثلاثة أنواع:

١ ـ **ما كان سببيّاً:** كقولك: الولدُ ضَرَبَهُ أبوه، أو: الولدُ أبوه ضَارِبُهُ.

---

(١٧) يونس / ٦

(١٨) الكافرون / ٦

٢ ـ ما كان للتخصيص: أي لتخصيص الحكم بالمسند إليه، كأن تقول: هي بَكَتْ عند رحيلك، فكأنك تريد: هي التي بكت، لا سواها.

٣ ـ ما كان للتأكيد: كقول الشاعر:

كِلانَا بَكَى، أَوْ كَادَ يَبْكِي صَبَابَةً   إِلَى إِلْفِهِ، وَاسْتَعْجَلَتْ عَبْرَةً قَبْلِي

فالإسناد في «كلانا بكى» يتكرر مرتين كأنما للتأكيد.

ونلفت إلى أن التخصيص والتأكيد قد يتداخلان، أو يتقاربان في المعنى إلى حد التداخل.

١٠ ـ المسند الظرف أو شبه الجملة: قد يكون المسند ظرفاً أو شبه جملة[١٩]، وذلك بهدف الاختصار، كقول الشاعر:

لِخَوْلَةَ أَطْلاَلٌ بِبَرْقَةِ ثَهْمَدِ   تَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

فـ «أطلال» المسند إليه جاء مسنده «لخولة» جاراً ومجروراً.[٢٠]

(١٩) المسند، في الحقيقة، هو متعلق الظرفِ أو شبهِ الجملة (وهو محذوف)، ولكن الظرف أو شبه الجملة يدلان عليه ويشكلان جزءاً متبقّياً منه.

(٢٠) وإذا شئتَ هنا جعلتَ المسند «ببرقة ثهمد»، وجعلت «لخولة» جاراً ومجروراً متعلقين بحال مقدمة محذوفة.

الفصل الرابع:

أحوال متعلقات الفعل

١ ـ تعريف وتحديد: الأصل في الجملة الفعلية العربية أن يتقدم الفعل على باقي الأركان. وربما تعلّق الفعل بغير فاعله لغرض من أغراض المتكلم، وكلها فضلات، لا عمدات، كالمفعول به، والحال، وشبه الجملة، وغير ذلك، وكلها دون الفعل في الأهمية، لذلك تتأخر عنه عموماً.

ولكن، ربما تقدّم متعلق من متعلقات الفعل عليه لغرض بلاغي، كأن يتقدم المفعول على الفعل، أو يحذف. ومسألتا التقدم والحذف هما المسألتان اللتان سنتناول.

٢ ـ حذف المتعلق: ما من قاعدة ثابتة تضبط ذكر المتعلق أو حذفه، إلا حاجة المعنى والتركيب إليه. فإذا كان في الكلام ما يغني عن ذكره حُذِف، كقوله تعالى: ﴿**قل: لو شاء اللهُ ما تَلَوْتُهُ عليكم ولا أدراكم به...**﴾[1] وإذا كان في الكلام ما يوجب ذكره ذُكِرَ، كما في قول الشاعر:

وَمَنْ يَصْنَعِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ ... يَكُنْ حَمْدُهُ ذَمّاً عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ

فمن اللازم هنا أن يذكر الشاعر المفعول به «المعروف» لئلا يلتبس المعنى. لكن هناك بعض الحالات البلاغية الأخرى التي تستدعي أحياناً حذف المفعول به، وهي:

(١) يونس / ١٦

١ ـ **التعميم**: ومعناه ألاّ يُحْصَرَ الفعلُ في مفعول واحد، لأن الكلام يُتَوَخّى منه التعميم. كقوله تعالى: ﴿**أولئك الذين أنْعَمَ الله عليهم من النبيّين من ذرّيّة آدم وممّن حَمَلنا مع نوح ومن ذرّية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجْتَبَيْنَا**...﴾[٢] فقد وردت في الآية الأفعال «حملنا» و«هدينا» و«اجتبينا» من غير أن يُذكر لها مفعول به لأن المقصود بها الشمول والتعميم.

٢ ـ **لمراعاة الإيقاع الصوتي**: أي لمراعاة الفواصل الكلامية التي تجعل للنثر إيقاعاً خاصاً وتقسيماً موسيقياً يُجَمِّلُه، نحو قوله تعالى: ﴿**سَبّح اسمَ ربِّكَ الأعلى، الذي خلق فسوّى، والذي قدّر فهدى**...﴾[٣] فقد حُذِفَ مفعول كل من «خلق»، و«سوّى»، و«قدّر» و«هدى» لتستوي الفواصل الصوتية، إضافة إلى إرادة التعميم.

٣ ـ **للاختصار**: بمعنى أنه يُحْذَف لإيجاز الكلام. كقول الشاعر:

تَـمَنَّيْتَهَا لَمَّا تَـمَنَّيْتَ أَنْ تَرَى ... صَدِيقاً فَأَعْيَا أَوْ عَدُوّاً مُدَاجِيَا

فقد حذف المتنبي هنا مفعول «أعيا» للإيجاز، ولم يقل «فأعياك». وكقوله تعالى: ﴿**ألم يجدك يتيماً فآوى، ووجدك ضالاً فهدى، ووجدك عائلاً فأغنى**...﴾[٤]

٣ ـ **تقديم المتعلق**: قد يتقدّم المتعلّق على الفعل لأسباب ودواعٍ بلاغية متعددة، نذكر في ما يلي أبرزها:

أ ـ **تقديم الحال والظرف والجار والمجرور**: يتقدم كل من الحال والظرف والجار والمجرور للأسباب التالية:

١ ـ **لتخصيصها بالفعل**: كقوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَهِ تُحْشَرُونَ**...﴾[٥] فقد تم تقديم الجار والمجرور في هذه الآية من أجل تخصيص الله بالفعل (فعل الحشر) وتعظيمه.

---

(٢) مريم / ٥٨

(٣) الأعلى / ١ ـ ٣

(٤) الضحى / ٦ ـ ٨

(٥) آل عمران / ١٥٨

٢ ـ **لمراعاة الإيقاع الصوتي:** كقوله تعالى: ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُون؟ عن النبإ العظيم، الذي هم فيه مختلفون. كلا سيعلمون...**﴾[٦] فقد قُدِّم الجار والمجرور «فيه» لتستقيم الفاصلة الكلامية، ويستقيم إيقاع الجملة.

٣ ـ **لمنع الالتباس:** حيث يمكن أن ينتج عن عدم التقديم خلل في فهم المعنى، كقولك: وصل في الليل رجلٌ يحلم. فقد قدمنا الجار والمجرور «في الليل» على الفاعل «رجلٌ» وعلى «يحلم» خوفاً من التباس المعنى فنظن أنه يحلم في الليل والمقصود أنه وصل ليلاً.

ب ـ **تقديم المفعول:** يتقدم المفعول على الفعل للأغراض التالية:

١ ـ **للتخصيص:** أي تخصيصه بالفعل، كقوله تعالى: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين...**﴾[٧]، وكقوله تعالى: ﴿**لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون**﴾.[٨]

٢ ـ **لمراعاة الإيقاع الصوتي:** أي ليستقيم التقسيم المتوازن للجمل، ويتوحد إيقاع أواخرها، كقوله تعالى: ﴿**ومَثَلُ الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صُـمٌّ بُكْم عُمْيٌ فهم لا يعقلون. يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا اللهَ إن كنتم إياه تعبدون**﴾.[٩] فلو جاء هنا «تعبدون إياه» لتغير إيقاع أواخر الفواصل.

٣ ـ **لأهمية المفعول:** نحو قولنا: شوقاً إلى الوطن عدنا، فقد قُدّم المفعول لأجله «شوقاً» لأهميته.

---

(٦) النبأ / ١ ـ ٤

(٧) الفاتحة / ٥

(٨) فصلت / ٣٧

(٩) البقرة / ١٧١ ـ ١٧٢

٤ ـ للتأكيد: كقولك: أخاه كَرّمتُ، ردّاً على من ظنّك كرّمتَ شخصاً آخر.

٥ ـ لمراعاة الوزن في الشعر: كقول الشاعر:

فَمِثْلَ عُلاَكَ لَمْ أَرَ فِي الْمَعَالِي
وَلاَ تَاجاً كَتَاجِكَ فِي الْجَلاَلِ

فإلى جانب أهمية المفعول به هنا، قُدِّم ليستقيم الوزن، لأن الشاعر لو أخّره لانكسر البيت.

الفصل الخامس:

التقييد والإطلاق

١ ـ تعريفهما: التقييد والإطلاق أمران أساسيان مرتبطان بالجملة. يحددهما أحمد الهاشمي كما يلي: «... فالإطلاق أن يُقْتَصَر في الجملة على ذكر المسند والمسند إليه حيث لا غرض يدعو إلى حصر الحكم، ضمن نطاق معين بوجه من الوجوه ـ نحو: الوطن عزيز؛ والتقييد أن يزاد على المسند والمسند إليه شيء يتعلق بهما أو بأحدهما، مما لو أُغفل لفاتت الفائدة المقصودة أو كان الحكم كاذباً، نحو: الولد النجيب يسرّ أهله».[١]

ومعنى هذا الكلام أننا إذا اقتصرنا في الجملة على ذكر المسند والمسند إليه دون سواهما ـ أي على ذكر ما هو عمدة فقط ـ فالجملة مطلقة؛ وإذا ذكرنا فيها ألفاظاً تتعلق بالمسند والمسند إليه ـ أي فضلات ـ فالجملة مقيدة.

ويكون تقييد الجملة بعدة أشياء: بالتوابع، وبضمير الفصل، وبالنواسخ، وبأدوات الشرط، وبأدوات النفي، وبالمفاعيل على أنواعها، وبالحال، وبالتمييز، وكلها فضلات.

٢ ـ التقييد بالنعت: النعت واحد من التوابع. وقد عُدّ كذلك لأنه، كما يقول السيرافي، «صار تابعاً للمنعوت في إعرابه لأنهما لشيء واحد، فصار ما يلحق الاسمَ

---

(١) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ١٥٧ (ها)

يلحق بنعته».[2] وعليه فإن النعت «تابع يكمل متبوعه، أو سببيّ المتبوع، بمعنى جديد يناسب السياق، ويحقق الغرض».[3] ويؤتى به للأغراض التالية:

١ ـ **التوضيح**: وذلك إذا كان المنعوت معرفة. كقول المتنبي واصفاً النساء:

بِأَبِي الشُمُوسُ الجَانِحَاتُ غَوَارِبَا ... أَللاَبِسَاتُ مِنَ الحَرِيرِ جَلاَبِبَا

أَلْمُنْبِهَاتُ قُلُوبَنَا وَعُقُولَنَا ... وَجَنَاتِهِنَّ النَاهِبَاتِ النَاهِبَا

أَلنَاعِمَاتُ الْقَاتِلاَتُ الْمُحْيِيَا ... تُ الْمُبْدِيَاتُ مِنَ الدَلاَلِ غَرَائِبَا...

فالنعوت «الجانحات» و«اللابسات» و«المنبهات» و«الناعمات» و«القاتلات» و«المحييات» كلها لزيادة التوضيح.

٢ ـ **التخصيص**: وذلك إذا كان المنعوت نكرة، نحو قوله تعالى: ﴿**الزجاجة كأنها كوكب درّيٌّ يوقَد من شجرةٍ مُبَارَكةٍ زيتونةٍ لا شرقيّة ولا غربية...**﴾[4] فالألفاظ «درّيّ» و«مباركة» و«زيتونة» كلها نعوت لمنعوتات نكرات من أجل تخصيصها.

٣ ـ **المدح**: نحو قول الرقيّات مادحاً أبا بكر الصديق:

نَحْنُ مِنَّا النَبِيُّ الأُمِّيُّ وَالصِدِّ ... يقُ مِنَّا التَقِيُّ وَالْخُلَفَاءُ

٤ ـ **الذم**: نحو قوله تعالى: ﴿... **وامرأتُه حمّالةُ الحطب في جِيدِها حبل من مَسَد**﴾.[5] فقد ورد نعت المرأة هنا ـ وهي امرأة أبي لهب ـ من أجل ذمها.

٥ ـ **الإشفاق والترحُّم**: كقول أبي فراس واصفاً نفسه في أسره:

إِنَّ فِي الأَسْرِ لَصَبَّا ... دَمْعُهُ فِي الخَدِّ صَبُّ

فجملة «دمعه في الخدّ صَبٌّ» نعت لـ «صَبًّا» يفيد الإشفاق.

---

(٢) سيبويه، الكتاب، ٤٢٢/١ (ها)

(٣) عباس حسن، النحو الوافي، ٤٣٧/٣

(٤) النور / ٣٥

(٥) المسد / ٤ ـ ٥. وهنا يصح في «امرأته»، أي في النعت، الرفعُ على الابتداء أو على أنه معطوف على مضمر قبله، وتكون لفظة «حمّالة» مرفوعةً إذا نعتت مرفوعاً، أو منصوبةً على أنها حال أو مفعول به لمحذوف (راجع: أبو جعفر النحّاس، إعراب القرآن، بيروت: عالم الكتب، ط ٣، ١٩٨٨، ٣٠٦/٥)

٦ ـ **التوكيد**: نحو قولنا: الأمسُ المنصرم كان عظيماً. فـ «المنصرم» نعت للأمس يراد به التوكيد لأنه لا يضيف سواه إلى المعنى فالأمس منصرم حكماً.

٣ ـ **التقييد بالتوكيد**: يكون التقييد بالتوكيد للأغراض التالية:

١ ـ **للتأكيد**: فيتحقق فهم السامع للشيء المقصود، ويزول احتمال سواه، ويتمّ ترسيخ المعنى في ذهنه، كقول الشاعر:

أَلْقَاهُ فِي الْمَاءِ مَكْتُوفاً وَقَالَ لَهُ: إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالْمَاءِ

فقد كرّر لفظة «إياك» ليؤكد على المنع والتحذير.

٢ ـ **للتأكيد مع إرادة الدعاء**: نحو قول الشاعر:

لَكَ اللَهُ عَلَى ذَاكَا لَكَ اللَهُ لَكَ اللَهُ

٣ ـ **للتأكيد مع ترسيخ معنى عدم الشمول**: نحو قوله تعالى: ﴿**فسجد الملائكة كلهم أجمعون...**﴾(٦)

٤ ـ **التقييد بعطف البيان**: يؤتى بعطف البيان للأغراض التالية:

١ ـ **لتوضيح المتبوع**: وإزالة ما قد يعتريه من غموض ولبس، نحو قول الشاعر:

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرْ مَا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلاَ دَبَرْ

فأبو حفص كنية لعدد من الرجال، لذلك ذكر الشاعر «عمر» ليرفع اللبس.

٢ ـ **للمدح**: كقول الشاعر:

إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا مَضَى لِسَبيلِهِ أَقَامَ عَمُودَ الدِينِ آخَرُ سَيِّدُ

ومنه قوله تعالى: ﴿**جعل اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قياماً للناس**﴾.(٧)

٣ ـ **للذم**: كقولك: هذا أخو القردِ عمروٍ، إذا قصدت تحقير عمروٍ وجعله شبيهاً بالقرد.

---

(٦) الحجر / ٣٠، وص / ٧٣

(٧) المائدة / ٩٧

٥ ـ **التقييد بعطف النسق:**[٨] يقيّد التابع بعطف النسق للأغراض التالية:

١ ـ **لتفصيل المسند إليه ولاختصاره:** كقول المتنبي:

أَلْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ

فليس المقصود هنا تفصيل المسند، أي «تعرفني»، بل تفصيل كل من أُسْنِد هذا إليه. فلقد ذكرنا الواو لمطلق العطف، ومنعاً من تكرار المسند، فلا نقول: الخيل تعرفني والليل يعرفني والبيداء تعرفني... إلخ.

٢ ـ **لتفصيل المسند واختصاره:** وذلك إذا عطفت مسنداً على مسنَد كما كانت الحال مع المسند إليه، نحو قول الشاعر:

بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا النَعِيمُ فَصَاغَهَا بِلَبَاقَةٍ، فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا

فقد عطف «صاغها» و«أدقّها» و«أجلّها» على «باكَرَهَا».

٣ ـ **لتصويب فهم السامع واختصار الكلام:** وأكثر ما يكون هذا مع «لا» و«لكن»، نحو قول الشاعر:

قُلْ لِبَانٍ بِقَوْلٍ رُكْنَ مَمْلَكَةٍ عَلَى الْكَتَائِبِ يُبْنَى المُلْكُ لاَ الْكُتُبُ

٤ ـ **لصرف الحكم من ركن إلى ركن آخر:** نحو قوله تعالى: ﴿**قد أفلح من تزكّى، وذكر اسم ربّه فصلّى، بل تؤثرون الحياةَ الدنيا**﴾.[٩]

٥ ـ **للشك أو التشكيك بما يقول المتكلم أو السامع:** كقوله تعالى: ﴿**وإنّا أو إيّاكم لَعَلَى هُدًى أو في ضلال مُبين**﴾.[١٠]

---

(٨) هذا المصطلح كوفيّ الأصل، وقد عمّت شهرته حتى لم يعد يذكر غيره؛ وقد استعمل سيبويه وغيره من البصريين مصطلح «الشركة». (راجع: عباس حسن، النحو الوافي، ٣/٥٥٥).

(٩) الأعلى / ١٤ ـ ١٦. وقد اعتبر بعضهم «بل» هنا حرف ابتداء (راجع: إميل بديع يعقوب، موسوعة الحروف، ص ١٩٠ ـ ١٩١)

(١٠) سبأ / ٢٤

٦ ـ **للتخيير:** كقول عمر بن أبي ربيعة:

فَقُلْتُ: أُبَادِيهِمْ فَإِمَّا أَفُوتُهُمْ   وَإِمَّا يَنَالُ السَّيْفُ ثَأْراً فَيَثْأَرُ

٦ ـ **التقييد بالبدل:** يكون التقييد بالبدل للغرضين التاليين:

١ ـ **لتقوية الحكم السابق وتركيزه وترسيخه:** ومعنى هذا إسقاط كل احتمال عنه، نحو قول الشاعر:

مَشَيْنَاهَا خُطًى كُتِبَتْ عَلَيْنَا   وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطًى مَشَاهَا

فـ «خطى» بدل من «ها» الضمير، وهو يرد هنا لتقوية الحكم السابق، فالمشي ليس مسافاتٍ مثلاً، بل خطًى.

٢ ـ **للمبالغة:** كقولك: جاء سعيدٌ ابني، إذا لم يكن سعيد ابنك، ولكنك استعملت هذا البدل لتظهر تعظيمك لمحبتك.

٧ ـ **التقييد بضمير الفصل (أو القطع):** يكون التقييد بضمير الفصل لعدة أغراض، أشهرها:

١ ـ **التخصيص وتأكيده:** نحو قوله تعالى: ﴿**إن الله هو التّواب الرحيم**﴾.[11]

٢ ـ **منع الالتباس:** وذلك بين الخبر والنعت، أو الخبر والبدل، نحو: أخوك هو الفائز في المباراة؛ ونحو: هذا هو الفائز في المباراة. فإذا أهملتَ ذكر الضمير هنا التبس المعنى في المثلين.

وربما أهمل الشاعر ذكر الضمير ليستقيم له الوزن، كقول أحمد شوقي:

وَإِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاَقُ مَا بَقِيَتْ   فَإِنْ تَوَلَّتْ مَضَوا فِي إِثْرِهَا قُدُمَا

والمقصود: وإنما الأمم هي الأخلاق.

٨ ـ **التقييد بالنواسخ:** يكون التقييد بالنواسخ من أجل إدخال المعاني التي تؤديها هذه النواسخ، فإذا مثّلنا بقول الشاعر:

أَضْحَى التَنَائِي بَدِيلاً مِنْ تَدَانِينَا   وَنَابَ عَنْ طِيبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا

---

(١١) التوبة / ١١٨

فقد أدخلت «أضحى» التوقيت على الجملة. وإذا أخذنا قول الآخر:

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتَ فِيهِ يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ

وجدنا أن «عسى» تدخل معنى الرجاء على الجملة. وإذا أخذنا قول عمر بن أبي ربيعة:

أَلاَ لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْماً فَأُخْبِرَهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

وجدنا «ليت» تُدخل معنى التمني على القول. وكذا في قول طرفة بن العبد:

وَلَسْتُ بِحَلاَّلِ التِلاَعِ مَخَافَةً وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفُدِ

فقد أدخلت «ليس» معنى النفي على الشطر الأول من البيت وقيدته به. والأمر نفسه كذلك مع ظَنَّ وأخواتها، وعَلِمَ وأخواتها، وغيرها من النواسخ.

٩ ـ التقييد بالشرط: يكون التقييد بأدوات الشرط للأغراض التي تؤديها هذه الأدوات:

ـ **فمتى**، مثلاً، تفيد الزمان، كما في قول الشاعر:

أَنَا ابْنُ جَلاَ وَطَلاَّعُ الثَنَايَا مَتَى أَضَعِ الْعَمَامَةَ تَعْرِفُونِي

ـ **وحيثما** تفيد المكان، كما في قول الشاعر:

حَيْثُمَا تَسْتَقِمْ يُقَدِّرْ لَكَ اللَهُ نَجَاحاً فِي غَابِرِ الأَزْمَانِ

ـ **ومَنْ** تقيّد بالشخص الفاعل أو المفعول، كما في قوله تعالى: ﴿**ومن يُقاتِلْ في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً...**﴾[١٢]

ـ **ومهما** تقيّد بإطلاق الحال أو الفعل، كما في قول الشاعر:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَنِ النَاسِ تُعْلَمِ

ـ **وكيفما** تقّيد بالحال، كقول الشاعر:

مَا النَاسَ إِلاَّ مَعَ الدُنْيَا وَصَاحِبِهَا

فَكَيْفَمَا انْقَلَبَتْ يَوْماً بِهِ انْقَلَبُوا

---

(١٢) النساء / ٧٤

وغير ذلك مما تفيده هذه الأدوات.

لكننا لا بد لنا في هذا المجال من أن نلفت إلى أن بعض الأدوات تختص بأشياء معينة ذات وجوه بلاغية، وإن تقاربت في معانيها، هي الأدوات: إنْ وإذَا وَلَوْ.

ـ **أولاً: إن:** هي حرف شرط يجزم فعلين مضارعين، كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ للذين كفروا إنْ يَنْتَهوا يُغْفَرْ لهم...**﴾[13] وكقول الشاعر:

فَإِنْ تَبْغِنِي فِي حَلْقَةِ الْقَوْمِ تَلْقَنِي ... وَإِنْ تَقْتَنِصْنِي فِي الْحَوَانِيتِ تَصْطَدِ

وقد اعتبرها سيبويه «أمَّ الجزاء».[14] وهي غالباً ما تُستعمل في الأحوال التي يندر وقوعُها، أي في الأمور التي يدخل الشك في احتمال حدوثها، كقوله تعالى: ﴿**وإن تُصِبْهم سَيِّئَةٌ يقولوا هذه من عندك**﴾.[15]

فلأن وقوع السيئة قليل جاءت «إنَّ» في الكلام. وربما استعملت «إن» لما هو مستحيل، كقوله تعالى: ﴿**قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين...**﴾[16] فمن المحال أن يكون له أبناء. وقد تكون للتنزيه، كقوله تعالى: ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلكَ الخلدَ أفإنْ متَّ فهم الخالدون**﴾[17] فقد نزّه هنا منزلة المشكوك فيه، لأن زمن الموت مبهم.

ـ **ثانياً: إذا:** هي اسم شرط يفيد الزمان، ولا يكون جازماً على الأرجح، وأكثر وقوع الفعل بعدها ماضياً، كقول الشاعر:

إِذَا جِئْتَ فَامْنَحْ طَرْفَ عَيْنَيْكَ غَيْرَنَا ... لِكَيْ يَحْسَبُوا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ

---

(١٣) الأنفال / ٣٨

(١٤) سيبويه، الكتاب، ١/ ١٣٤

(١٥) النساء / ٧٨

(١٦) الزخرف / ٨١

(١٧) الأنبياء / ٣٤

فإذا جزمت ـ وهذا نادرٌ ويكاد يقتصر على الشعر ـ[18] جاء بعدها مضارع، كقول الشاعر:

وَإِذَا نُطَاوِعْ أَمْرَ سَادَتِنَا   لاَ يَثْنِنَا بُخْلٌ وَلاَ جُبْنُ

وربما جاء الفعل بعدها ماضياً، وجوابها مضارعاً مجزوماً، كقول الشاعر:

تَرْفَعُ لِي خِنْدِفٌ، وَاللَّهُ يَرْفَعُ لِي   نَاراً إِذَا خَمَدَتْ نِيرَانُهُم تَقِدِ

ومنه قول النبي: «إذا أَخَذْتما مَضَاجِعَكُما تُكَبِّرَا أربعاً وثلاثين».[19] ولكن هذا شاذ.

والفارق بين «إذا» و«إنْ» أننا نستعمل «إذا» متى كان الكلام محققاً في المستقبل ـ لأنها ظرف زمان للمستقبل ـ، أي أنها تستعمل في الكلام حين يُقْطَع بحدوثه؛ ومثال عليه قوله تعالى: ﴿**فإذا جاءتهمُ الحسنَةُ قالوا لنا هذه، وإنْ تُصبهم سيئةٌ يَطَّيَّروا بموسى ومن مَعَهُ**﴾.[20] فقد جاءت «إذا» في صدر الآية لأن مجيء الحسنة محقق، في حين جاءت «إن» في القسم الثاني لأن حصول السيئة نادر.

ـ **ثالثاً: لو**: هي حرف يفيد معنى الشرط، وقال سيبويه إنها «لما كان سيقع لوقوع غيره»،[21] ومعنى هذا أن الفعل الثاني مرتبط بالفعل الأول سببيّاً ومنحصر به زمنياً، لا مطلقاً. فمثال على ذلك: لو بادَ الإنسانُ منذ قرن لزال الجنس العاقل؛ فإن زوال الجنس

---

(١٨) قال سيبويه: «وإن اضطر شاعر فأجرى إذا مجرى إنْ فجازى بها قال: أزيدٌ إذا تَرَ تضربْ، إنْ جَعَلَ تضربْ جوازاً...» (الكتاب، ١/١٣٤)

وقال عباس حسن: «ولكن الجزم بها مقصور على الشعر وحده» (النحو الوافي، ٤/٤٤٠ ـ ٤٤١)

(١٩) عباس حسن، النحو الوافي، ٤/٤٤١ .

(٢٠) الأعراف / ١٣١

(٢١) سيبويه، الكتاب، ٤/٢٢٤. وقد أورد صاحب النحو الوافي تفسيراً يخطِّئ فيه من قال إنها «حرف امتناع لامتناع». يقول: «ومما تقدم يتبيّن خطأ التعبير الشائع على ألسنة المُعْرَبين وهو: «أنها حرف امتناع لامتناع»؛ يريدون أنها حرف يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط. وإنما كان هذا خطأ لما قدّمناه من أن امتناع الشرط لا يستلزم امتناع الجواب؛ فقد يستلزمه، أو لا يستلزمه... إلا إن كان غرضهم أن ذلك الامتناع هو الكثير الغالب.

والصواب ما ردده سيبويه من أنها: «حرف يدل على ما كان سيقع في الماضي؛ لوقوع غيره في الماضي أيضاً. وهذه العبارة صحيحة دقيقة، لا تحتاج إلى تأويل، أو تقدير، أو زيادة». (عباس حسن، النحو الوافي، ٤/٤٩٣)

البشري غير متحقق لعدم تحقق الفعل الأول منذ قرن، وعليه فـ «لو» هنا امتناعية. ولكن، لو قلت: لو ظهرت الشمسُ أمسُ لانتشرَ الضوءُ فإن الجواب لا يمتنع امتناعاً تاماً، لأنه من الممكن أن ينتشر الضوء لسبب آخر، كالمصابيح وما شابه، وكذلك لو قلت: لو ركبتَ السيارةَ لوصلتَ إلى بيتكَ، فقد تصل إلى بيتك سيراً علىَ الأقدام، أو بطريقة أخرى غير السيارة.

لهذا السبب نقول إن «لو» تفيد الشرط ولكنها قد لا تفيد الامتناع، أي إنها قد لا تكون بالضرورة حرف امتناع لامتناع، ولكنها كذلك في معظم الأحيان، لا دائماً. ومثال عليها امتناعية قوله تعالى: ﴿**وَلْيَخْشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرّيّةً ضِعافاً خافوا عليهم**﴾.[٢٢] وقول الشاعر:

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِي ... بَنُو اللَقِيطَةِ مِنْ ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا

والامتناع، إذا وليها ماضٍ، منقطع في الماضي، أي أن الفعل الذي بعدها تبقى دلالته على الماضي، ولا يفيد الاستقبال كسواها من أدوات الشرط.

أما إذا وقع بعدها فعل مضارع فهي شرطية غير امتناعية. وعندئذ يرتبط معنى الفعل الذي يقع بعدها بالمضارع، كقول الشاعر:

وَلَوْ تَلْتَقِي أَصْدَاؤُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا ... وَمِنْ دُونِ رَمْسَيْنَا مِنَ الأَرْضِ سَبْسَبُ

لَظَلَّ صَدَى صَوْتِي، وَإِنْ كُنْتُ رِمَّةً، ... لِصَوْتِ صَدَى لَيْلَى يَهَشُّ وَيَطْرَبُ

ومتى كان الفعل الثاني ماضياً، كما في المثال المذكور، دل على المستقبل أيضاً، لأن الجزاء يرتبط حدوثه بالفعل الأول، والفعل الأول دلالته مستقبلية.

ولو الشرطية غير جازمة على الرأي الأرجح. ولكنها قد تجزم للضرورة الشعرية، كقول الشاعر:

تَامَتْ فُؤَادَكَ لَوْ يُحْزِنْكَ مَا صَنَعَتْ ... إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَا

---

(٢٢) النساء / ٩

وقول الآخر:

لَوْ يَشَأْ طَارَ بِهِ ذُو مَيْعَةٍ لاَحِقُ الآطَالِ، نَهْدٌ، ذُو خَصَلْ

وإذا وقع جواب لو الامتناعية أو الشرطية جاز ارتباطه باللام، سواء أكان مثبتاً أم منفياً؛ ولكن الأكثر ارتباط الماضي المثبت بها، وخلوّ الماضي المنفيّ منها. فمن أمثلة الاقتران بها قوله تعالى: ﴿**ولو علم اللهُ فيهم خيراً لأَسْمعهم، ولو أسمعهم لتولوا وهم مُعْرضون**﴾[٢٣]، وقول الشاعر:

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَيَّ وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ

لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَمَا إِلَيْهَا صَدًى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ

ومن أمثلة عدم الاقتران بها قوله تعالى: ﴿**لو نشاء جعلناه أُجاجاً، فلولا تشكرون**﴾.[٢٤] وقول الشاعر:

أَخِلاَّيَ، لَوْ غَيْرُ الحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ، وَلَكِنْ مَا عَلَى الدَهْرِ مَعْتَبُ

ومن أمثلة عدم اقتران المنفي بها قوله تعالى: ﴿**ولو شاء ربُكَ مَا فَعَلُوهُ...**﴾[٢٥] ومن أمثلة المقترن بها قول الشاعر:

وَلَوْ نُعْطَى الخِيَارَ لَمَا افْتَرَقْنَا وَلَكِنْ لاَ خِيَارَ مَعَ اللَيَالِي

١٠ ــ التقييد بالنفي: يكون التقييد بالنفي من أجل إدخال السلب على المعنى، وذلك بأحد أحرف النفي: لا، ما، إنْ، لاتَ، لن، لم، ولمّا.[٢٦] ولكل من هذه الأحرف معنًى تدخله على الجملة.

١ ــ لا: تكون قبل الأسماء أو قبل الأفعال.

ــ **أولاً:** فالتي قبل الأسماء هي إما المشبهة بـ «ليس»، وإما النافية للجنس.

---

(٢٣) الأنفال / ٢٣

(٢٤) الواقعة / ٧٠

(٢٥) الأنعام / ١١٢

(٢٦) لم نذكر «ليس» الناقصة هنا لأننا اعتبرناها مع النواسخ من الأفعال الناقصة، وليست بحرف.

أ ـ **فالمشبهة بليس** تفيد نفي الخبر فقط عن الاسم الواقع بعدها، كقول الشاعر:

تَعَزَّ، فَلاَ شَيْءٌ عَلَى الأَرْضِ بَاقِيَا

وَلاَ وَزَرٌ مِمَّا قَضَى اللّـهُ وَاقِيَا

ب ـ **والنافية للجنس** تفيد نفي الخبر عن كل أفراد الجنس الواقع بعدها، كقول الشاعر:

لاَ خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلاَ مَالُ

فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

فقد نفت «لا» الوجود عن جنس الخيل. وهنا لا يمكن أن نقول، مثلاً، لا خيلَ عندكَ إلا واحداً، ولكن يمكننا أن نقول: لا خيلَ عندكَ بل مواشٍ.

ـ **ثانياً**: والتي قبل الأفعال تدخل على المضارع وتخلّصه للاستقبال، كقول الشاعر:

فَإِنْ كُنْتَ لاَ تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي

فَدَعْنِي أُبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

وقد تفيد الاستمرار والدوام، كقول الشاعر:

لاَ يَسْتَقِلُّ ذَوُو الأَضْغَانِ حَرْبَهُمُ

وَلاَ يُبَيِّنُ فِي عِيدَانِهِمْ خَوَرُ

وكقول الآية: ﴿**إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون**﴾.(٢٧)

وقد تدخل «لا» على الماضي وهذا نادر لا يقاس عليه إلا إذا تكررت، كقوله

---

(٢٧) البقرة / ٦

تعالى: ﴿فلا صدّق ولا صلّى﴾.[٢٨] ومثال عليها غير مكررة، شاذةً قول الشاعر:

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا
وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لاَ أَلَمَّا

وقد تكون «لا» مُهملةً لمجرّد النفي قبل الأسماء أيضاً فتتكرر، كقوله تعالى: ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تُدْرِكَ القمرَ، ولا الليل سابقُ النهار**﴾.[٢٩] وهي على كل حال، سواءٌ أكانت قبل الأسماء أم الأفعال، للنفي مطلقاً.

ولا عمل لِـ «لا» قبل المضارع، لذلك يرتفع بعدها. فإذا جزمته صارت ناهية، فأدخلت معنى الأمر على النفي، كقوله تعالى: ﴿**ولا تخافي ولا تحزني...**﴾[٣٠] وكقول الشاعر:

لاَ تَقُلْ: أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَداً،
إِنَّمَا أَصْلُ الْفَتَى مَا قَدْ حَصَلْ

وتفيد عندئذ الاستقبال.

٢ ـ ما وإنْ:

ـ **أولاً: إنْ**: تختص بالأسماء، فهي مشبهة بـ «ليس»، على رأي الكوفيين، كقول الشاعر:

إِنِ الْمَرْءُ مَيْتاً بِانْقِضَاءِ حَيَاتِهِ
وَلَكِنْ بِأَنْ يُبْغَى عَلَيْهِ فَيُخْذَلاَ

ويقتصر نفيها على الحال. وقد تكون مهملةً غير عاملة، وهذا كثير، كقوله تعالى: ﴿**إنِ الكافرونَ إلاّ في غرور..**﴾[٣١]

---

(٢٨) القيامة / ٣١

(٢٩) يس / ٤٠

(٣٠) القصص / ٧

(٣١) الملك / ٢٠

ـ **ثانياً: ما**: قد تكون مشبهة بـ «ليس»، وتكون عاملةً أو مهملةً، ويقتصر نفيها على الحال، كقوله تعالى: ﴿**ما هذا بَشَراً...**﴾[٣٢]

وقد تأتي مهملةً كقول الشاعر:

وَمَا حَقُّ الَّذِي يَعْثُو نَهَاراً،
وَيَسْرِقُ لَيْلَهُ إلاَّ نَكَالاَ

وربما دخلت «ما» على الجمل الفعلية الماضويَّة، كقوله تعالى: ﴿**وما كانوا مؤمنين...**﴾[٣٣] فتفيد الماضي، أو المضارعيّة، كقوله تعالى: ﴿**وما يعلمُ جُنُودَ ربّكَ إلاّ هو**﴾،[٣٤] فتفيد الحال، وربما أفادت الاستقبال إذا ما جاءت فيها قرينة على ذلك، كقوله تعالى: ﴿**ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي...**﴾[٣٥] فسياق الآية هنا يدل على المستقبل.

٣ ـ لات: تعمل لات المشبهة بـ «ليس» بثلاثة شروط معاً: أن يكون اسمها من لفظ خبرها، وأن يكون اسمها وخبرها دالّين على الزمن، وأن يكون أحدهما محذوفاً (والغالب أن يحذف الاسم)[٣٦]، كقول الشاعر:

نَدِمَ الْبُغَاةُ وَلاَتَ سَاعَةَ مَنْدَمِ
وَالْبَغْيُ مَرْتَعُ مُبْتَغِيهِ وَخِيمُ

وتدل على نفي الزمن الحالي، مثل «ما» و«إن». وربما جاءت «لات» مهملةً، كما في قول الشاعر:

لَهْفِي عَلَيْكَ لِلَهْفَةٍ مِنْ خَائِفٍ
يَبْغِي جِوَارَكَ حِينَ لاَتَ مُجِيرُ

---

(٣٢) يوسف / ٣١

(٣٣) الأعراف / ٧٢

(٣٤) المدثر / ٣١

(٣٥) يونس / ١٥

(٣٦) وقد يحذف خبرها، كما في قراءة بعضهم للآية: ﴿**ولاتَ حينُ مناص**﴾ (ص / ٣) ولكن هذا قليل.

٤ ـ **لن**: هي حرف نصب ونفي للاستقبال، كقوله تعالى: ﴿**إنّي نَذرتُ للرحمن صَوْماً، فلن أكلّم اليوم إنسيّاً...**﴾[٣٧] وقد تكون للدعاء، كقول الشاعر:

لَنْ تزَالُوا كَذَلِكُمْ ثُمَّ لاَ زِلْـ ... ـتُ لَكُمْ خَالِداً خُلُودَ الجِبَالِ

وربما جاءت للقسم ـ وهذا نادر ـ، كقول أبي طالب:

وَاللّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ

حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا

٥ ـ **لَمْ**: تختص بنفي الفعل المضارع، فتقلب دلالته من الحال إلى الماضي، أي إنها حرف قَلْب، يختص نفيه بالماضي، كقوله تعالى: ﴿**لم يَلِدْ ولم يُولدْ**﴾.[٣٨] وكقول الشاعر:

لَمْ يَغْزُ قَوْماً وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ

إلاَّ تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعُبِ

وقد تفيد «لم»، إلى جانب ذلك، التذكير، كقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ يجدْكَ يَتِيماً فآوى...**﴾[٣٩] والترهيب، كقوله تعالى: ﴿**ألم نهلك الأولين...**﴾[٤٠] مما تحدّده طريقة الاستعمال.

٦ ـ **لمّا**: تختصّ بنفي المضارع، وبجعله يفيد الدلالة على الماضي، ولكن معنى النفي بـ «لمّا» يستمر حتى لحظة الكلام، بعكس «لم» التي تنحصر فيها الدلالة على الماضي. مثال على ذلك قوله تعالى: ﴿**بل لمّا يذوقوا عذابِ**﴾[٤١]، وقول الشاعر:

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولاً فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ

وَإِلَّا فَأَدْرِكْنِي وَلَمَّا أُمَزَّقِ

---

(٣٧) مريم / ٢٦

(٣٨) الإخلاص / ٣

(٣٩) الضحى / ٦

(٤٠) المرسلات / ١٦

(٤١) ص / ٨

فلا يجوز في هذين المثالين أن يُقال: لمّا يذوقوا بعدُ، ولمّا أمزق بعد...

١١ ـ التقييد بالمفاعيل: يكون التقييد بالمفاعيل **لإظهار نوع الفعل** (مع المفعول المطلق)، كقوله تعالى: ﴿**فإنَّ جهنمَ جزاؤكم جزاءً موفوراً...**﴾[٤٢] أو **لإظهار السبب** (مع المفعول لأجله)، كقوله تعالى: ﴿**ومِنَ الناس مَنْ يشري نَفْسَه ابتغاءَ مرضات الله...**﴾[٤٣] أو **لإظهار الوقت أو المكان اللذين حدث فيهما الفعل**، كقوله تعالى: ﴿**فاضربوا فوق الأعناق...**﴾[٤٤] **أو لإظهار ما حدث الفعل بموازاته** ـ أو بمصاحبته ـ (المفعول معه)، كقول الشاعر:

فَمَا لَكَ وَالتَلَدُّدَ حَوْلَ نَـجْـدٍ   وَقَدْ غُصَّتْ تِهَامَةُ بِالرِجَالِ؟

أو لإظهار من وقع الفعل عليه (المفعول به)، كقوله تعالى: ﴿**إني أراني أعصر خمراً...**﴾.[٤٥]

---

(٤٢) الاسراء / ٦٣

(٣) البقرة / ٢٠٧

(٤٤) الأنفال / ١٢

(٤٥) يوسف / ٣٦

الفصل السادس:

القَصْر

١ ـ تعريفه: القصر، لغةً، «خلاف المدّ... و... الغاية، يقال: قَصْرُك أن تفعل كذا، أي حسبك... وكذلك قصارَك وقصاراك، وهو من معنى القصر الحبس لأنك إذا بلغتَ الغاية حَبَسَتْكَ».[1] ويقول الزمخشري في هذا: «قَصَرْتَهُ: حَبَسْتَهُ. وهو كالنازع المقصور: الذي قَصَرَه قيده. وقصرتُ نفسي على هذا الأمر إذا لم تطمع إلى غيره. وقصرت طرفي: لم أرفعه إلى ما ينبغي، وهُنَّ قاصرات الطرف: قَصَرْنه على أزواجهنّ...[2]»[3]

ومعنى ذلك كله أن الحصر «تخصيص شيء بشيء»[4]، وحصره به «لا يتجاوزه ولا يخرج عنه»[5]؛ أو «هو تخصيص الحكم بالمذكور في الكلام ونفيه عن سواه».[6]

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٥/٩٦ ـ ٩٧

(٢) ومثل هذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وعندهم قاصراتُ الطَرْفِ عينٌ...﴾ (الصافات / ٤٨)

(٣) الزمخشري، أساس البلاغة، بيروت: داز صادر، ١٩٧٩، ص ٥٠٩

(٤) القزويني، أساس البلاغة، ص ١٣٧ (ها)

(٥) ياسين الأيوبي ومحيي الدين ديب، كشف الغموض عن قواعد البلاغة والعروض، ص ٦١

(٦) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ١٧٩

٢ ـ وسائل القصر: أشهر وسائل القصر أربعة[٧]، هي التالية:

١ ـ النفي والاستثناء: وذلك بأن يجتمعا معاً، فيكون الاستثناء مفرّغاً على الأرجح، كقول الشاعر:

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةِ قَصَائِدِي ... إِذَا قُلْتُ شِعْراً أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا

وربما كان النفي بغير «ما»، كقوله تعالى: ﴿**إن أنتم إلا بشر مثلنا**﴾[٨]، وكقول المُوَشِّح:

لَمْ يَكُنْ وَصْلُكَ إِلاَّ حُلُمَا ... فِي الْكَرَى، أَوْ خَلْسَةَ الْمُخْتَلِسِ

وقد يكون الاستثناء بغير «إلاّ»، كقول الشاعر:

رَبِّ رُدَّ الأَهْوَالَ أَقْبَلْنَ يَضْرِبْـ ... ـنَ، وَجُدْ، لأَنَّ مَا خَلاَكَ يَجُودُ

وكقول الآخر:

فَلَمْ أَرَ فِي مَا سَاءَنِي غَيْرَ شَامِتٍ

وَلَمْ أَرَ فِي مَا سَرَّنِي غَيْرَ حَاسِدِ

٢ ـ القصر بـ «إنَّما»:[٩] لأنها تصير أداة للحصر، تحمل معناه، وتدخل معنى

---

(٧) أشار صاحب «جواهر البلاغة» إلى طرق للقصر غير مشهورة، منها لفظة «وحده» (نحو قوله تعالى: ﴿**وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده وَلّوا على أدبارهم نفورا...**﴾ [الإسراء / ٤٦])، ولفظة «فَقَطْ» (نحو قول ابن مالك في ألفيته:

«أَلْ» حَرْفُ تَعْرِيفٍ، أَوْ «اللاَّمُ» فَقَطْ، ... فَنَمَطٌ عَرَفْتَ، قُلْ فِيهِ: النَّمَطْ

وهنا تتألف «فقط» من فاء التزيين، و«قط» لفظة بمعنى حسب في محل حال، أو خبر.، أو هي اسم فعل بمعنى «دَعْ»...) ومنها «لا غير» و«ليس غير»، (كقولك: عندي قرشٌ لا غيرَ)، وسوى ذلك. راجع: المرجع نفسه، ص ١٨٠ - ١٨١ (ها)

(٨) إبراهيم / ١٠

(٩) تتألف من «إنَّ» الحرف المشبه بالفعل، و«ما» الكافة. (ويقال لها: كافة ومكفوفة).

النفي على أول الجملة، أو تؤولها به،[10] كقوله تعالى: ﴿**إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾.[11] وكقول الشاعر:

إِنَّمَا الدُّنْيَا بَلاَءٌ وَكَدٌّ وَاكْتِئَابٌ قَدْ يَسُوقُ اكْتِئَابَا

فكأن المقصود في الآية: لا يأمركم الا بالسوء... وفي البيت: ليست الدنيا الا بلاء...

٣ ـ القصر بالعطف: وذلك بوساطة ثلاث أدوات، هي: لا، وبل، ولكن. مثال على الأولى قول الشاعر:

وَالْعِلْمُ فِي شُهُبِ الأَرْمَاحِ لاَمِعَةً بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ، لاَ فِي السَبْعَةِ الشُهُبِ[12]

ومثال على الثانية، قوله تعالى: ﴿**ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾.[13] وقول الشاعر:

وَجْهُكَ الْبَدْرُ، لاَ بَلِ الشَمْسُ لَوْ لَمْ

يُقْضَ لِلشَمْسِ كَسْفَةٌ وَأُفُولُ

---

(١٠) يقول عبد القاهر الجرجاني: «... يقول ناس من النحويين في نحو قوله تعالى: ﴿**قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن**﴾ (الأعراف / ٧) إنَّ المعنى: ما حرّم ربي إلا الفواحش... وأصبت ما يدل على صحة قولهم في هذا وهو قول الفرزدق:

أَنَا الذَائِدُ الْحَامِي الذِمَارَ وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي

فليس يخلو هذا الكلام من أن يكون موجباً أو منفيّاً فلو كان المراد به الإيجاب لم يستقم. ألاّ ترى أنك لا تقول: يدافع أنا ولا يقاتل أنا: وإنما تقول أدافع وأقاتل، إلاّ أن المعنى لما كان: ما يدافع إلا أنا: فصلتَ الضمير كما تفصله مع النفي إذا ألحقتَ معه «إلاّ» حملاً على المعنى». (دلائل الإعجاز، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣)

(١١) البقرة / ١٦٩

(١٢) ومثله قوله في بيت سابق من القصيدة نفسها:

بِيضُ الصَفَائِحِ لاَ سُودُ الصَحَائِفِ، فِي مُتُونِهِنَّ جَلاَءُ الشَكِّ وَالرِيَبِ.

(١٣) آل عمران / ١٦٩

ومثال على الثالثة قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يأتوننا لكنِ الظالمون اليومَ في ضلال مُبين﴾[14]، وقول الشاعر:

وَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِنِينَ تَتَابَعَتْ
عَلَيَّ وَلَكِنْ شَيَّبَتْنِي الْوَقَائِعُ

٤ ـ القصر بالتقديم: أي بتقديم ما حقه أن يكون متأخراً، كما في الآية: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾[15]، وكقول الشاعر:

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لاَ يَرْعَوِي
عَنْ غَيِّهِ وَخِطَابُ مَنْ لاَ يَفْهَمُ

فقد قَدّم «من البلية» ليقصر الكلام على الجار والمجرور.

٣ ـ تقسيم القصر: يندرج القصر في ثلاثة أقسام: باعتبار الحقيقة والواقع، وباعتبار الطرفين، وباعتبار حال المخاطب.

أ ـ القصر باعتبار الحقيقة والواقع: يقول القزويني: «القصر حقيقي وغير حقيقي».[16] ومعنى هذا أن هناك:

١ ـ قصراً حقيقياً تحقيقياً:[17] يكون فيه المقصور عليه مختصاً بحسب الحقيقة، لا توهُّماً، كقوله تعالى: ﴿**يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلاّ أنفسَهم...**﴾[18] فالمخادِعون هنا لا يستطيعون أن يخدعوا الله والمؤمنين، فيقتصر خداعهم على أنفسهم.

٢ ـ قصراً حقيقياً ادعائياً: ويكون فيه القصر قد حصل للمقصور عليه حقيقةً بالنسبة إلى المتكلم فقط، لا بالنسبة إلى الواقع بالضرورة، وهذا من أجل المبالغة، لأن ما

---

(١٤) مريم / ٣٨

(١٥) الفاتحة / ٥

(١٦) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ١٣٧

(١٧) ياسين الأيوبي ومحيي الدين ديب، كشف الغموض عن قواعد البلاغة والعروض، ص ٦٥

(١٨) البقرة / ٩

سوى المتكلم لا يعتدّ بذلك، كما قلو قلتَ: لا بؤس إلا بالعار، فإن هذا المقياس لا ينطبق على الجميع، بل ينطبق على صاحبه، أو على فئة من الناس دون سواها.

٣ ـ قصراً إضافياً: يكون فيه التخصيص وفقاً للإضافة إلى شيء آخر، لا بالنسبة إلى كل ما عداه، كما لو قلت: ما زيدٌ إلا شاعرٌ، فأنتَ تقصر الشعر على زيد، ولكنك لا تقصد ألاّ شاعر سواه. ونلفت هنا إلى أن بعض القصر الإضافي قد يكون للمبالغة، كما لو قلتَ: ما شاعرٌ إلا زيدٌ. فإن الواقع يظهر أن هناك شعراء آخرين، ولكنك قصرتَ الشعر على زيد بالنسبة إلى الشعراء لتبالغ؛ فالقصر هنا إضافي تخييليّ، لا واقعي.

ب ـ القصر باعتبار الطرفين: ينقسم القصر باعتبار طرفيه قسمين:

١ ـ قصر صفة على موصوف: هو أن تجعل الصفة تختص بموصوفها، فلا تصف بها سواه، وإن كان الموصوف يمكن أن يتصف بغيرها، كأن تقول: لا خالقَ إلا اللهُ فأنتَ تقصر صفة الخلق على الله، وهذا صحيح، والله يتمتع بغيرها من الصفات.

٢ ـ قصر موصوف على صفة: وذلك إذا قصدت أن تقصر صفات الموصوف على صفة واحدة، لا يتعداها إلى غيرها، مع جواز أن تكون هذه الصفة لغيره أيضاً، كقول الشاعر:

وَمَـا الْمَالُ وَالأَهْـلُـونَ إلاَّ وَدَائِـعٌ
وَلاَ بُـدَّ يَـوْمـاً أَنْ تُـرَدَّ الْـوَدَائِـعُ

فقد جعل هنا المالَ والأهلونَ ـ وهما موصوفان ـ ودائعَ وهي صفة[١٩] (أو بمنزلة الصفة).

ج ـ القصر باعتبار حال المخاطب: لا يكون هذا إلا في القصر الإضافي. وهو ينقسم ثلاثة أقسام:

١ ـ قصر الإفراد: وذلك إذا اعتقد بعضهم أن الصفة مشتركة بين الموصوف

---

(١٩) ليس المقصود بالصفة النعت، بل الوصف فقط؛ يقول القزويني: «... قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف؛ والمراد المعنوية لا النعت». (التلخيص في علوم البلاغة، ص ١٣٧)

وسواه، فيأتي الكلام لنفي ذلك وإثبات الصفة للموصوف دون سواه، كقول الشاعر:

وَلاَ تَحْسِبَنَّ الْمَجْدَ زِقّاً وَقَيْنَةً

فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتْكَةُ الْبِكْرُ

فالشاعر هنا نفى، من ذهن المُعْتَقِد، أن هناك مشاركة بين المجد والتمتع، وقصر على المجد صفة القوة متمثلة بالسيف...

٢ ـ **قصر القلب:** إذا اعتقد بعضهم أن الصفة هي في غير الموصوف، فيقلب ليؤكدها فيه، كقولك: ما جاءنا اليومَ إلا سمير، ردّاً على من اعتقد أن من جاء هو زيدٌ.

٣ ـ **قصر التعيين:** وذلك إذا كان بعضهم متردداً في الحكم بين صفتين، فتقصر لتؤكد له إحداهما، كقول الشاعر:

عُمْرُ الْفَتَى ذِكْرُهُ، لاَ طُولُ مُدَّتِهِ وَمَوْتُهُ خَزْيُهُ لاَ يَوْمُهُ الدَّانِي

نلفت أخيراً إلى أن جملة القصر تختصر جملتين، لأنك إن قلت: لا إله إلا الله، قصدت أن الألوهية لله، وأنْ ليس من غيره إله.

الفصل السابع:

الفصل والوصل

١ ـ تعريفهما: قال الجاحظ إن من شروط البلاغة «معرفة الفصل من الوصل».[١] وإذا نظرنا إلى ما قال عبد القاهر الجرجاني في معنى الفصل والوصل فهمنا لماذا عدّها الجاحظ من شروط البلاغة، قال: «إعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يأتي لتمام الصواب فيه إلاّ الأعراب الخلّص...».[٢]

ومعنى ذلك أن وصل الجمل وفصلها مسألة جوهرية في معرفة اللغة العربية. وتحديدهما أوجزه القزويني على النحو التالي: «الوصلُ عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركه».[٣] ولا يكون الوصل إلا بالواو، لأن أحرف العطف الأخرى تفيد معاني غير الوصل.

فمن الوصل قوله تعالى: ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل، وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيّدناه بروح القدس...**﴾[٤] ومن الفصل قوله تعالى: ﴿**ولا**

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ص ٦١

(٢) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ١٧٠

(٣) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ١٧٥

(٤) البقرة / ٨٧

تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفَعْ بالتي هي أحسن...﴾[٥] فهنا قُطِعت الجملة الثانية «ادفعْ...» عن التي قبلها.

٢ ـ مواضع الوصل: قلنا إن الوصل هو عطف جملة على جملة أخرى بالواو. ويكون في ثلاثة مواضع:

١ ـ أن تتفق الجملتان خبريّاً وإنشائياً وتتحدا في هذا الحكم: فمثال على الاتفاق في الجمل الخبرية قوله تعالى: **﴿إنّ الأبرار لفي نعيم وإنَّ الفجّار لفي جحيم﴾**.[٦] وكذلك قول الشاعر:

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي
وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جِبْسِ

ومثال على الاتفاق في الإنشاء قوله تعالى: **﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا...﴾**[٧] فقد عُطفت هنا جملة أمر على جملة نهي. ومثاله أيضاً قول أبي نواس يردّ على إبراهيم النظّام:

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ
وَدَاوِنِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ

ومثال على الوصل بين الخبرية والإنشائية معاً قول النبي: «إنْ شئتَ فَصُمْ وإنْ شئتَ فَأَفْطِرْ».[٨] فالقسم الأول من الجملتين خبريّ شرطي، والقسم الثاني منهما إنشائي أمريّ.

ويمكن أن يكون العطف بين جملتين متفقتين في المعنى إنشائياً أو خبرياً،

---

(٥) فصلت / ٣٤

(٦) الانفطار / ١٣ ـ ١٤ (والآية الأولى أيضاً: المطفّفين / ٢٢)

(٧) البقرة / ١٩٠

(٨) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجة، بيروت: مكتب التربية العربية لدول الخليج والمكتب الإسلامي، ط ٣، ١٩٨٨، ٢٧٨/١

مختلفتين في اللفظ، كأن تكون أولاهما خبرية لفظاً والثانية إنشائية اللفظ، خبريّة المعنى، كقوله تعالى: ﴿**إني أشهد الله واشهَدوا أني بريءٌ مما تُشركون**﴾[٩]، والمعنى إني أشهد اللهَ وأُشْهِدُكم ببراءتي...

٢ ـ أن تتفق الجملتان في الحكم الإعرابي: كقول الشاعر:

نَسِيبُكَ مَنْ نَاسَبْتَ بِالْوِدِّ قَلْبَهُ وَجَارُكَ مَنْ صَافَيْتَ لاَ مَنْ تُصَاقِبُ

فالجملتان هنا مستقلّتان، أي لهما المحل نفسه من الإعراب. ومثل هذا قول المتنبي:

بَنَاهَا، فَأَعْلَى، وَالْقَنَا يَقْرَعُ الْقَنَا، وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلاَطِمُ

فقد عطف هنا جملة «وموج المنايا حولها متلاطم» على «والقنا يقرع القنا» وكلتاهما حاليتان.

٣ ـ أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً: وذلك لدفع توهُّم نقيض ما يُراد من الكلام. كقولك مجيباً عن سؤال بعضهم: «هل عاد أخوك من السفر؟»: «لا، وأعاد اللهُ الغائبين إلى دياركم». فخوفاً من أن يتوهم السامع أنك تدعو على الغائبين عطفت جملة الدعاء ـ وهي إنشائية ـ على جملة «لا» ومحذوفها وهي خبريّة (والتقدير: لا، لم يعد).

وفي هذا المجال يروي صاحب «الجواهر» خبراً يوضّح هذا، يقول إن «أبا بكر مر برجل: في يده ثوب. فقال له: أتبيع هذا؟ فقال الرجل «لا ـ يرحمك الله» فقال أبو بكر «لا تقل هكذا، بل قل: لا ـ ويرحمك الله».[١٠]

٣ ـ مواضع الفصل: ربما عرض للجملة ما يوجب فصلها عن سابقتها، لكي تتحقق بلاغة الكلام. ومواضع الفصل ـ أي ترك الواو ـ ثلاثة هي التالية:

١ ـ كمال الاتصال: وذلك حين تتحد الجملتان في الصياغة إلى حد يجعل

---

(٩) هود /٥٤

(١٠) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٢٠١ (ها)

وصلهما متعذّراً، فتكون الثانية كأنها الأولى، كأن تكون بدلاً منها، نحو قوله تعالى: ﴿**بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أإذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أإنّا لمبعوثون؟**﴾[11] فالجملة الثانية: ﴿**قالوا أإذا متنا...**﴾ بدل كل من كل من الأولى. وكذلك الأمر إذا كانت الجملة الثانية توكيداً للأولى، نحو قوله تعالى: ﴿**وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأنْ لم يسمعها كأنَّ في أذنيه وَقْراً**﴾،[12] فالجملة الثانية ﴿**كأنّ في أذنيه وقراً**﴾ توكيد للجملة السابقة. وكذلك إذا كانت الثانية لتفسير الأولى وجلاء إبهامها، كقوله تعالى: ﴿**فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلّك على شجرة الخلد؟**﴾[13] فالجملة الثانية ﴿**هل أدلك على...**﴾ تفسير لوسوسة الشيطان في الجملة السابقة.

٢ ـ **كمال الانفصال**: وذلك أن يكون بين الجملتين اختلاف تام لا يترك أي إبهام أو لبس في هذا؛ كأن تختلفا خبراً وإنشاءً ولفظاً ومعنًى، كقوله تعالى: ﴿**وإذْ قال لُقمانُ لابنه وهو يعظه: يا بنيّ لا تُشرك بالله إنّ الشرك لَظُلمٌ عظيم**﴾.[14] فالجملة الأخيرة ﴿**إن الشرك...**﴾ لا يجوز أن تربط بما قبلها «لا تشركْ بالله» لأنها إنشائية لفظاً ومعنى، في حين أن التي تليها خبرية كذلك. ومثل هذا قول الشاعر:

أَلشَّيْبُ كُرْهٌ وَكُرْهٌ أَنْ يُفَارِقَنِي ... إِعْجَبْ لِشَيْءٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مَوْدُودُ

فالانفصال تام بين جملة الشطر الأول، وجملة الشطر الثاني منه.

٣ ـ **شبه كمال الاتصال**: وهذا عندما تكون الجملة الثانية جواباً عن سؤال جاء في الجملة السابقة، نحو قوله تعالى: ﴿**يسألونك ماذا ينفقون؟ قل: ما أنفقتم من خيرٍ فللوالدين والأقربين والمساكين وابن السبيل...**﴾[15] فجملة ﴿**قل: ما أنفقتم...**﴾ هي

---

(١١) المؤمنون / ٨١ ـ ٨٢

(١٢) لقمان / ٧

(١٣) طه / ١٢٠

(١٤) لقمان / ١٣

(١٥) البقرة / ٢١٥

إجابة عن السؤال في الجملة السابقة، لذلك لا يجوز أن توصل بالواو، ومثله قول الشاعر:

قَالَ لِي: كَيْفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عَلِيلُ سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ

وقد تكون الجملة بمنزلة الجواب عما يشبه السؤال أو يؤول بسؤال في الجملة السابقة، كقوله تعالى: ﴿**وما أبرّئ نفسي إنَّ النفس لأمّارة بالسوء**﴾،[١٦] فلم يربط القسم الثاني من الآية ـ الجملة الثانية ـ (إن النفس...) بالواو لأنه بمنزلة جواب عن سؤال مضمر في الجملة السابقة تقديره: أصحيحٌ زعمُهُم أم خطأ؟ ومثل هذا قول الشاعر:

أَلسَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

فكأن الشطر الثاني جواب عن معنى سؤال في الشطر الأول: لماذا ينبئ السيف أكثر من الكتب؟[١٧]

على العموم، هذا الباب، باب الفصل والوصل،[١٨] من أدق أبواب البلاغة، وأصعبها، فليس غريباً أن نجد عبد القاهر الجرجاني يقول: «جاء عن بعضهم أنه سئل عنها (أي عن البلاغة) فقال: «معرفة الفصل من الوصل». ذلك لغموضه ودقة مسلكه وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة»؛[١٩] ونجده أيضاً يقول: «واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول فيه خفي غامض ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدقّ وأصعب».[٢٠]

---

(١٦) يوسف / ٥٣

(١٧) ثمة موضعان آخران تكلم عليهما البلاغيون في امتناع الوصل، هما: شبه كمال الانقطاع، والتوسط بين الكمالين مع قيام المانع. ولكننا تركناهما لأنهما قريبان من النقاط السابقة التي عالجنا. (راجع تفصيلهما في: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٢١٠ ـ ٢١١)

(١٨) سماه قدامة بن جعفر «القطع والعطف». راجع قدامة بن جعفر، نقد النثر، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢، ص ٧٢.

(١٩) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ١٧٠ ـ ١٧١

(٢٠) المصدر نفسه، ص ١٧٨

الفصل الثامن:

الإيجاز والإطناب والمساواة

١ ـ مقدمة: يتركب الكلام من شكل وموضوع يتلاحمان ليؤديا المعنى على أسلم وجه. وقد عمل البلاغيون على إخراج المعاني في أبهى حلّة وأفضل زيّ.

ومن المسائل الشائكة في مفاهيم البلاغة: الإيجاز والإطناب والمساواة، لأنها تأخذ في الاعتبار علاقة الكلام بالمتكلم، وطريقةَ الإيصال. فالكلام البليغ يراعي حال الخطاب ومستوى المتكلم، فيجعل الكلام يطابق المقتضى، فإذا احتاج أوجز وألمح، وإذا احتاج أطنب وأطال وكرر، وإلاّ ساوى بين الأقسام.

٢ ـ الإيجاز ـ تحديده وأهميته: جاء في معنى الإيجاز: «وَجُزَ الكلام وجازةً وَوَجْزاً وأوجَزَ: قلّ في بلاغة، وأوجزه: اختصره...»[١] فالإيجاز إقلال في الكلام، من غير أن يضر الإقلال بالبلاغة، و من غير أن يكون ضعفاً. قال الجاحظ: «أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره...»[٢] وقال في مكان آخر: «قال معاوية بن أبي سفيان، رضي الله تعالى عنهما لصحار العبدي: ما الإيجاز؟ قال: أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ... والإيجاز ليس يعني قلة عدد الحروف واللفظ، وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطن طومار[٣] فقد أوجز. وكذلك الإطالة، وإنما ينبغي له

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٤٢٧/٥

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ص ٥٩

(٣) طومار: صحيفة

أن يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلاقه ولا لترداده، وهو يكتفي من الإفهام بشطره، فما فضل عن المقدار فهو الخطل».[٤]

ورأى ابن المقفع أن «الإيجاز هو البلاغة».[٥] أما ابن رشيق فعرّف الإيجاز بأنه «العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف».[٦] وذكر المبرّد أن «من كلام العرب الاختصار المُفْهِم والإطناب المفخّم وقد يقع الإيماء إلى الشيء فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه كما قيل لمحة دالة...»[٧] وقال الرماني إن «الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى. وإذا كان المعنى يمكن أن يعبّر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز».[٨] وكذا ذكر الجرجاني أنه «لا معنى للإيجاز إلاّ أن يدل بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى...»[٩]

وروى أبو هلال العسكري أن أصحاب الإيجاز قالوا: «الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهذر والخَطَل...»[١٠] وذكر أنه «قيل لبعضهم: ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز، قيل وما الإيجاز، قال حذف الفضول وتقريب البعد».[١١] ونُقل عن الإمام علي قوله: «ما رأيت بليغاً قط إلاّ وله في القول إيجاز، وفي المعاني إطالة».[١٢]

---

(٤) الجاحظ، كتاب الحيوان، بيروت: دار صعب، ط ٢، ١٩٧٨، ص ٦٣ - ٦٤

(٥) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، بيروت: دار الجيل، ط ٥، ١٩٨١، ٢٤٣/١.
ومثله قول أكثم بن صيفي: «البلاغة الايجاز». (أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٢٢٤)

(٦) المصدر نفسه، ٢٥٠/١. وقارن: الرماني والخطابي والجرجاني (عبد القاهر)، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ١٦٧

(٧) المبرّد، الكامل في اللغة والأدب، بيروت: مكتبة المعارف، لا تاريخ، ١/ ١٧

(٨) الرماني والخطابي والجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٧٦

(٩) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٥٦

(١٠) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص ١٩٣

(١١) المصدر نفسه، ص ١٩٤

(١٢) الموضوع نفسه

أما ابن الأثير فقد رأى أن الإيجاز «هو حذف زيادات العبارات... والنظر فيه إنما هو إلى المعاني لا إلى الألفاظ... فَرُبَّ لفظ قليل يدل على معنى كثير ورُبَّ لفظ كثير يدل على معنى قليل...»[١٣] إنه، بعبارة أخرى، «دلالة اللفظ على المعنى من غير زيادة فيه».[١٤]

وهذا الباب، أي الإيجاز، من أخطر أبواب الكلام واللغة لدقته واضطرار من يستعمله إلى التضلّع من العربية.[١٥] وهو «أخطر طريق لإحضار المعنى المراد إلى ذهن السامع. ولا يلزم من كونه أخصر طريق أن يكون أحسن طريق دائماً فإن من الطرق القريبة المسافة ما يفضل التنكّب عنها لما فيها من المخاطر، أو لما فيها من المشقّة على السالك، إمّا لوعرة مسالكها أو لضعف قوة السالك فيها عن أن توفي بقطعها».[١٦]

فالإيجاز لا يكون دائماً أفضل سبيل لأداء المعنى، لأنه متى أخلّ الاختصار بإيصال المراد، فسد المعنى. ومن هذا قول عروة بن الورد:

عَجِبْتُ لَهُمْ إذْ يَقْتُلُونَ نُفُوسَهُمْ وَمَقْتَلُهُمْ عِنْدَ الْوَغَى كَانَ أَعْذَارَا

وهو يريد أنهم يقتلون نفوسهم في السلم، فحذف، وأدّى الحذف إلى انغلاق المعنى، لأن البيت لا يدل على ما حذف.

وأخيراً، يمكننا أن نقول إن الإيجاز هو أداء المعنى بأقل ما يمكن من ألفاظ بشرط أن يكون هذا مفيداً للبلاغة، فيه ظرف وملاحة، بل أفضل من أن نطيلَ الكلام في الشيء.

٣ ـ أقسام الإيجاز: ينقسم الإيجاز قسمين: إيجاز بالقصر وإيجاز بالحذف.

---

(١٣) ابن الأثير، المثل السائر، ٦٨/٢

(١٤) المصدر نفسه، ١٢١/٢

(١٥) يقول ابن الأثير: «هذا نوع من الكلام شريف لا يتعلق به إلا فرسان البلاغة مَنْ سبق إلى غايتها وما صلّى، وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلّى، وذلك لعلوّ مكانه، وتعذّر إمكانه». (المثل السائر، ٦٨/٢)

(١٦) جبر ضومط، الخواطر الحسان في المعاني والبيان، بيروت: مكتبة لبنان، ط ٢، ١٩٣٠، ص ٢١٢

١ ــ **الإيجاز بالقصر**: ويقصد به الألفاظ القليلة التي تعبّر عن معانٍ كثيرة؛ أو، إذا شئت، فهو «تقليل الألفاظ وتكثير المعاني»[١٧]، كقول الآية: ﴿**الحمد لله ربّ العالمين...**﴾[١٨] فالمقصود هنا أن الحمد لله خالق الأنس والملائكة والحيوان والدوابّ وكل من أطلق عليه لفظ عالم...[١٩] ومن هذا القبيل قول أبي تمام:

وَظَلَمْتَ نَفْسَكَ طَالِباً إِنْصَافَهَا

فَعَجِبْتُ مِنْ مَظْلُومَةٍ لَمْ تُظْلَمِ

ففي هذا البيت معنى كثير وكلام قليل جداً، والشاعر يريد إنكَ أكرهتَ نفسك على مصاعب كثيرة، فظلمتَها في هذا الأمر، ولكنك كنت عادلاً في ظلمك هذا، لأنك جعلتَ ذكرَها حسناً فيما بعد، فكنتَ منصفاً لها ولكَ صورة ظالم.[٢٠] ومن هذا القبيل أيضاً قوله تعالى: ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾،[٢١] فإن لفظتي «الخلق» و«الأمر» استوعبتا كلّ شيء، حتى إن بعضهم قرأ الآية فقال: «من بقي له شيء فليطلبه».[٢٢]

ولقد جعل بعضهم إيجاز القصر قسمين: الأول «ما يدل على محتملاتٍ متعددة»، والثاني ما لا يمكننا التعبير عن ألفاظه بألفاظ مثلها».[٢٣] إلا أننا نجد النوعين متشابهين جداً، والثاني هو قمّة الأول في التعبير، ولا نرى داعياً للتقسيم. ولأن هذا النوع من الإيجاز هو الأبلغ، سماه بعضهم «إيجاز البلاغة».[٢٤]

---

(١٧) العسكري، كتاب الصناعتين، ص ١٩٥

(١٨) الفاتحة / ٢

(١٩) راجع: جلال الدين المبحر وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين (قرآن كريم)، لا دار نشر، عن طبعة بولاق، ١٣٤٢ هـ. ص ٢. وقد قال ابن الأثير: «وإذا نظرنا إلى سورة الفاتحة وتأملنا ما فيها من المعاني وجدناها مشتملة على أربعة أقسام من الستة المذكورة (أي الأقسام الستة التي تدور معاني القرآن عليها ولا تتعداها) »(المثل السائر، ٦٩/٢).

(٢٠) راجع هذا البيت وتفسيره في: ابن الأثير، المثل السائر، ٧٦/٢

(٢١) الأعراف / ٥٤

(٢٢) العسكري كتاب الصناعتين، ص ١٩٦

(٢٣) ياسين الأيوبي ومحيي الدين ديب، كشف الغموض عن قواعد البلاغة والعروض، ص ١٢٩ ـ ١٣٠

(٢٤) قارن: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٢٢٣ و٢٢٤

٢ ـ **الإيجاز بالحذف:** وهو إيجاز الجملة بحذف بعض أقسامها، بشرط أن يحتمل الكلام هذا الحذف فلا يلتبس فهمه أو يستغلق. والمحذوف أنواع:

١ ـ **حذف الحرف:** وقد يكون الحرف يصح حذفه من كلمة، نحو قوله تعالى: ﴿**ولم أكُ بغيًا**﴾[٢٥]، أو حرفاً من حروف المعاني، كقول الشاعر واصفاً نفوره من الخمر:

فَلاَ وَاللَّهِ أَشْرَبُهَا حَيَاتِي ... وَلاَ أَسْقِي بِهَا أَبَداً نَدِيماً

والتقدير: لا أشربها، فحذف حرف النفي «لا».

٢ ـ **حذف الاسم:** والاسم أنواع، فقد يحذف:

أ ـ **المضاف:** كقوله تعالى: ﴿**واسأل القرية التي كنا فيها...**﴾[٢٦] والتقدير: واسأل أهلَ القرية. ومثله قوله تعالى: ﴿**الحج أشهر معلومات...**﴾[٢٧] والمقصود: وقتُ الحج. وكقول الشاعر:

هَلَ اعْفُو عَنْ أُصُولِ الْحَقِّ فِيهِمْ
إِذَا عَسُرَتْ وَأَقْتَطِعُ الصُّدُورَا؟

والمقصود: وأقتطع ما في الصدور.

ب ـ **أو المضاف إليه:** كقوله تعالى: ﴿**وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً وأتممناها بعشرٍ**﴾[٢٨]، أي بعشرِ ليالٍ. ومثله قول أبي تمام:

سِتٌّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَأَتْبَعُهَا
إِلَى الْمَشِيبِ وَلَمْ تَظْلِمْ وَلَمْ تَحُبِ

والمقصود: ست وعشرون سنةً.

ج ـ **أو الموصوف:** كقوله تعالى: ﴿**ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله**

---

(٢٥) مريم / ٢٠

(٢٦) يوسف / ٨٢

(٢٧) البقرة / ١٩٧

(٢٨) الأعراف / ١٤٢

مثاباً﴾[٢٩]؛ والمقصود: وعمل عملاً صالحاً. ومثله قوله تعالى: **﴿فليضحكوا قليلاً وليبكو كثيراً﴾**[٣٠] والمقصود: ضحكاً قليلاً وبكاءً كثيراً. ومثله قول البحتري يصف رسماً فسيفسائيّاً:

وَالْمَنَــايَــا مَــوَاثِــلٌ وَأَنُــو شِــرْ
وَانَ يُزْجِي الصُفُوفَ تَحْتَ الدِرَفْسِ

فِي اخْضِرَارٍ مِنَ اللِبَاسِ عَلَى أَصْـ
فَـرَ يَـخْـتَـالُ فِـي صَـبِـيـغَـةِ وِرْسِ

والمقصود في البيت الثاني: على جوادٍ أصفر يختال.

د ـ أو الصفة: كقوله تعالى: **﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر، فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غَصْباً﴾**[٣١]، فقد حُذف هنا النعت، والتقدير: يأخذ كل سفينة صالحة غصباً، لأن قوله «فأردت أن أعيبها» يدل على ذلك، فهي قد كانت صالحة قبل أن يعيبها. ومثل هذا قول الشاعر:

وَرُبَّ أَسِـيـلَـةِ الْخَدَّيْـنِ بِـكْـرٍ
مُـهَـفْـهَـفَـةٍ، لَـهَـا فَـرْعٌ وَجِـيـدُ

والمقصود: لها فرع اسمرُ (أو فاحم) وجيدٌ طويل. وذلك لأن مدح الفتاة لا يكون لأمر عام لا يميزها عن سواها.

هـ ـ أو المسند إليه: كقوله تعالى: **﴿حتى توارت بالحجاب...﴾**[٣٢] ويقصد هنا الشمس. ومثله قول الشاعر:

أَمَاوِيَّ مَا يُغْنِي الثَرَاءُ عَنِ الْفَتَى
إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْماً وَضَاقَ بِهَا الصَدْرُ

---

(٢٩) الفرقان / ٧١

(٣٠) التوبة / ٨٢

(٣١) الكهف / ٧٩

(٣٢) ص / ٣٨

ويقصد: إذا حشرجت النفس.

و ـ **أو المفعول به:** كقوله تعالى: ﴿**وأنه هو أمات وأحيا**﴾[٣٣]، والمقصود أماتَ من ماتَ وأحيا من حَيِيَ. ومثله قول الشاعر:

فِـي شَـانِـهِ وَلِـسَـانِـهِ وَبَـنَـانِـهِ
وَجَـنَـانِـهِ عَـجَـبٌ لِمَنْ يَـتَـفَـقَّـدُ

والمقصود: لمن يتفقّدها.

ز ـ **أو الخبر:** كقول الشاعر:

كُـلُّ عُـذْرٍ مِـنْ كُـلِّ ذَنْـبٍ وَلَـكِـنْ
أَعْـوَزَ الْـعُـذْرِ مِـنْ بَـيَـاضِ الْـعِـذَارِ

والتقدير: كل عذر من كل ذنب مقبول.

٣ ـ **حذف الفعل (أو المسند):** كقول الشاعر:

فَـإِنَّ الْمَنِـيَّـةَ مَـنْ يَـخْـشَـهَـا فَـسَـوْفَ تُـصَـادِفُـهُ أَيْـنَـمَـا

والتقدير: أينما ذهب.

٤ ـ **حذف الجار والمجرور:** كقوله تعالى: ﴿**يشترون الضلالة ويريدون أن تضلّوا السبيل**﴾[٣٤] والتقدير: يشترون الضلالة بالهدى. ومنه قول البحتري:

وَلأَنْتَ أَمْلأُ فِي الْعُيُونِ لَدَيْهِمُ وَأَجَلُّ قَدْراً فِي الصُدُورِ وَأَكْبَرُ

والتقدير: أملأ في العيون من سواك.

٥ ـ **حذف الجملة:** وذلك على أنواعها:

أ ـ فقد تحذف الجملة الأولى من الشرط أو الطلب (جملة الفعل): كقوله تعالى: ﴿**يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإيايَ فاعبدونِ**﴾[٣٥]، فالتقدير هنا: فإن لم

---

(٣٣) النجم / ٤٤

(٣٤) النساء / ٤٤

(٣٥) العنكبوت / ٥٦

تخلصوا لي العبادة فأخلصوها في غيرها، وعبّر عن الجواب بالعبارة: فإياي فاعبدون، فكأنه يقول: فإياي فاعبدون مخلصين في أرضٍ أخرى. وربما حذف ما عطف على الجملة الأولى، كقوله تعالى: ﴿**فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدّة من أيّام أُخَر**﴾[٣٦]، والتقدير: فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فَأَفْطَرَ...

وقد يحذف جواب الشرط (أو الطلب)، كقوله تعالى: ﴿**ولو أنّ قرآناً سيّرت به الجبال...**﴾[٣٧] والتقدير: لكان هذا القرآن. ومثله قول الشاعر:

فَـأُقْـسِـمُ لَـوْ شَـيْءٌ أَتَـانَـا رَسُـولُـهُ
سِوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا

والتقدير: لو شيء أتانا رسوله لرددناه.

وربما كانت الجملة المحذوفة جواب القسم، كقوله تعالى: ﴿**ق، والقرآنِ المجيد، بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب**﴾[٣٨] والتقدير: والقرآن المجيد لَتُبْعَثُنَّ.

وربما حذفت الجملة من غير أن تكون شرطاً أو طلباً أو قسماً، كقوله تعالى: ﴿**فقلنا: اضربْ بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا...**﴾[٣٩] والتقدير: فضرب، فانفجرت منه... وكقوله تعالى: ﴿**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا**﴾،[٤٠] والتقدير: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعده وقاتل. ومثله قول الشاعر:

يَـتَـجَـنَّـبُ الآثَـامَ خِـيـفَـةَ غَـيِّـهَـا
فَـكَـأَنَّـمَـا حَـسَـنَـاتُـهُ آثَـامُ

---

(٣٦) البقرة / ١٨٤

(٣٧) الرعد / ٣١

(٣٨) ق / ١ ـ ٢

(٣٩) البقرة / ٦٠

(٤٠) الحديد / ١٠

والتقدير: يتجنب الآثام خيفة غيّها فيكون قد أتى بحسنة، ثم يخاف تلك الحسنة، فكأنما...

وربما حذفت جملة جواب من غير شرط، كقوله تعالى: ﴿**هل أدلّكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون؟ فرددناه إلى أمه كي تقرّ عينها...**﴾[٤١] والتقدير: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه... فقالوا: نعم، وذلك بدليل ردّه إلى أمه.

٤ ـ الإطناب ـ تحديده وأهميته: يحدد ابن الأثير الإطناب قائلاً: «هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة؛ فهذا حده الذي يميزه عن التطويل».[٤٢] ومعنى هذا أن الإطناب ضرورة بلاغية من جهة، وأنه يختلف عن التطويل من جهة أخرى. فالتطويل زيادة للفظ على المعنى بلا فائدة، وهو، على هذا، ليس ضرورة بلاغية، بل عيٌّ ووهن. ولهذا السبب نجد أبا هلال العسكري يقول: «الإطناب إذا لم يكن منه بد إيجاز».[٤٣] فلكل من الإيجاز والإطناب حاجة في الجملة، ولكل منهما موضع، والحاجة إلى الواحد في موضعه كالحاجة إلى الآخر فيه.[٤٤]

ويلفت ابن الأثير إلى ضرورة عدم الخلط بينه. وبين التطويل، يقول: «ورأيت علماء البيان قد اختلفوا فيه، فمنهم من ألحقه بالتطويل الذي هو ضد الإيجاز، وهو عنده قسم غيره، فأخطأ من حيث لا يدري... وعلى هذا فإن الإطناب لا يختص به عوام الناس، وإنما هو للخواص كما هو للعوام...»[٤٥]

ويختصر القزويني تحديد الإيجاز والاطناب بقوله: «فالإيجاز أداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف، والإطناب أداؤه بأكثر منها».[٤٦]

---

(٤١) القصص / ١٢

(٤٢) ابن الأثير، المثل السائر، ١٢٠/٢

(٤٣) العسكري، كتاب الصناعتين، ص ٢١١

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٩

(٤٥) ابن الأثير، المثل السائر، ١٢٠/٢

(٤٦) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠

وعلى هذا فإن الإطناب من أَطْنَبَ يعني «البلاغة في المنطق والوصف، مدحاً كان أو ذماً. وأطنب في الكلام: بالغ فيه... واطنب في عَدْوِهِ إذا مضى فيه باجتهاد ومبالغة... ومنه أطنب في الكلام إذا أبعدَ».[٤٧] وهو في الجملة «أن يزيد لفظها على معناها لنكتة»،[٤٨] أي لسبب يلزم الإطالة، فيظل الكلام بليغاً، مناسباً للمقتضى. ومعنى هذا أننا إذا أطلنا فإنما نطيل لفائدة، وهذا هو الفارق بينه وبين التطويل، لأن التطويل زيادة الكلام من غير فائدة، وهو ليس من مراتب البلاغة، كقول عروة بن الورد:

شَابَ رَأْسِي فَصَارَ أَبْيَضَ لَوْناً بَعْدَ أَنْ كَانَ حَالِكاً بِالسَوَادِ

فقد قال: «شاب» رأسي، والشيب هو ابيضاض الشعر، ثم عاد فقال: «فصار أبيض لوناً» والمعنى نفسه، ولا فائدة من قوله هذا.

ومثله الحشو. ومن الحشو كذلك قول زهير بن أبي سلمى:

وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ وَلكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِي

فلفظة «قبله» حشو، لأن لفظة «الأمس» تفيد ما قبل اليوم.

٥ ـ أنواع الإطناب: الإطناب أنواع عديدة هي:

١ ـ التنبيه إلى الشيء: وذلك بتقديم العام على الخاص، كقوله تعالى: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**،﴾[٤٩] فقد ذكر الصلوات على العموم ـ وهي العام ـ، ثم عاد فذكر منها الصلاة الوسطى لينبّه إليها بشكل خاص ـ وهي الخاص؛ وذلك كأنه يؤكد أنّ الصلاة لا قيمة لها إلا إذا كانت متكررة، متجردة من شواغل الدنيا.

وقد ينبّه إلى الشيء بتقديم الخاص على العام، كقوله تعالى: ﴿**ربِّ اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات...**﴾[٥٠] فـ «المؤمنين والمؤمنات» هو العام، و«أنا» ومن اختص بهذا الضمير (والداي ومن دخل بيتي مؤمناً) هو الخاص.

---

(٤٧) ابن منظور، لسان العرب، ٥٦٢/١

(٤٨) جبر ضومط، الخواطر الحسان في المعاني والبيان، ص ٢٢٤

(٤٩) البقرة / ٢٣٨. وراجع تفسير هذا في: القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ٢٢٤ (ها)

(٥٠) نوح / ٢٨

٢ ـ **الإيضاح بعد الإبهام:** وذلك بهدف تمكين المعنى في النفس وترسيخه، كقوله تعالى: **﴿وقضينا إليه ذلك الأمر أنَّ دابرَ هؤلاء مقطوع مصبحين...﴾**[٥١] وذلك من باب تفسير لفظة «الأمر»، وهو يريد تعظيم التهويل في نفوس السامعين، ولا سيما أنه قال في الآية السابقة: **﴿فأسرِ بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون﴾**، وذلك تمهيداً لمعاقبة الآخرين.

٣ ـ **التوشيع:**[٥٢] وهو أن نأتي في صدر الكلام بلفظ مثنى، ثم في عجزه بلفظين يفسّران اللفظ المثنى أو يوضحانه، يكون أحدهما معطوفاً على الآخر، كقول البحتري:

لَـمَّا مَشَـيْنَ بِذِي الأَرَاكِ تَشَابَهَتْ ... أَعْـطَـافُ قُـضْـبَانٍ بِـهِ وَقُـدُودِ

فِي حُلَّتِيْ حِبَرٍ وَرَوْضٍ فَالْتَقَى ... وَشْيَانِ: وَشْيِ رُبًى وَوَشْيِ بُرُودِ

وَسَفَرْنَ فَامْتَلأَتْ عُيُونٌ رَاقَهَا ... وَرْدَانِ: وَرْدُ جَنًى وَوَرْدُ خُدُودِ

ومثله أيضاً قول ابن المعتز:

سَقَتْنِيَ فِي لَيْلٍ شَبِيهٍ بِشَعْرِهَا ... شَبِيهَةَ خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ

فَمَا زِلْتُ فِي لَيْلَيْنِ: شَعْرٍ وَظُلْمَةٍ ... وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَوَجْهِ حَبِيبِ

٤ ـ **التكرار:** أي أن نذكر الشيء مرتين أو أكثر:

أ ـ **إما للتأكيد،:** كقوله تعالى: **﴿كلاّ سوف يعلمون ثمّ كلا سوف يعلمون﴾**.[٥٣]

ب ـ **وإما للتحسر والتفجع،:** كقول الشاعر:

فَـيَـا قَـبْـرَ مَـعْـنٍ أَنْـتَ أَوَّلُ حُـفْـرَةٍ

مِنَ الأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّمَاحَةِ مَضْجَعَا

---

(٥١) الحجر / ٦٦

(٥٢) التوشيع: لفّ القطن المندوف

(٥٣) التكاثر / ٣ ـ ٤

وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ

وَقَدْ كَانَ مِنْهُ البَرُّ وَالْبَحْرُ مُتْرَعَا

ج ـ **وإما لطول الكلام**، كقوله تعالى: ﴿**ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إنّ ربك من بعدها لغفور رحيم**﴾.(٥٤) ومثل قول الشاعر:

وَإِنَّ امْـرَأً دَامَـتْ مَـوَاثِـيـقُ عَـهْـدِهِ

عَـلَـى مِـثْـلِ هَـذَا، إِنَّـهُ لَـكَـرِيمُ

د ـ **وإما للترغيب وزيادته**، كقوله تعالى: ﴿**وقال الذي آمن: يا قوم اتبعونِ أهدِكم سبلَ الرشاد يا قومُ إنما هذهِ الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار...**﴾(٥٥) فقد كرر «يا قوم» مرتين ليلينّ قلوبهم، فلا يشكون في نصيحته.

هـ ـ **وإما لإظهار التلذذ من ذكر اللفظ**، كقول الشاعر:

سَقَى اللَّهُ نَجْداً وَالسَّلاَمُ عَلَى نَجْدِ

وَيَا حَبَّذَا نَجْدٌ عَلَى الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ

٥ ـ **الإيغال**: وهو مبالغة في الوصف أو في تقرير ما نريد؛ فالإيغال زيادة في الكلام يمكن حذفها، ولكن في زيادتها فائدة بلاغية، كقول الشاعر:

قِفِ الْعِيسَ فِي أَطْلاَلِ مَيَّةَ فَاسْأَلِ

رُسُـومـاً كَـأَخْـلاَقِ الـرِدَاءِ الْمُسَلْسَلِ

فقد تم المعنى حين قال: «رسوماً كأخلاق الرداء»، ولكنه زاد المسلسل زيادةً في الإيضاح. ومثله قول مسلم بن الوليد:

إِذَا مَـا عَـلَـتْ مِـنَّـا ذُؤَابَـةُ شَـارِبٍ

تَمَشَّتْ بِهِ مَشْيَ الْمُقَيَّدِ فِي الْوَحْلِ

---

(٥٤) النحل / ١١٠

(٥٥) غافر / ٣٨ - ٣٩

فقد تمّ المعنى حين قال: «مشيَ المقيد»، ثم أضاف «في الوحل» للمبالغة. ومثل قوله تعالى: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾؛[٥٦] فقد تمّ المعنى مع قوله «لهم الأمن»، ولكنه أضاف «وهم مهتدون» لزيادة الترغيب في الرسل والمهتدين.

٦ ـ **الاعتراض**: وهو أن يندرج في خلال الكلام جملة اعتراضية، أو أكثر، ليس لها من الإعراب محل، كقول الشاعر:

أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللَّهَ بَاطِلُ ‏‏ وَكُلُّ نَعِيمٍ، لاَ مَحَالَةَ، زَائِلُ

فجملة «لا محالة» اعتراضية، ولا محل لها من الإعراب، اعترض بها الشاعر للسياق الأساسي لتأكيد الاستحالة ـ نلفت إلى أن الاعتراض قد تكون له أغراض بلاغية عديدة نتبيّنها من خلال الكلام.

٧ ـ **التذييل**: وهو أن تلي الجملة جملةٌ أخرى لها معنى السابقة من أجل أن تؤكد عليها، كقوله تعالى: ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا**﴾[٥٧]، فالجملة الثانية «إن الباطل كان زهوقا» لها معنى الجملة التي قبلها، وقد كُرّر المعنى للتوكيد. ومثل هذا قول الشاعر:

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئاً أُؤَمِّلُهُ

تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلاَ أَمَلِ

فالشطر الثاني تكرار لمعنى الشطر الأول.

٨ ـ **الاحتراس أو التكميل**: وذلك إذا أتى المتكلم بمعنًى، فخاف أن يُفهم خلافاً للمقصود، فأورد في السياق ما يدفع ذلك الفهم: احتراساً منه، وتكميلاً للمعنى، ولهذا سمّي «احتراساً» أو «تكميلاً»، كقول طرفة:

فَسَقَى دِيَارَكَ، غَيْرَ مُفْسِدِهَا، ‏‏ صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةٌ تَهْمِي

---

(٥٦) الأنعام / ٨٢

(٥٧) الإسراء / ٨١

فقد ذكر هنا «غير مفسدها» خوفاً من أن يظن السامع أن المطر الربيعي سيُفسد الديار. وكقول الشاعر:

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيَّنَ أَهْلَهُ،
مَعَ الْحِلْمِ في عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهِيبُ

فلو اقتصر الشاعر هنا على ذكر الحلم، لظن السامع أن الحليم إنما هو كذلك عن عجز وضعف، لذلك أكمل المعنى محترساً.

٩ ـ التتميم: وهو أن تزاد فَضْلَةٌ في الكلام تحسنه وتحسّن معناه، ويؤدّي حذفها إلى اختلال في المعنى، كقول الشاعر:

صَبَبْنَا عَلَيْهَا، ظَالِمِينَ، سِيَاطَنَا
فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلُ

فلو أنه لم يذكر الحال «ظالمين» لربما ظنّ السامع أن سبب الضرب هو التباطؤ أو الكسل، وليس هو، في الواقع كذلك، فجاءت الحال ـ وهي فضلة ـ لتدل على هذا.

٦ ـ المساواة: وهي من فعل ساوى، يقال: «هذا لا يساوي هذا أي لا يعادله... ويقال: ساوى الشيءُ الشيءَ إذا عادله. وساويتُ بين الشيئين إذا عدّلتُ بينهما وسوّيت...»[٥٨]

والمساواة، إذاً، يقول قدامة بن جعفر، «أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه، ولا ينقص عنه، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتّاب رجلاً فقال: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر».[٥٩]

أما العسكري فيقول إنها كون «المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب».[٦٠] ويرى ابن

---

(٥٨) ابن منظور، لسان العرب، ١٤/٤١٠

(٥٩) قدامة بن جعفر، نقد الشعر جونيه: المكتبة البولسية، ١٩٥٨، ص ١٠٨ ـ ١٠٩

(٦٠) ياسين الأيوبي ومحيي الدين ديب، كشف الغموض عن قواعد البلاغة والعروض، ص ١٤٢

الأثير إنها ضرب من الإيجاز الذي «ساوى لفظه معناه، ويسمى التقدير».[61]

وعلى هذا، نقول إن المساواة هي أن نأتي بكلام تساوي ألفاظه معانيه من غير زيادة ولا نقصان، كقول الشاعر:

فَإِنْ تَكْتُمُوا الدَاءَ لاَ نُخْفِهِ، وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لاَ نَقْعُدِ
وَإِنْ تَقْتُلُونَا نُقَتِّلْكُمْ، وَإِنْ تَقْصُدُوا الدَمَ لاَ نَقْصُدِ

فإنّ الكلام هنا يؤدي المعنى من غير أن يكون موجزاً ولا مطنباً. ومثله قول المتنبي:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

ونحن، في هذا، نختلف مع ابن الأثير في اعتبارها من باب الإيجاز.

(٦١) ابن الأثير، المثل السائر، ١٠٧/٢

ملحق:

الفكر واللغة وعلاقتهما بالنص

١ ـ مقدمة: يعتبر كل شكل من أشكال التعبير عن فكرة أو موضوع نَصّاً. وعملية التعبير ـ تعبير الإنسان عن أفكاره ـ لا تكون إلا انعكاساً لعملية التفكير. وعلى هذا، فإن اللغة[١] هي الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الفكرة.

ولسنا هنا في صدد التعبير عن غير المكتوب، لأن اللغة «منظومة من العلامات التي تعبر عن فكر ما»،[٢] ويمكن أن يكون التعبير بطرائق عديدة. كما أننا لا ننسى البعد الاجتماعي للغة.[٣] ولكننا هنا نتطرق إلى النص المكتوب، وبالتالي إلى لغة الكتابة العربية.

---

(١) نلفت هنا إلى الفارق بين اللغة واللسان. ذلك أَنَّ «ممارسة اللسان لتعتمد على قدرة تكسبنا إياها الطبيعة؛ في حين أن اللغة شيء اتفاقي مكتسب ولا بد أن تخضع للغريزة الطبيعية بدل أن تعلو عليها». (فرديناند دي سوسّر، محاضرات في الألسنية العامة، تعريب: يوسف غازي ومجيد النصر، جونيه: دار النعمان، ١٩٨٤، ص ٢١)

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٧

(٣) يقول دي سوسور إن اللغة «نتاج اجتماعي لملكة اللسان، وتواضعات ملحّة ولازمة يتبنّاها الجسم الاجتماعي لتسهيل ممارسة هذه الملكة لدى الأفراد». (المرجع نفسه، ص ٢١). وهي، =

٢ ـ اللغة والكتابة: يقول دي سوسور إن اللغة والكتابة تشكلان «منظومتي علامات متميزتين». فالكتابة هدفها «تمثيل اللغة»؛ والكلمة المكتوبة تمتزج تماماً بالكلمة المنطوقة ـ لأن الأولى صورة للثانية ـ.(٤)

وهكذا، فاللغة «مدوّنة: أي قائمة عبارات توافق قدراً من الأشياء».(٥) كذلك، فإن «العلامات اللسانية لا تربط شيئاً باسم بل تصوراً بصورة سمعية، وهذه الأخيرة... هي الدفع النفسي لهذا الصوت، أو التمثل الذي تهبنا إياه شهادة حواسنا».(٦) من هنا، فإن اللغة تعبّر عن الفكر، تماماً كما تعبّر عن حالات صاحبها النفسية، وتمثل أفكاره(٧) تماماً كما تمثل مشاعره.

وتمثل الكتابة نصّاً مكتوباً. وليس النص مجرد سطر من كلمات «ينتج عنه معنى أحادي... ولكنه قضاء لأبعاد متعددة... (و) نسيج لأقوال ناتجة عن ألف بؤرة من بؤر الثقافة».(٨) وهو يرسل مجموعة من الأفكار المترابطة، عموماً، إلى شخص آخر.

هكذا فإن الكتابة شكل من أشكال التخاطب، الذي يقوم على أركان ثلاثة:

= عنده، «مؤسسة اجتماعية». (الموضع نفسه، وكذلك ص ٢٧). ويقول علي عبد الواحد وافي: «لا شك أن الفضل في نشأة اللغة الإنسانية يرجع إلى المجتمع نفسه وإلى الحياة الاجتماعية... ولا شك كذلك أن اللغة ظاهرة اجتماعية تنشأ كما ينشأ غيرها من الظواهر الاجتماعية: فتخلقها طبيعة الاجتماع؛ وتنبعث عن الحياة الجمعية وما تقتضيه هذه الحياة من شؤون». (علم اللغة، الفجالة: مكتبة نهضة مصر، ط ٥، ١٩٦٢، ص ٨٨)

(٤) فردينان دي سوسّر، محاضرات في الألسنية العامة، ص ٣٩ ـ ٤٠

(٥) المرجع نفسه، ص ٨٧

(٦) المرجع نفسه، ص ٨٨

(٧) يقول دي سوسور: «عندما نتكلم على قيمة كلمة فإننا نفكر عادة وقبل كل شيء بخاصتها في تمثيل فكرة ما». (المرجع نفسه، ص ١٣٩)

(٨) رولان بارت، نقد وحقيقة، تعريب: منذر عباسي، بيروت: مركز الانماء الحضاري، ١٩٩٤، ص ٢١)

ـ أولاً: المُرْسِل: ومر الكاتب أو «المتكلم... الذي يرسل الرسالة اللغوية إلى السامع».[٩]

ـ ثانياً: المُرْسَل إليه (أو المستقبِل): وهو الشخص الذي يتلقى الرسالة اللغوية.

ـ ثالثاً: المُرْسَلَة (أو المُرْسَل): وهو مجموعة الوحدات الدلالية واللغوية التي تُنْقَل من المرسَل إلى المرسَل إليه.

وعلى المرء، عندما يواجه نَصّاً من النصوص أن يحسن قراءته لكي يتم الاستقبال بصورة جيدة، فيؤدي النص غرضه من كتابته وتأديته. وعلى المرء «أن يرى أن كل ما في العمل دال: فالقواعد لا تكون موصوفة جيداً إذا لم تستطع كل الجمل أن تجد فيها شرطها. وكذلك، فإن نظام المعنى لَيُعْتَبَرُ ناقصاً إذا لم يستطع الكلام جميعاً أن ينتظم فيه وأن يتخذ منه مكاناً جديّاً».[١٠] وكذلك على المُرْسِل أن يحسن كتابة النص أو إعداده. وهكذا فإن ثمة شرطين أساسيين في عملية الإرسال والاستقبال لا يجوز أن يهمل أي منهما:

ـ أولاً: حسن إعداد المرسَلَة: لكي تكون واضحة،[١١] فتؤدي وظيفتها، وإلاّ تعذّر إنجاز المهمة، وهي هنا الإفهام والتبليغ؛ وقد تكون تحريك الأحاسيس وتصعيدها في النصوص الأدبية...

ـ ثانياً: حسن التلقي: أي أن يكون المُرسَل إليه مهيئاً لتلقي المرسَلَة والتعامل (أو التفاعل) معها لتنجح مهمة الإرسال.

ولكي تكون القراءة ناجحة يجب أن يكون المرسَل إليه مُعَدّاً لاستيعاب المرسَلَة،

---

(٩) محمد التونجي وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٣، ص ٥٦٥

(١٠) رولان بارت، نقد وحقيقة، ص ١٠٣

(١١) تختلف نسبة الوضوح والغموض في أنواع المرسَلات. فالمرسَلَة الشعرية لا تكون نسبة وضوحها، مثلاً، كالمرسلة النثرية...

فلا يعجز عن رصدها، وتفكيك عناصرها، وإعادة تركيبها،[١٢] بشكل يؤمن له الاطلاع على فحواها اطلاعاً واضحاً. ولذلك يجب أن يكون المرسَل إليه ذا ثقافة تمكّنه من التعامل مع المرسلة تعاملاً ناجحاً.

٣ ـ الكلام / التخاطب والفكر: تعتبر عملية الكلام عملية محض عقلية لأنها تعبير عن الفكر من خلال اللغة؛ وهي في التخاطب البشري تعبير عن الفكر من خلال مجموعة الأحرف التي تتألف منها الكلمات، وربط تلك الكلمات ببعضها في جمل متكاملة. وفي الواقع فإن «ميزة التعبير الإنساني المولَّد بأمر أكبر دماغ أنه، أولاً، في الحقل التنفيذي، تعبير مبين يستلزم أصواتاً كثيرة جداً، يوحيها تدخل تبدلات شكلية في المناطق البلعومية ـ الفَمَوية التي تعلو الحنجرة، فلدى الإنسان، بشكل غريزي، القدرة على إرسال هذه الأصوات، ولكنه سيتلاعب بتلك القدرة ليخلق له لغة ذات ألفاظ وكلمات، بعد أن يكون قد مازج بين تلك الأصوات».[١٣]

لكن ثمة جدلاً، برأينا، يمكن أن يقوم حول من ينبغي أن تكون له الأسبقية: الفكر أم الكلام؟ ومثل هذا الجدل منطقي وبديهي، لأن الكلام «تعبير» عن التفكير، ويمكن أن يتم التعبير بالنطق، أو بالكتابة، أو بالإشارة، أو بالرسم، أو بأية وسيلة أخرى من شأنها أن تنقل التفكير من طابعه المفارق وتجسّده في رموز. فالنطق تعبير من خلال الأصوات البشرية، وعن طريق التلفّظ بها.[١٤] إنه ترميز صوتيّ للفكرة.[١٥] لهذا،

---

(١٢) يرى رولان بارت أن «النص مفتوح، ينتجه القارئ في عملية مشاركة. لا مجرد استهلاك. هذه المشاركة لا تتضمن قطيعة بين البنية والقراءة، وإنما تعني اندماجهما في عملية دلالية واحدة. فممارسة القراءة إسهام في التأليف». (صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ عالم المعرفة [آب، ١٩٩٢]، ص ٢٣١)

(١٣) بول شوشار، اللغة والفكر، تعريب: صلاح أبو الوليد، بيروت: المنشورات العربية [سلسلة: ماذا أعرف ـ رقم ١٢]، لا تاريخ، ص ٣١

(١٤) يقول بول شوشار: «اخترع العقل الإنساني تمثيل الأشياء في العالم بإشارة صوتية». (المرجع نفسه، ص ٥٨)

(١٥) يقول بول شوشار: «والإنسان في استعماله إمكانيات التعبير اللفظي للدلالة على الأشياء أوجد =

فبإمكان الإنسان أن يقود أجهزته النطقية بشكل دقيق، فيبث إشارات صوتية شبيهة إلى حد كبير بالإشارات الصوتية الحيوانية، لكن الفارق بينهما هو في كون الإشارات الإنسانية واعية، بعكس سواها.

هكذا قيض للإنسان أن يعبّر تعبيراً ليس هو مجرد أداة للكلام، بل جوهر فكره نفسه. وهذا ما حدا أرسطو على أن يحدد الإنسان بأنه «حيوان ناطق»: فهو حيوان لأن فيه حياة،(١٦) وهو ناطق لأنه يتمتع بمقدرة الوعي والتعبير والإفهام؛ وهذه القدرة قد أتاحت أن يسبق بما لا يوصف المستوى الحيواني.

أما الكتابة فتعبير من خلال الرسم الشكلي (الحروف ـ الرموز)(١٧) عن الصوت والمعنى في آن. وهذا يعني أن الإنسان قادر على تجسيد الرمز الصوتي ـ التجريدي للّغة، أي على تحويل أفكاره إلى مجسّمات رمزية ـ نطقية. واللغة، كما يقول ميشيل فوكو، كانت «في شكلها الأول، حين وهبها الله نفسه للناس، شارةً أكيدة وشفّافة بشكل مطلق للأشياء، لأنها تشبهها. فالأسماء وضعت على ما كانت تشير إليه، كما كتبت القوة في جسم الأسد، والملوكية في نظرة الصقر...»(١٨) ولكن اللغة «لم تعد تشبه مباشرةً الأشياءَ التي تسميها، فإنها ليست مفصولة عن العالم لهذا السبب، فهي تستمر، في شكل آخر، أن تكون مكان الاكتشافات، وأن تؤلف جزءاً من المدى الذي تظهر فيه الحقيقة، وتعلن عن نفسها في آن معاً».(١٩)

= لذاته طريقة تفكير وعبور من مجرد الإشارة الخارجية إلى حياة العقل، ومن الحسي إلى المجرد». (المرجع نفسه، ص ٣٢)

(١٦) «الحيوان اسم يقع على كل شيء حي... والحيوان أيضاً جنس الحي». (ابن منظور، لسان العرب، ٢١٤/١٤)

(١٧) «الرمز ثابت. أما الوعي الذي يملكه المجتمع، والحقوق التي يعطيها له، فهي التي تتغير». (رولان بارت، نقد وحقيقة، ص ٨٣)

(١٨) ميشيل فوكو، الكلمات والأشياء، تعريب: فريق من المعرّبين، بيروت: مركز الانماء القومي، ١٩٨٩ ـ ١٩٩٠، ص ٥٣

(١٩) الموضع نفسه

من خلال كل ما تقدم نفهم أن الفكر كيان قائم بنفسه، وله عالمه، واننا ننقله باللغة إلى الآخر. بيد أن تعبيرنا عن أفكاره يكون متفاوتاً، فثمة ما لا نحسن التعبير عنه، وثمة ما نعبر عنه ويكون، مع ذلك، غير واضح، وثمة ما ننقله بيسر ووضوح إلى سوانا. وهنا نميز بين التعبير الأدبي وغيره. فالمهم في التعبير الأدبي هو كثافة العاطفة، وتكثيفها هو الذي يؤدي إلى الغموض الذي تتفاوت درجاته بتفاوت الأعمال الأدبية. وهكذا، يمكننا أن نقول إن الوظيفة الرمزية في اللغة يمكن أن تتغير مستوياتها وتتباين. وهذه الوظيفة العامة جداً «هي التي تسمح للبشر ببناء الأفكار والصور والأعمال. ولكن ما إن يتعدى المرء الاستعمالات العقلانية الضيّقة للغة، حتى تضطرب هذه الوظيفة وتتحدد، أو تصبح ممنوعة»، بحسب النقد التقليدي.[٢٠]

أما الفصل بين الفكر والكلام فليس إلا من باب التنظير، لأن الفصل بين الحامل والمحمول محال، ولا يكون إلا نظرياً. وعلى هذا يمكننا أن نقول إن الفصل بين التعبير (الحامل) والأفكار (المحمول) محال، على الرغم من أن معظم النقد العربي التقليدي قد اعتمد هذا الفصل ليحوّل الأدب، ولا سيما الشعر منه، إلى حرفة يتعلمها الإنسان.[٢١] وقد سمّى النقد التعبير أسلوباً، والأفكار مضموناً، وتناول علاقة المضمون بالأسلوب. وعليه، يكون هدف الدراسات البلاغية والبيانية إيصال الأفكار إلى المستقبل بأفضل وسيلة مطلوبة من وسائل التعبير.[٢٢]

---

(٢٠) رولان بارت، نقد وحقيقة، ص ٦٨. ويقول شوشار: «يرتبط كمال الوعي عند الإنسان باللغة. ومع ذلك فكل الحقل اللغوي لا يتسم بالوعي». (اللغة والفكر، ص ٧١) ونلفت إلى أن «مجموعة التحولات المعرفية والمنهجية التي جدّت في نظرية اللغة وأصولها، ومستوياتها ووظائفها، والفلسفة العلمية الكامنة وراءها تمسّ بشكل مباشر مفهوم الخطاب وطرق تحليله ووظائفه المتعددة بشكل كلي شامل، مما يجعل أي مقاربة علمية لهذا الخطاب تختلف في محدداتها ونهجها عن المقاربات البلاغية». (صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢٦)

(٢١) «اعتبرت البلاغة الكلاسيكية أن الأشكال زخرف وزينة... تضاف إلى القول لتحسينه» (المرجع نفسه، ص ١٣٤)

(٢٢) يقول لوسبرغ «إن البلاغة نظام له بنية من الأشكال التصورية واللغوية؛ يصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدد». (المرجع نفسه، ص ٩٧)

ويختلف كل نص عن الآخر باختلاف موضوعه، فالمرسلة يتحدد نوعها وطبيعتها من خلال المادة الفكرية التي تحتويها. ومن هنا، تتمايز النصوص وفقاً للموضوع الفكري الذي تحمله. فالمرسلة الشعرية، مثلاً، تختلف لغتها وطريقة أدائها عن المرسلة النثرية... ومعنى هذا أن طريقة الأداء (الأسلوب) يختلف باختلاف المرسلات، فهو الذي يحدد النسق الكتابي، وهو الذي يحدد شخصية المرسل. وقد قيل إن أسلوب النص يعكس شخصية الكاتب.

هكذا، يحدد نوع النص وجود عناصر معينة فيه. وهذه العناصر ثابتة، تشكل ما يمكن أن نسميه «هوية النص». فالمصطلحات وطرق التعبير الأدبية تختلف، مثلاً، عن المصطلحات/الفلسفية. ولكن المصطلح، كمفهوم، نجده في كل نص؛ فهو وحدة ثابتة. والمنطق الذي يربط بين وحدات النص الأدبي، وهي وحدات عاطفية، خيالية، تتناقض مع تلك التي ذكرنا في النص الفلسفي، إلا أن وحدات الربط، كمفهوم، هي عنصر ثابت، وكذلك الأمر بالنسبة إلى تقنية العرض، وغير ذلك... بمعنى آخر، هذه العناصر هي التي تحدد نوع المرسلة.

٤ ـ **الخطاب والمقتضى**: من البديهي أن تكون بين المرسلة والمتلقي صلة أساسية، لأن غاية المرسلة نقل الفكر (أو الإحساس) / التفكير والشعور إلى الآخر. وقد أدرج العرب عملية النقل هذه تحت مقولة «لكل مقام مقال».

وإذا نظرنا في المقولة المذكورة رأينا أنها في أساس البلاغة، لأن البلاغة، كما هو معروف، من أهم العلوم الأدبية، ومعناها، كما نستنتج من عرضنا في فصل سابق، عند أكثر النقاد، مطابقة الكلام لما يقتضيه حال الخطاب،[٢٣] مع فصاحة ألفاظه، مفردها ومركبها.

---

(٢٣) يقول صلاح فضل: «من الناحية اللغوية فإن السياق لا يشمل من الموقف إلا تلك العناصر التي تحدد بنية النص وتؤدي إلى تفسيره، وبهذا تصبح التداولية العلم الذي يُعنى بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظم، مما يطلق عليه سياق النص. ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة «مقتضى الحال»، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية «لكل مقام مقال». (بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢٦)

ولفهم هذه العملية جيداً لا بد لنا من التوقف عند أركانها، أي: مقتضى الحال، والكلام البليغ، وحال الخطاب ومطابقة الكلام للمقتضى.

والمقصود **بمقتضى الحال** ما يدعو إليه الأمر في الواقع، أي ما يستدعيه مقام الكلام وحال المخاطب من كلام على وجه مخصوص. ولا يمكن أن يطابق الكلام الحال إلا إذا لاءَم أذهان المخاطبين (أو المخاطب)، وأخذ في الاعتبار مستواهم البلاغي وثقافتهم؛ فلعامة الناس كلام لا يجوز أن نخاطب به سواهم، ولِعِلْيَةِ القوم كلام لا يجوز أن يكون للسوقة... لهذه الأسباب اختلفت مراتب البلاغة وتفاوتت تفاوتَ الاعتبارات.

والكلام البليغ، ويسمى المقال، هو كل كلام يصوره المتكلم بصورة تناسب أحوال المتكلمين: فإذا حدّث الأمير جاءت ألفاظه وعباراته ملائمة، وإذا حدّث السوقيّ حدّثه بلغة كلغته...

أما حال الخطاب، ويسمّى «المقام»، فهو السبب الذي من أجله يورد المتكلم عباراته على الوجه الذي أوردها عليه، دون سواه.

والمقتضى، ويسمى «الاعتبار المناسب»، وهو الصورة التي وردت عليها العبارة. ونمثل على كل هذا بشخص يمدح آخر. فالمادح مضطر إلى إيراد كلامه بصورة الإيجاز تارة وبالاطناب تارةً أخرى. فإذا استدعى الكلام ذكاء المتكلم ألمح وأوجز، وإذا استدعى الكلام تحسيسه بالمعنى وترسيخ هذا المعنى أطال وأطنب. وهكذا فإن كلاً من المدح والذكاء حال ومقام، وكل من الإيجاز والإطناب مقتضى، وإيراد الكلام موجزاً أو مطنباً مطابقة للمقتضى.

وعليه، نقول إن البلاغة ليست محصورة في تصوير المعاني الجليلة واختيار الألفاظ الفصيحة الواضحة فحسب، بل تتناول، إلى جانب هذين الأمرين، أمراً ثالثاً هو خلق أساليب تؤلف بين تلك المعاني والألفاظ لتكسبها رونقاً خاصاً وجمالاً. والبلاغة، إذاً مطابقة الكلام الفصيح لما تقضيه الحال.

الباب الثالث:

علم البيان

التعريف بعلم البيان

البيان، لغةً، يعني التوضيح والإظهار. يقول ابن منظور: «البيان: ما بُيّن به الشيءُ من الدلالة وغيرها. وبان الشيءُ بياناً: اتّضح، فهو بَيِّنٌ».[1] ويزيد موضحاً البيان: «والبيان: الفصاحة واللَّسَن، وكلام بَيّن فصيح. والبيان: الإفصاح مع ذكاء. والبَيِّن من الرجال: الفصيح. ابن شميل: البَيّن من الرجال السَمْح اللسان الفصيح الظريف العالي الكلام القليل الرَتَج. وفلان أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلاماً. ورجل بيّن فصيح».[2] وقال ابن عباس إنه «إظهار المقصود بأبلغ لفظ».[3] وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم...**﴾[4]

والبيان عند القزويني «علم يُعْرَف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه».[5] ومعنى هذا أنه يشمل الدلالة على المعنى، أي التوضيح، وتعدّد الطرق لذلك. وإذا أردنا أن نكون أكثر إيضاحاً قلنا إن البيان يبتدئ حيث ينتهي بحث النحو،[6] لأنه يتناول، من حيث أبحاثه المعنوية، «النظرَ في إيجاد الفكر الصحيح المناسب لمقتضى الحال أو الاهتداء إلى ما يمكنك من أن تجعل الصورة اللفظية الخارجية

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٦٧/١٣

(٢) المصدر نفسه، ٦٨/١٣

(٣) المصدر نفسه، ٦٩/١٣

(٤) إبراهيم / ٤

(٥) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ٢٣٥ - ٢٣٦

(٦) جبر ضومط، الخواطر الحسان في المعاني والبيان، ص ٧

أقرب ما يكون إلى صورة الفكر الداخلية كما هي في ذهن المتكلم... وأبحاثه من هذه الجهة تنتهي حيث تبتدي أبحاث المنطق».(٧)

ويرى الجاحظ، وهو من أول الذين وضعوا أسس هذا العلم(٨) أن البيان «اسم جامع لكل شيء يكون كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجب دون الضمير، حتى يُفْضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحتَ عن المعنى، فذاك هو البيان في ذلك الموضع».(٩)

وعلى هذا كله فإن البيان، اصطلاحاً، «أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض، في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى».(١٠) ونحن نميل إلى أن نفصل بين علمي المعاني والبيان، لأن الأول يبحث في خواصّ التركيب عن طريق اختلاف وجوه المعنى باختلاف بناء الكلام وهيأة تركيبه، في حين أن الثاني، أي علم البيان، يتناول توضيح المعنى عن طريق الصورة من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية، لا بالصور التركيبية التي بها يصاغ الكلام. ولكن لا بد للبيان من مراعاة مقتضى الحال كما في المعاني لتصير فيه المعاني بمنزلة الفصاحة في البلاغة.

وسنتناول في هذا الباب تفضيل التشبيه، والاستعارة، والمجاز المرسل، والمجاز العقلي، والكناية، ونضيف فصلاً خاصاً ندرس فيه الرمز والكتابة الفنية الحديثة.

---

(٧) الموضع نفسه

(٨) أول من وضع علم البيان أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه «مجاز القرآن»، ثم تبعه الجاحظ، ثم ابن المعتز. (محمد ألتونجي وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة، ص ٤٢٤)؛ وزاد بعضهم عبد القاهر الجرجاني وقدامة بن جعفر وأبا هلال العسكري (أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٢٤٦)

(٩) الجاحظ، البيان والتبيين، ص ٥٤

(١٠) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥

الفصل الأول:

التشبيه

١ ـ تعريفه: التشبيه، لغةً، هو المماثلة والمحاكاة؛ وهو مصدر من فعل شَبَّه: يقال شَبّه هذا بهذا تشبيهاً. قال ابن منظور: «تقول في فلان شَبَهٌ من فلان وهو شِبْهه وشَبَهُه وشَبيهه... وشَبَّه إذا ساوى بين شيء وشيء».[١] جاء في القرآن الكريم: **﴿هو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء، فأخرجنا منه خَضِراً، نُخرج منه حَبّاً متراكباً، ومن النّخل من طَلْعها قِنوان دانية، وجنّاتٍ من أعناب، والزيتونَ والرمّانَ متشابهاً وغير متشابه...﴾**[٢] وقد ورد هذا المعنى مراراً في القرآن.[٣]

وعليه فإن التشبيه من التماثُل، وهو يعني في الاصطلاح مشاركة أمر لأمر لجامع بينهما. قال الجرجاني: «التشبيه أن تثبت للوجود معنى من معاني العدم، أو حكماً من أحكامه، كأن تثبت للرجل صفة وهو لا يملكها من خلال تشبيهه بطرف آخر».[٤] وقال

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٥٠٥/١٣

(٢) الأنعام / ٩٩

(٣) مثلاً: **﴿إن البقر تشابه علينا﴾** (البقرة / ٧٠)، و**﴿قال الذين من قبلهم مثلَ قولهم تشابهت قلوبُهم...﴾** (البقرة / ١١٨)، و**﴿فأما الذين في قلوبهم زَيْغ فيتبعون ما تشابه منه﴾** (آل عمران / ٧)، و**﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابَهَ الخلقُ عليهم﴾** (الرعد / ١٦)، و**﴿الله نزّل أحسنَ الحديث كتاباً متشابهاً...﴾** (الزمر / ٢٣)

(٤) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، استانبول: مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٤، ص ٧٨

العسكري: «التشبيه الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب منابَ الآخر بأداة التشبيه ناب منابَه أو لم ينب... وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه».[٥] وقال ابن الأثير: «وجدت علماء البيان قد فرّقوا بين التشبيه والتمثيل... وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الواقع»؛[٦] فالتشبيه عنده تمثيل. ويرى ابن رشيق أن التشبيه هو «صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو من جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسَبَهُ مناسبةً كليّة لكان إياه...»[٧] ويقول القزويني إنه «الدلالة على مشاركة أمر لأمر في المعنى».[٨]

ويمكننا بعد هذا كلّه أن نختصر فنقول إن التشبيه هو جمع فنّيّ بين طرفين أو أكثر لصفة مشتركة بينهما أو أكثر. فلو قلتَ، مثلاً، زيدٌ أسَدٌ، فأنت تجمع بين زيد والأسد لصفة مشتركة هي القوة.

٢ ـ أركانه: يتألف التشبيه من أربعة أركان، هي التالية:

أ ـ المشبه: وهو الطرف الذي يُقْصَد تشبيهه بطرف آخر وإلحاقه به.

ب ـ المشبه به: وهو الطرف الذي يُقصَد أن يُشَبَّه به طرف آخر لمماثلة ما.

ونسمي المشبه والمشبه به طرفي التشبيه، وعلى أساسهما تقوم جملة التشبيه، ونفرّق بينه وبين الاستعارة. ولهذا لا يجوز أن يُحذف أي منهما في الجملة.

ج ـ أداة التشبيه: وهي اللفظة المستعمَلَة للدلالة على التشبيه، ولربط المشبه بالمشبه به، ويمكن أن تذكر في الجملة أو تحذف، كالكاف، ومثل، وشَبَه (وشِبْه)، وشبيه، ويشبه، وغير ذلك من أدوات قد تكون أسماء أو أفعالاً أو أحرفاً.

د ـ وجه الشبه: وهو الصفة التي تجمع بين المشبه والمشبه به، ويقال له أيضاً: الجامع.

---

(٥) العسكري، كتاب الصناعتين، ص ٢٦١

(٦) ابن الأثير، المثل السائر، ٣٧٣/١

(٧) ابن رشيق، العمدة، ٢٥٦/١

(٨) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ٢٣٨

٣ ـ التشبيه باعتبار طرفيه:

ـ أولاً: تقسيمه إلى حسي وعقلي: يكون طرفا التشبيه:

١ ـ حسيين: أي قابلين للادراك بوساطة الحواس الخمس،[٩] كقول الشاعر:

كَـأَنَّ الـدُمُـوعَ عَـلَـى خَـدِّهَـا   بَـقِـيَّـةُ طَـلٍّ عَـلَـى جُـلَّـنَـارِ

فالدموع على الخدّ والندى على الجلّنار ـ وهو زهر الرمان ـ يمكن أن يدركا بوساطة الحواس الخمس.

٢ ـ أو عقليين: أي غير قابلين للادراك بوساطة الحواس الخمس، بل يدركهما العقل، كقول الشاعر:

أَلْعِشْقُ كَالْمَوْتِ يَأْتِي لاَ مَرَدَّ لَهُ   مَا فِيهِ لِلْعَاشِقِ الْمِسْكِينِ تَدْبِيرُ

فالعشق والموت كلاهما لا يمكن أن يدركا إلا بوساطة الخيال والعقل، ولا نصل إليهما بالحواس الخمس.[١٠]

٣ ـ أو الأول عقلي والثاني حسي: كقولنا: ألعلم في الصِغَر كالنقش في الحجر. فقد شبه العلم في الصغر بالنقش في الأحجار وهو حسي. ومثله قول ابن سينا:

إِنَّمَا النَفْسُ كَالزُّجَاجَةِ وَالْعِلْـ   ـمُ سِرَاجٌ وَحِكْمَةُ اللَهِ زَيْتُ

٤ ـ أو الأول حسي والثاني عقلي: كقول الشاعر:

لَـكَ شَـعْـرٌ مِـثْـلُ حَـظِّـي   فِـي سَـوَادٍ قَـدْ تَـثَـنَّـى

فقد شبّه الشَعْر، وهو حسّي بالحظّ، وهو عقلي.

(٩) يدخل في إطار هذا التشبيه ما أسماه بعضهم «التشبيه الخيالي»، وهو مركّب من أمور حسيّة، ولكن تركيبه خياليّ، كقولنا: أخوك عالَمُ نار

(١٠) يدخل في هذا الإطار ما أسماه بعضهم «التشبيه الوهمي»، وهو ما لا يكون ولا أجزاؤه موجودين، كقوله تعالى في وصف شجرة الزقوم المُعَدَّة لأهل النار ينبتها الله في جهنم: **﴿طَلْعُها كأنه رؤوس الشياطين﴾**. (الصافات / ٦٥)

ـ ثانياً: تقسيمه إلى مفرد ومركب ومطلق ومقيد:

١ ـ قد يكون طرفا التشبيه مفردين، مطلقين غير مقيّدين ـ والمقصود بالتقييد أن يُربَط الطرف المقصود بالإضافة، أو النعت، أو المفعول، أو الحال، أو الظرف ـ كقول الشاعر:

أَلْخَدُّ وَرْدٌ وَالْعِذَارُ رِيَاضٌ وَالطَرْفُ لَيْلٌ وَالْبَيَاضُ نَهَارُ

فقد شَبَّه الخَدَّ بالورد، والعذار بالرياض، والطرف بالليل، والبياض بالنهار؛ وكل طرف من هذه الأطراف لفظ مفرد، لا يتقيّد بوصف أو إضافة أو ما سوى ذلك. وشرط التقييد أن يؤثر في وجه الشبه.[١١]

٢ ـ وقد يكونان مفردين مقيّدين، كقولنا: الرجل الكريم كالورد العاطر. فقد قيّدتَ المشبه المفرد (الرجل) بالنعت (الكريم)، وقيدت المشبه به المفرد (الورد) بالنعت (العاطر).

٣ ـ وقد يكون أحدهما مقيداً والآخر مطلقاً، كقول الشاعر واصفاً الورد:

كُلُّ الرَيَاحِينِ جُنْدٌ وَهْوَ الأَمِيرُ الأَجَلُّ

فالشطر الثاني هنا «وهو الأمير الأجلُّ» جاء المشبه (هو: الورد) مفرداً مطلقاً، والمشبه به (الأمير) مقيّداً بالنعت (الأجلّ).

٤ ـ وقد يكون أحدهما مفرداً والآخر مركّباً (أي مؤلفاً من عنصرين أو أكثر لا ينفصلان)، كقول الشاعر:

كُنْتَ مِثْلَ الْكِتَابِ أَخْفَاهُ طَيٌّ فَاسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ بِالْعُنْوَانِ

فالمشبه (أنتَ) مفرد، أما المشبه به (الكتاب) فمركب، لأنه أخفاه الطيّ فعرفوه من عنوانه، ولا يجوز التفريق هنا بين أطراف التركيب.

٥ ـ وقد يكون كلاهما مركبين، كقول الشاعر:

كَأَنَّ سُهَيْلاً وَالْنُجُومُ وَرَاءَهُ صُفُوفُ صَلاَةٍ قَامَ فِيهَا إِمَامُهَا

---

(١١) لهذا فإن قولنا، مثلاً: «العلم في الصِغَر كالنقش في الحجر» ليس من باب التقييد، لأن الجار والمجرور لا يحدثان تأثيراً في وجه الشبه

فقد شبه سُهَيْلاً (وهو نجم برّاق يطلع بعد القيظ) حين تصطف النجوم وراءه، بإمام يؤمّ الناس في الصلاة؛ فكلا الطرفين مركّب.

ـ **ثالثاً: تقسيمه باعتبار تعدد الطرفين:** ينقسم التشبيه باعتبار تعدد طرفيه أربعة أقسام:

أ ـ **التشبيه الملفوف:** ونعني به جمع كل طرف من طرفي التشبيه مع مثله، كجمع المشبّه مع المشبه والمشبه به مع المشبه به، كقول الشاعر:

لَـيْـلٌ وَبَـدْرٌ وَغُـصْـنٌ   شَـعْـرٌ وَوَجْـهٌ وَقَـدْ

خَـمْـرٌ وَدُرٌّ وَوَرْدٌ   رِيـقٌ وَثَـغْـرٌ وَخَـدْ

فقد جمع هنا، المشبه به في الشطر الأول من كل بيت، والمشبه في الشطر الثاني. ومثله قول امرئ القيس يصف بقايا قلوب الطير اليابسة التي تحملها العقبان لتطعم بها فراخها:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَيْرِ رَطْباً وَيَابِساً   لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ وَٱلحَشَفُ الْبَالِي

فقلوب الطير اليابس منها والرطب مشبّهان، جمعهما الشاعر في أول البيت، وجاء بالمشبه به في آخره[١٢].

ب ـ **التشبيه المفروق:** ونعني به جمع كل مشبه مع ما يشبّه به، كقول ابن سينا:

إِنَّمَا الْنَفْسُ كَالزُجَاجَةِ وَالْعِلْـ   ـمُ سِرَاجٌ وَحِكْمَةُ اللَهِ زَيْتُ

فقد شبّه النفس بالزجاجة، والعلمَ بالسراج، وحكمة الله بالزيت، وجمع كل مشبّه مع المشبه به. ومثله أيضاً قول الشاعر:

أَلْخَدُّ وَرْدٌ وَالْـعِـذَارُ رِيَـاضٌ   وَالطَرْفُ لَيْلٌ وَالْبَيَاضُ نَـهَارُ

---

(١٢) المراد هنا الإشارة إلى كثرة القلوب التي تأتي بها العقبان لإطعام صغارها، فيفضل عنها. وقد شبّه الشاعر هنا القلوب الرطبة بالعنّاب في لونها وشكلها وطراوتها، والقلوب اليابسة بالحشف، وهو أرادأ أنواع التمر.

ج ـ **تشبيه التسوية:** ونعني به أن يكون المشبه متعدداً، والمشبه به واحداً، وبذلك تتساوى المشبهات كلها في المشبه به، كقول الشاعر:

أَلْعُمْرُ وَالإِنْسَانُ وَالدُّنْيَا هُمُ   كَالظِلِّ فِي الإِقْبَالِ وَالإِدْبَارِ

فقد شبّه كلاً من العمر والإنسان والدنيا في الإقبال والإدبار بمشبّه به واحد هو الظل.

د ـ **تشبيه الجمع:** وهو بعكس تشبيه التسوية، ونعني به أن يكون المشبه واحداً ويتعدد المشبه به. كقول الشاعر:

فَكَمْ مَعْنًى بَدِيعٍ تَحْتَ لَفْظٍ   هُنَاكَ تَزَاوَجَا كُلَّ ازْدِوَاجِ

كَرَاحٍ فِي زُجَاجٍ أَوْ كَرُوحٍ   سَرَتْ فِي جِسْمِ مُعْتَدِلِ الْمِزَاجِ

فقد شبّه المعنى البديع المختبئ في اللفظ بالخمر في كأس الزجاج وبالروح التي تسري في جسم ذي المزاج المعتدل.

٤ ـ **التشبيه باعتبار وجه الشبه:** ذكرنا أن الجامع بين المشبه والمشبه به يدعى وجه الشبه؛ فهو، على هذا، صفة مشتركة بينهما، كما لو جمعتَ بين الورد والخد لصفة الاحمرار، وبين الرجل والأسد للقوة. وقد يكون الوصول إلى وجه الشبه سهلاً أو صعباً.

وينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه ست أقسام، هي:

ـ **أولاً: التشبيه المفصّل:** وهو ما ذكر فيه وجه الشبه أو ما يدل عليه، كقول الشاعر:

أَنْتِ مِثْلُ الْغُصْنِ لِيناً   وَشَبِيهُ الْبَدْرِ حُسْنا

فقد ذكر هنا اللين وهي الصفة التي حَدَتْهُ على الجمع بين الغصن والإنسان، والحسن وهي الصفة التي حدته على الجمع بين البدر والإنسان.

ـ **ثانياً: التشبيه المجمل:** وهو ما حُذِف منه وجه الشبه أو ما يدل عليه، فلم تذكر القرينة التي تربط المشبه بالمشبه به. كقول الشاعر:

مَنْ يَصْنَعُ الْخَيْرَ مَعْ مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ

كَوَاقِدِ الشَمْعِ فِي بَيْتِ لِعُمْيَانِ

فالشاعر يشير هنا إلى صفة نكران الجميل وعدم الاعتراف به، ولكنه لم يذكرها في البيت.

ـ **ثالثاً: التشبيه المبتذل**: وهو التشبيه الذي يسهل فيه العثور على وجه الشبه، كقول الشاعر:

لِلْوَرْدِ عِنْدِي مَحَلٌّ لأَنَّهُ لاَ يُمَلُّ
كُلُّ الرَّيَاحِينِ جُنْدٌ وَهْوَ الأَمِيرُ الأَجَلُّ

فمن السهل هنا أن نعرف لماذا شبه الرياحين بالجند والورد بالأمير، ووجه الأهمية والعظمة هنا لا يخفى على أحد.

ـ **رابعاً: التشبيه الغريب**: وهو ما صعب فيه العثور على وجه الشبه، أو ما لم يكن فيه وجه الشبه سهلاً وبعيداً عن التعقيد، كقول المهلبي:

وَالشَّمْسُ مِنْ مَشْرِقِهَا قَدْ بَدَتْ مُشْرِقَةً لَيْسَ لَهَا حَاجِبُ
كَأَنَّهَا بُوتَقَةٌ أُحْمِيَتْ يَجُولُ فِيهَا ذَهَبٌ ذَائِبُ

فوجه الشبه هنا هو مَيَعَان الذهب السائل داخل البوتقة المستديرة شبّه به التماع الشمس داخل قرصها.(١٣)

ـ **خامساً: التشبيه غير التمثيلي**: وهو التشبيه الذي لا يكون فيه وجه الشبه منتزعاً من متعدد، بل من صورة أو حال واحدة، كقول الشاعر:

فَهِيَ الشَّمْسُ بَهْجَةً، وَالْقَضِيبُ الـ لَدْنُ قَدّاً وَالرِيمُ طَرْفاً وَجِيدَا

فقد شبّه بهجَتها بنور الشمس (ووجه الشبه الشعور بالفرح)، وقدَّها بالقضيب الطري (ووجه الشبه الطراوة)، وطرفها وجيدَها بالغزال (ووجه الشبه هو الحلاوة)؛ وكل واحد من وجوه الشبه هذه ليس منتزعاً من متعدد.

---

(١٣) يعلق عبد الرحمن البرقوقي على هذا التشبيه بقوله: «وذلك أن الذهب إذا ذاب تشكل بشكل البوتقة في الاستدارة وأخذ يتحرك فيها بجملته تلك الحركة العجيبة كأنه يهم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانبها لما في طبعه من النعومة، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض لما بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم...» (القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ (ها))

ـ **سادساً: التشبيه التمثيلي**: وهو ما كان وجه الشبه فيه منتزعاً من متعدد، كقول المتنبي:

يَهُزُّ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبَيْهِ   كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحَيْهَا الْعُقَابُ

فوجه الشبه هنا هو تلك الحركة المزدوجة من تقدّم وتقهقر، وهي صورة متعددة الجوانب، تظهر فيها حركة التقدم وحركة التراجع، وليست، بالتالي، ذات جانب واحد. ومثل هذا قول الشاعر:

وَكَأَنَّ الصُّبْحَ لَمَّا   لاَحَ مِنْ تَحْتِ الثُّرَيَّا

مَلِكٌ أَقْبَلَ فِي التَا   جِ يُفَدَّى وَيُحَيَّا

فقد شبّه الصبح في ظهوره بملك يتحرّك بين الناس وتحيّيه الجموع وتفدّيه، فوجه الشبه هنا تعظيم الصبح في حركته تحت الثريّا، وهي صورة منتزعة من متعدد. ومنه قوله تعالى: ﴿**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة**﴾(١٤)

٥ ـ **التشبيه باعتبار الأداة**: ذكرنا أن أدوات التشبيه قد تكون أحرفاً أو أسماء أو أفعالاً. ونشير إلى أن هذه الأدوات قد تُذكَر أو تُحذَف في عملية التشبيه.

وينقسم التشبيه باعتبار أداته قسمين:

ـ **أولاً: التشبيه المرسل**: وهو ما ذكرت فيه أداته، كقوله تعالى: ﴿**وإذا تُتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأنْ لم يسمعها كأنَّ في أذنيه وقراً...**﴾(١٥) ومثله قول الشاعر:

فَكَأَنَّمَا أَثَرُ الدُّمُوعِ بِخَدِّهَا   طَلٌّ تَنَاثَرَ فَوْقَ وَرْدٍ يَانِعِ

ـ **ثانياً: التشبيه المؤكد**: وهو ما حذفت منه الأداة، كقوله تعالى: ﴿**ألله نور السموات والأرض...**﴾(١٦) وكقول أبي تمام:

هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَوَاحِي أَتَيْتَهُ   فَلُجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ وَالْبِرُّ سَاحِلُهْ

---

(١٤) البقرة / ٢٦١

(١٥) لقمان / ٧

(١٦) النور / ٣٥

٦ ـ **التشبيه البليغ**: يسمى التشبيه بليغاً إذا حذفت منه الأداة ووجه الشبه، فلم يبق منه سوى المشبه والمشبه به. كقول الشاعر:

فَالأَرْضُ يَاقُوتَةٌ وَالْجَوُّ لُؤْلُؤَةٌ ... وَالنَّبْتُ فَيْرُوزَجٌ وَالْمَاءُ بِلَّوْرُ

وهذا النوع من التشبيه أقوى مما سبق لأنه يلمّح تلميحاً، ويجعل بين المشبه والمشبه به لحمةً لا تنفصل حتى كأنهما طرف واحد.

وقد يكون المشبه به في هذا النوع من التشبيه مصدراً للنوع، كقول طرفة:

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الْخُمُورَ وَلَذَّتِي ... وَبَيْعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتْلِدِي

إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا ... وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمُعَبَّدِ

وقد يضاف المشبّه به إلى المشبه، كقول أبي تمام:

وَالْعِلْمُ فِي شُهُبِ الأَرْمَاحِ لاَمِعَةً ... بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ لاَ فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

فقوله هنا: شُهُب الأرماح، يعني به الرماح الملتمعة كالشهب، وهو من التشبيه البليغ والشاعر في هذا البيت يقرّر أن القوة أصدق من ترّهات المنجّمين [١٧] ومثله قول الشاعر:

وَالرِيحُ تَعْبَثُ بِالْغُصُونِ وَقَدْ جَرَى ... ذَهَبُ الأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ

فقد شبه الأصيل بالذهب والماء باللجين ـ أي الفضة ـ في الشطر الثاني فأضاف المشبّه به إلى المشبّه.

٧ ـ **التشبيه المعكوس**: ويسمى أيضاً «المقلوب»، و«المنعكس»؛[١٨] وهو أن يُجْعَلَ المشبّه مكان المشبه به، والمشبه به مكان المشبه، كقول الشاعر:

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ... وَجْهُ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ

---

(١٧) ليس وجه الشبه في هذه الجملة اللمعان، بنظرنا، بل قوة الضربة وشدتها التي تجعل الرمح لماعاً كالشهاب. وعليه، فإذا اعتبرنا وجه الشبه محذوفاً ـ وهو قوة الضربة ـ كان التشبيه بليغاً؛ أما إذا اعتبرناه اللمعان فالتشبيه مؤكد، لا بليغ.

(١٨) قارن: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٢٧٥، و: ياسين الأيوبي ومحيي الدين ديب، كشف الغموض عن قواعد البلاغة والعروض، ص ١٧٥

وفائدة هذا القلب المبالغة،[١٩] ليوهم الشاعر أن المشبه أعظم من المشبه به، فيقلبهما. ومثله قول الشاعر:

وَذَاتِ دَلٍّ كَأَنَّ الْبَدْرَ صُوَرَتُهَا   بَاتَتْ تُغَنِّي عَمِيدَ الْقَلْبِ سَكْرَانَا

فقد شبّه الشاعر البدر بوجه الحسناء، والمقياس أن يكون وجه الحسناء يشبه البدر، لأن الثاني أقوى من الأول.

٨ ـ **التشبيه باعتبار الغرض منه:** يقاس نجاح التشبيه أو فشله بمقدار نجاحه في تمثيل الغرض منه. فإذا أردنا مثلاً أن نظهر صفةً ما ونجحنا في استعمال التشبيه سمّي التشبيه مقبولاً، ومنه قول المتنبي واصفاً خلود سيف الدولة:

وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ   كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَدَى وَهْوَ نَائِمُ

وإذا عجز الكاتب أو الشاعر عن إظهار الصفة، بحيث لم يتساوَ طرفاه سمّي مردوداً.

٩ ـ **التشبيه الضمني:** هو تشبيه لا يُستعمل فيه الركنان الرئيسان (أي طرفاه: المشبه والمشبه به) في صورة التشبيه المعروفة، بل يُلَمَّح إليهما تلميحاً، ويُفهمان من سياق الكلام، ويكون المشبه به برهاناً على أن ما أُسند إلى المشبه ممكن، كقول الشاعر:

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ،   تَجْرِي الرِيَاحُ بِمَا لاَ تَشْتَهِي السُفُنُ

فقد جعل تمني المرء الذي لا يتمّ إدراكه بصورة دائمة شبيهاً بالسفينة التي لا تهبّ الرياح بما يلائمها دائماً. فكأنما المشبه هنا هو المرء، والمشبه به هو السفن، ووجه

---

(١٩) قال البرقوقي مفسراً التشبيه في هذا البيت: «فإن الشاعر وهو محمد بن وهيب قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء واعلم أن هذا وإن كان في الظاهر يشبه قولهم لا أدري أوجهه أَنْوَر أم الصبح، وغرّته أضواء أم البدر، وقولهم إذا أفرطوا: نور الصباح يخفى في ضوء وجهه، أو نور الشمس مسروق من نور جبينه، ونحو ذلك من وجوه المبالغة، فإن في الأول خلابة وشيئاً من السحر ليس في الثاني، وهو كأنه يستكثر للصباح أن يشبهه بوجه الخليفة ويوهم أنه احتشد له واجتهد في تشبيه يفخم به أمره فيوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر...» (القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ (ها))

الشبه هو عدم ملاءمة الأمور للأمنيات في بعض الأحيان. ولكن الشاعر لم يستخدم في هذا البيت التشبيه بالصورة المألوفة. ومثله أيضاً قول الشاعر:

تَرْجُو النَجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا إِنَّ السَفِينَةَ لاَ تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

١٠ ـ أغراض التشبيه: أغراض التشبيه كثيرة توقف عندها علماء البيان مطوّلاً، ومنها بيان إمكان الشبه، وبيان حال المشبه، أو تقريره، أو المبالغة أو ما إلى ذلك من أمور لن نتوقف عندها لأننا نرى أن حصرها غير جائز بسبب ارتباطه بمدلول النص ومعناه العام. فغرض التشبيه لا يظهر إلا من خلال النص، وعلاقات الأبيات فيه، وارتباطها بالمعنى العام، أو بالمعاني الفرعية.

الفصل الثاني:

الاستعارة

١ ـ تعريفها: جاء في المعجم الوسيط: «استعار الشيء منه: طلب أن يعطيه إياه».[١] وقال الزمخشري إن العرب تقول «أرى الدهر يستعيرني شبابي أي يأخذه مني»[٢].

وعلى هذا فإن الاستعارة، لُغةً، هي طلب الشيء عاريّةً، ونقله من حيازة إلى حيازة. وبناء على هذا المعنى تمّ تحديد الاستعارة في علم البيان.

يقول الجرجاني: «إعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعاريّةِ»[٣]. ويرى العسكري أن «الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض»[٤].

---

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسط. بيروت: دار عمران، ط ٣، ١٩٨٥، ص ٦٥٩

(٢) الزمخشري، اساس البلاغة، ص ٤٣٩

(٣) الجرجاني. أسرار البلاغة، ص ٢٩

(٤) العسكري، كتاب الصناعتين، ص ٢٩٥

وعلى هذا فإن الاستعارة هي أن يستعمل اللفظ في غير ما وضع له أصلاً في التركيب لقرينة ما، مع إرادة التشبيه.

ولقد لفت العديدون الى العلاقة الوثيقة بين التشبيه والاستعارة، فقال الجرجاني، مثلاً: التشبيه كالأصل في الاستعارة وهي شبيه بالفرع له أو صورة مقتضبة من صوره»[٥]؛ وهي، عنده، «تعتمد التشبيه أبداً»[٦]. وقال ابن الأثير: «المجاز ينقسم قسمين: توسُّع في الكلام، وتشبيه، والتشبيه ضربان: تشبيه تام، وتشبيه محذوف؛ فالتشبيه التام: أن يذكر المشبه والمشبه به والتشبيه المحذوف: أن يذكر المشبه به، ويسمى استعارة»[٧]. فقد اعتبر الاستعارة هنا تشبيها، ويمكن أن نزيد على ما ما ذكر أنها قد يحذف فيها المشبّه أيضاً ويُتْرَك المشبه به كما سنرى.

وذكر القزويني في كلامه على المجاز والتشبيه والاستعارة أنه «كثيراً ما تطلق الاستعارة اسم المشبه به في المشبه، فهما مستعار منه ومستعار له واللفظ مستعار».[٨] ورأى غيره أنها «ليست إلا (تشبيهاً) مختصراً؛ ولكنها أبلغ منه».[٩].

وعلى هذا يمكن أن نحدد الاستعارة بأنها تشبيه حذف ثلاثة من أركانه. ولعل هذا التحديد هو الأبسط والأسلم، لأنها، في الواقع، بمنزلة التشبيه: ولكننا لا نجد فيها أداة تشبيه، ولا وجهَ شبهٍ مذكوراً، ونجد طرفاً واحداً فقط من طرفي التشبيه: المشبه أو المشبه به. فإذا قلت مثلاً: رأيت أسداً في ساحة المعركة، تقصد رجلاً شجاعاً، فانك تذكر المشبه به، وهو الأسد، وتحذف المشبه ـ وهو الرجل، والأداة ووجه الشبه.

---

(٥) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٢٨

(٦) المصدر نفسه، ص ٥١

(٧) ابن الأثير، المثل السائر، ٢٤٣/١

(٨) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ٢٩٦

(٩) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٣٠٣

٢ ـ أركان الاستعارة: تتألف الاستعارة من ثلاثة أركان، هي التالية:

ـ **أولاً: المستعار منه:** وهو اللفظ الذي تستعار منه الصفة أو الكلمة، وهو بمنزلة المشبه به.

ـ **ثانياً: المستعار له:** وهو اللفظ الذي تستعار من أجله الصفة أو الكلمة، وهو بمنزلة المشبّه.

ـ **ثالثاً: المستعار:** وهو الصفة أو الكلمة التي تجمع بين طرفي الاستعارة، أي بين المستعار له والمستعار منه، ويقال لها أيضاً الجامع، وهو بمنزلة وجه الشبه.

فلو أخذنا، مثلاً، قول الشاعر:

عَضَّنَا الدَّهْرُ بِنَابِهْ لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَا بِهْ

فقد شبه الدهرَ هنا بالحيوان المفترس الذي يعض فريسته ليأكلها، فاستعار له لفظة الناب، فالفعل عَضَّ لا يكون للدهر. وبذلك يكون الدهر مستعاراً له (ويعادل المشبّه)، والحيوان المفترس مستعاراً منه (ويعادل المشبه به)، وعملية العَضّ والافتراس هي المستعار (ويُعادل وجه الشبه). ولا أداة البتة في عملية الاستعارة.

وعليه نلاحظ أن طرفاً من طرفي الاستعارة (المستعار له والمستعار منه) يكون دائماً محذوفاً، فيبقى طرف واحد فقط. ولا يذكر المستعار، بل يمكن أن نذكر، اذا شئنا، ما يدل عليه، وذلك عندما تكون الاستعارة مكنية، وسيأتي تفصيل هذا.

٣ ـ الاستعارة باعتبار ما يذكر من طرفيها: تنقسم الاستعارة باعتبار ما يذكر من طرفيها قسمين:

١ ـ الاستعارة التصريحية (أو المصرّحة): وهي ما حذف منها المستعار له وذُكِر المستعار منه. كقوله تعالى: ﴿**كتاب أنزلناه إليك لتُخرج الناس من الظلمات إلى النور...**﴾[١٠] فقد استعار هنا لفظة الظلمات (المستعار منه) للضلالة (المستعار له)،

---

(١٠) ابراهيم / ١

فَصُرِّح بالمستعار منه وحُذِف المستعار له؛ واستعار النور (المستعار منه) للهداية (المستعار له) فذُكر الأول وحذف الثاني. ومثل هذا قول الشاعر:

بَكَتْ لُؤْلُؤاً رَطْباً فَفَاضَتْ مَدَامِعِي
عَقِيقاً فَصَارَ الْكُلُّ فِي نَحْرِهَا عِقْدَا

فقد ذكر الشاعر هنا اللؤلؤ الرطب ويريد به الدمَع، فذكر المستعار منه وحذف المستعار له، وفعل الشيءَ نفسه حين استعار العقيق لدموعه هو.

٢ ـ الاستعارة المكنيّة (أو بالكناية): وهي ما حذف منها المستعار منه، وظلّت في الكلام قرينة تدل عليه، وذُكر المستعار له، كقول الشاعر:

عَضَّنَا الدَّهْرُ بِنَابِهْ لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَا بِهْ

فقد استعار الشاعر هنا العَضَّ للدهر، من خلال فعل عَضَّ، ليشبهه بالوحش، فالدهر مستعار له، والوحش مستعار منه. ثم ذكر الشاعر قرينة ثانية دلّ بها على المستعار منه وهي لفظة الناب التي بها كنّى عن الوحش، وجعلنا نتخيّل الدهر مثله.

٤ ـ الاستعارة باعتبار طبيعة المستعار له: الاستعارة باعتبار طبيعة المستعار له نوعان، هي:

١ ـ استعارة تحقيقية: إذا كان المستعار له محققاً حسيّاً، أي مشاراً إليه إشارة حسية، كقول الشاعر:

أَتَتْنِي الشَّمْسُ زَائِرَةً وَلَمْ تَكُ تَبْرَحُ الْفَلَكَا

فالمستعار له هو المرأة، وهي كائن حسّيّ، يمكن أن نشير إليها بالحس. وكذلك إذا كان محققاً عقليّاً، أي ليس من طبيعة حسية، ولا يمكن أن يشار إليه بالحس، كما في سورة الفاتحة: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾[11]. فالمستعار له هو الدين (المستقيم)، وهو متحقق عقلياً لا حسيّاً.

---

(١١) الفاتحة / ٦

٢ ـ **استعارة تخييلية**: إذا لم يكن المستعار له متحققا حسيّاً ولا عقليّاً، كقول الشاعر:

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا
أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لاَ تَنْفَعُ

فالمنية، وهي معنى غير حسي لا تشبه السبع، ولا تفتك بالناس كالسباع، ولا هي تملك أظفاراً، لذلك فإن المعنى متخيَّل. ونلفت إلى أن الاستعارة المكنية لا بُدّ من أن تكون تخييلية لأن التخييل قرينة المكنية.

٥ ـ **الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار**: تنقسم الاستعارة، باعتبار اللفظ المستعار، الى أصلية وتبعيّة.

١ ـ **فالأصلية**: هي ما كان اللفظ المستعار اسماً جامداً لا مشتقا، سواء أكانت الاستعارة تصريحية أم مكنية. وقد يكون اسماً جامداً لذات، كقول الشاعر:

شَاكِ إِلَى الْبَحْرِ اضْطِرَابَ خَوَاطِرِي
فَيُجِيبُنِي بِرِيَاحِهِ الْهَوْجَاءِ

فالشكوى إلى البحر وإجابة هذا الأخير من باب الاستعارة: استعار الفهم (لأن الشاعر يخاطبه ويشكو له) والإجابة للبحر، والبحر اسم جامد غير مشتق لذات.

وقد يكون اللفظ المستعار اسماً جامداً لمعنى لا لذات، كقوله تعالى: ﴿**ويخرجهم من الظلام إلى النور بإذنه...**﴾[١٢] فقد استُعيرت هنا لفظة الظلام لجهل الاسلام والهداية، ولفظة النور للهداية والاسلام، وكلاهما معنى، لا ذات، لأنهما ليسا محسوسين.

٢ ـ **والتبعيّة**: هي ما كان فيها اللفظ المستعار فعلاً، كقول أبي تمام:

أَنْزَلَتْهُ الأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ
بَعْدِ إِثْبَاتِ رِجْلِهِ فِي الرِكَابِ

---

(١٢) المائدة/ ١٦

فقد استعار فعل «أنزل» للأيام. أو تكون اسم فعل كقولنا: صَهْ عنّي إذا رأيتني أخطئ؛ فـ «صَهْ» اسم فعل بمعنى اسكت، ولكنه استعمل هنا بمعنى غُضَّ النظر. أو تكون اسماً مشتقاً، كاسم الفاعل أو المفعول او اسم المكان والزمان أو غير ذلك من المشتقات، كقوله تعالى: ﴿من بعثنا من مَرْقَدِنا...﴾[13] والمرقَد اسم مكان استُعير للدلالة على الموت (لأن الرقاد هنا يراد منه الموت). أو تكون حرفاً، كقوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحَزَناً...﴾[14] فلام العاقبة في «ليكون» ليست في الواقع الا على سبيل الاستعارة لأن السبب متوهَّم، فآل فرعون لم يلتقطوا موسى ليكون لهم عدواً، ولكن القدر شاء هذا. ومثله قول أبي العتاهية:

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمُ يَصِيرُ إِلَى تَبَابِ

فالناس لا يلدون للموت، ولكن كأنما تكون ولادتهم لذلك لأن الموت لا مفرّ منه، فاستُعير الحرف لذلك.

ويوضح أحمد الهاشمي سبب تسميتها تبعية، فيقول: «وسميت (تبعية) لأن جريانها في المشتقات، والحروف تابع لجريانها أولاً: في الجوامد، وفي كليات معاني الحروف. يعني: أنها سميت تبعية لتبعيتها لاستعارة أخرى، لأنها في المشتقات تابعة للمصادر، ولأنها في معاني الحروف تابعة لمتعلق معانيها، إذ معاني الحروف جزئية لا تتصور الاستعارة إلا فيها...»[15].

٦ ـ الاستعارة التصريحية باعتبار اجتماع طرفيها وتنافرهما: تنقسم الاستعارة التصريحية باعتبار اجتماع طرفيها وتنافرهما قسمين:

ـ **أولاً: الاستعارة التصريحية العنادية:** وهي التي يتعاند طرفاها في الاجتماع بسبب التناقض والتنافي، كقوله تعالى: ﴿فبشّرهم بعذاب أليم...﴾[16] فهنا استعار فعل

---

(١٣) يس / ٥٢

(١٤) القصص / ٨

(١٥) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٣١٣

(١٦) آل عمران / ٢١، والتوبة / ٣٤، والانشقاق / ٢٤. ومثله قوله تعالى: ﴿فاهدوهم الى صراط الجحيم...﴾ (الصافات / ٢٣)

بَشَّر - ويعني زفّ الخبر السارّ - لنقل الخبر السيّئ، كأنما ليسخر منهم. لذلك لا يجتمع المستعار له والمستعار منه لتناقضهما.

وغالباً ما تكون الاستعارة تصريحية عنادية للسخرية والاستهزاء، ويقال لها أيضاً «تمليحية»، إذا كانت للظرف.

ـ **ثانياً: الاستعارة التصريحية الوفاقية:** وهي ما أمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لعدم ظهور التناقض والتنافي، كقوله تعالى: ﴿**واتّبعوا النورَ الذي أنزل معه...**﴾[١٧] فمن الممكن هنا اجتماع النور والهداية، ولا تعاندَ أو تنافر بينهما.

٧ ـ **الاستعارة باعتبار ما يلائم طرفيها:** تنقسم الاستعارة باعتبار ما يلائم المستعار منه او المستعار له ثلاثة أقسام:

ـ **أولاً: الاستعارة المطلقة:** وهي التي خلت من كل ما يلائم المستعار منه او المستعار له: فكان الكاتب أو الشاعر يحرّر طرفيها من الارتباط بأي وصف أو بأي قيد، كقول خليل مطران:

إِيـهِ آثَـارَ بَـعْـلَـبَـكٍّ، سَـلاَمٌ ... بَعْدَ طُولِ النَوَى وَبُعْدِ الْمَقَامِ

فالشاعر يخاطب الآثار، والاستعارة تكمن في النداء، ولكنه لم يربط هذه الآثار بأي رابط، ولا ربط به الانسان الذي استعار منه خاصّية الفهم والاستجابة.

فإذا قَرَن المؤلف طرفي الاستعارة: المستعار له والمستعار منه معاً بما يقيّدهما اعتبرت الاستعارة أيضاً مطلقة، كأن قيدَ الطرف الأول ينسف قيد الطرف الثاني ويُبطل القيدين معاً، كقول الشاعر:

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِلاَحِ مُقَذَّفٌ

لَـهُ لِـبَـدٌ أَظْـفَـارُهُ لَمْ تُـقَـلَّـمِ

فالشاعر قرن المستعار منه (الأسد) بما يناسب المستعار له أي الانسان وذلك

---

(١٧) الأعراف / ١٥٧

بذكره السلاح المشكوك، ثم قرن بما يناسب المستعار منه حين ذكر اللِبَد والأظافر، فكأنما ألغى القيدُ القيدَ، فاعتبرت الاستعارة مطلقة.

ـ **ثانياً: الاستعارة المجردة:** وهي التي ورد فيها ما يلائم المستعار له دون المستعار منه، كقول الشاعر:

وَلَيْلَةٍ مَرِضَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ

فَمَا يُضِيءُ لَهَا نَجْمٌ وَلاَ قَمَرُ

فقد استعار هنا «مرضت» لـ «الليلة»، يريد أنها أظلمت، ثم أورد إضاءة النجم والقمر فيها، وهما يلائمان المستعار له (الليلة).

ـ **ثالثاً: الاستعارة المرشحة:** وهي التي ورد فيها ما يلائم المستعار منه دون المستعار له، كقوله تعالى: ﴿**اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم...**﴾[١٨] فقد وردت لفظة «اشتروا» تفيد المتاجرة واختيار الاشياء التي يدفع ثمنها لتُقْتَنَى، ثم وردت لفظة «تجارتهم» وهي تناسب الشراء، أي المستعار منه. ومثله قول الشاعر البحتري يرثي المتوكل:

صَرِيعٌ تَقَاضَاهُ اللَّيَالِي حُشَاشَةً

يَجُودُ بِهَا وَالْمَوْتُ حُمْرٌ أَظَافِرُهْ

فهو يصور المعتصم صريعاً يجود ببقية روحه لليالي التي تتقاضاها، والموت تلطخت أظافرُه بدم الخليفة القتيل. فقد استعار هنا للموت أظافر ملطخة بالدم. فالموت هو المستعار له، والوحش المفترس هو المستعار منه، ثم أورد لفظ الأظافر وجعلها حُمراً أي ملطخة بالدم، وهي قرينة تلائم المستعار منه.

٨ ـ الاستعارة التصريحية باعتبار المستعار: تنقسم الاستعارة المصرحة باعتبار المستعار، أي اللفظ الجامع، قسمين:

---

(١٨) البقرة/ ١٦

ـ **أولاً: الاستعارة التصريحية العامية:** وهي التي لا نحتاج فيها الى التفكير والبحث عن المستعار، كقول الشاعر:

أَلسَيْف أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ

فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَعِبِ.

فقد استعار هنا السيفَ للقوة، وليس من الصعب أن ندرك الجامع وهو القطع والتنفيذ وتحقيق الأمر اليقين.

ـ **ثانياً: الاستعارة التصريحية الخاصية:** وهي ما غمض فيها المستعار وصعب الحصول عليه. وقد سميت خاصية لأنها لأصحاب الخاصة من المدارك ولا يقدر العامة عليها، كقول كثيرّ عزّى يمدح الخليفة:

غَمْرُ الرِدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكاً

غَلِقَتْ لِضِحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ

فالاستعارة في غَمْر الرداء، والمقصود أنه كثير العطاء والإحسان، فاستعار الرداء الواسع لذلك، ودلّ البيت فيما بعد على أنه يقصد الاحسان والمال، فجاء المستعار خفيّاً لا يسهل الوقوع عليه، يحتاج الى نظر وتأمُّل.

٩ ـ **الاستعارة التمثيلية:** إذا جاء المستعار لفظاً غير مفرد، أي تركيباً انتزع من عدة أمور، واستعمل لغير ما جُعِلَ له، مع قرينة تمنع ذكر المعنى الأصلي(١٩). ومعنى هذا أن المستعار له يكون متعدداً وكذلك المستعار منه، فتأتي الاستعارة بكاملها مركّبة تركيباً، منتزعةً من متعدد بكل أطرافها، فتصير مثلاً، لذلك سميت تمثيلية، ولذلك أيضاً كثر ظهورها في الأمثال السائرة. كقولك للمتردد في أمر: أراك تقدّم رجلاً وتؤخّر

---

(١٩) يعرّف أحمد الهاشمي هذا النوع من الاستعارة بقوله: «هو تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من ارادة معناه الوضعي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيأة منتزعة من متعدد، وذلك بأن تشبّه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بأخرى ثم تدخل المشبه في الصورة المشبهة بها مبالغةً في التشبيه...» (جواهر البلاغة، ص ٣٣٣)

أخرى. فالمستعار له هو الشخص الذي يتردّد فتارة يُقْدم على الأمر وتارةً يُحجْم، وهي طرف متعدد، والمستعار منه هو حركة تقديم الرجل وتأخير الأخرى، وهي طرف متعدد أيضاً، والمستعار هو التردد من إقدام أحياناً وإحجام أحياناً، وهو متعدد كذلك. ونلاحظ أن الكلام يجري مجرى المَثَل، ولذلك فهو تمثيل. ومثله قول المتنبي:

تُرِيدِينَ لُقْيَانَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً
وَلاَ بُدَّ دُونَ الْشَهْدِ مِنْ إِبَرِ النَحْلِ

ففي الشطر الثاني من البيت استعارة تمثيلية جرت مجرى المثل حيث جاء المستعار له الشخص الذي يتحمل المشاقّ للوصول الى المعالي، والمستعار منه النحل الذي يلسع من يحاول أن يحصل على شهده وعسله، ارتبط هنا تحمُّل المشاقّ بإبر النحل واحتمالها والوصول الى المعالي بالحصول على الشهد. والمستعار بذل الجهد وتحمّل المشاق للوصول الى الهدف.

الفصل الثالث:

المجاز المرسل

١ ـ تعريف المجاز: ورد في اللسان: «جُزْتُ الطريقَ وجاز الموضعَ... مجازاً...: سار فيه وسلكه... والمجاز والمجازة: الموضع... جزتُ الموضع سرتُ فيه، وأجزته خلّفته وقطعته».[١] فالمجاز، لغةً، الانتقال من موقع الى موقع آخر؛ وهو في علم البيان يعني نقل اللفظ من معنى إلى معنى. فالجرجاني يحدد حدود المجاز بقوله: «وحدّه أن كل جملة أخرجتَ الحكمَ المفادَ بها عن موضعه من العقل لضرب من التأوّل فهي مجاز»[٢].

ويعتبر الكلام مجازاً بالقياس الى الحقيقة ـ تماماً كما يعتبر استعارة ـ. يقول ابو هلال العسكري: «ولا بد لكل استعارة ومجاز من حقيقة وهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة»[٣].

وعلى هذا، فإن كل نقل لاستعمال اللفظ أو العبارة من معناه الوضعي إلى معنى آخر مجاز[٤]. ويدخل في باب المجاز الاستعارة لأنها استعمال غير وصفي للكلام، على النحو الذي رأينا في الفصل السابق.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٣٢٦/٥

(٢) الجرجاني، اسرار البلاغة، ص ٣٥٦

(٣) العسكري، كتاب الصناعتين، ص ٣٥٦

(٤) قال البرقوقي مميزاً بين الحقيقة والمجاز: «الحقيقة... من قولك حققت الشيء إذا أثبتّه... والمجاز... من جاز المكان يجوزه اذا تعداه، واذا عُدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم أجازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً». (القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ٢٩٢ (ها))

ونحن، في ما يلي، سنتناول نوعي المجاز الشهيرين: المجاز المرسل والمجاز العقلي. ونخصص هذا الفصل للمجاز المرسل.

٢ ـ المجاز المرسل / تحديده: عرّف القزويني المجاز المرسل بقوله: «والمجاز مرسل، إن كانت العلاقة غير المشابهة والا فاستعارة»(٥). ومعنى هذا أن المجاز المرسَل لفظة استُعملت في غير معناها الأصلي، أو في غير ما وضعت له أصلاً لوجود علاقة غير المشابهة، مع قرينة تدل على عدم إيراد المعنى الأصلي.

وقد سمي المجاز المذكور مرسلاً لأنه لم يُقيّد بعلاقة واحدة، بل كانت له علاقات كثيرة؛ ونقصد بالعلاقة تحقق الارتباط الذي يكتشفه المرء من المعنى. وهذا هو الفارق بينه وبين الاستعارة، لأن في الاستعارة دعوى اتحاد في العلاقة.

٣ ـ علاقات المجاز المرسل: علاقات المجاز المرسل كثيرة، نفصّلها في ما يلي:

١ ـ السببيّة: وهي أن نذكر في الكلام السبب ونقصد المسبَّب، كقول الشاعر:

لَـهُ أَيَـادٍ عَـلَـيَّ سَـابِـغَـةٌ   أُعَـدُّ مِـنْـهَـا وَلاَ أُعَـدِّدُهَـا

فقد استعمل هنا لفظة «أيادٍ» وهي سبب النعمة، وأراد بها ما تسببه، أي النِعَم.

٢ ـ المسببيَّة: وهي أن نذكر في الكلام المسبَّب ونقصد المسبِّب، كقوله تعالى: ﴿**ويُنـزّل لكم من السماء رزقا**﴾(٦)، فقد ذُكر هنا الرزق والمقصود مطراً يسبب الرزق.

٣ ـ الكلية: وهي أن نذكر في الكلام الكلّ ونريد منه الجزء، كما لو قلتَ: شربتُ ماءَ النهر، لأنك لا تستطيع أن تشربه بكامله، بل تشرب جزءاً منه فحسب. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿**يجعلون أصابعهم في آذانهم...**﴾(٧).

٤ ـ الجزئية: وهي أن تذكر في الكلام الجزء وتقصد الكل، كما لو قلتَ، مثلاً: طلبتَ يدَها، فالطلب لم يكن في الواقع ليدها فقط بل لها كلها، ومعنى الكلام أنه طلبها للزواج. ومثله قول الشاعر:

كَـمْ بَـعَـثْـنَـا الْجَيْشَ جَـرَّا   راً وَأَرْسَـلْـنَـا الْـعُـيُـونَـا

---

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٩٥

(٦) غافر / ١٣

(٧) البقرة / ١٩

فقوله أرسلنا العيونا يُراد به أرسلنا الجواسيس، ولكنه ذكر الجزء (العين) وأراد به الكل (الجاسوس).

٥ ـ الوصفيّة: وهو أن تُذكر الصفة في الكلام ويراد بها الموصوف، كقول أبي نواس:

لاَ تَبْكِ لَيْلَى وَلاَ تَطْرَبْ إِلَى هِنْدِ

وَاشْرَبْ عَلَى الْوَرْدِ مِنْ حَمْرَاءَ كَالْوَرْدِ

فقوله: «من حمراء كالورد» أراد به من خمرٍ حمراء، فأحلّ الصفة (حمراء) محل الموصوف (الخمر).

٦ ـ اللازمية: هي أن يكون في الكلام لفظ يوجبُ وجودُه وجودَ شيء آخر، كما لو قلتَ مثلاً: طلع الضوءُ صباحاً، فإن وجود الضوء هنا يفترض وجود الشمس التي أشرقت، والمقصود هنا: طلعت الشمس صباحاً.

٧ ـ الآلية: وهي أن تُذكر الآلةُ في الكلام ويُقصد ما ينتج عنها، كقوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه**﴾(٨)، والمقصود بلغة قومه. ومثله قول الإمام علي: «فأنتم من السيف أفرّ...» والمقصود مما يحدثه السيف ـ أي من الحرب.

٨ ـ العموم: وهو أن يذكر العام ويراد به الخاص، كأن تقول، مثلاً: جاءت العرب، وتقصد قبيلة قريش. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله...**﴾(٩) والمراد بالناس النبي.

٩ ـ الخصوص: وهو أن يذكر الخاص ويراد به العام، كأن تقول مثلاً: جاءت قريش، وتقصد العرب كلها.

١٠ ـ اعتبار ما كان: وهو أن يسمى الشيء باسم ما كان عليه في الماضي، كقوله تعالى: ﴿**وآتوا اليتامى أموالهم...**﴾(١٠) والمقصود من كانوا يتامى، لأن اليتيم هو الصغير الذي فقد أباه (أو أبويه)، والمراد هنا الراشدون.

---

(٨) ابراهيم / ٨٤

(٩) النساء / ٥٤

(١٠) النساء / ٢

١١ ـ اعتبار ما يكـون: وهو أن يسمى الشيء باسم ما سيصير إليه، كقوله تعالى: ﴿**إنك إن تذرهم يُضلّوا عبادَك ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّارا...**﴾[١١] والمقصود انهم يلدون طفلاً يصير، بعد أن يكبر، فاجراً كفّاراً.

١٢ ـ المحلّيّة: وهي أن تذكر المحلّ، أي المكان، وتقصد ما في داخله، كأن تقول مثلاً: شربتُ كأساً، فأنت لا تشرب الكأس بل ما فيها. ومثله قوله تعالى: ﴿**واسأل القرية التي كنا فيها...**﴾[١٢] والمقصود الناس الذين في القرية.

١٣ ـ الحاليّة: وهي أن تذكر الشيءَ وتقصد المكان الذي يحلّ فيه، كقوله تعالى: ﴿**إن الأبرار لَفِي نعيم...**﴾[١٣] فهم ليسوا في نعيم، لأن النعيم معنى، ولكنهم في جنّة حيث النعيم.

١٤ ـ البدليّة: وهي أن يستعمل الشيء ويكون مبدَلاً منه شيء آخر، كقوله تعالى: ﴿**فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا اللهَ قياماً وقعوداً...**﴾[١٤] والمراد بالصلاة أداء الصلاة، فاستبدل كلمة بأخرى.

تلك أبرز أنواع المجاز المرسل. ولكننا نلفت إلى أن هناك أنواعاً أخرى من المجاز المرسل يمكن أن نجدها من خلال معنى الكلام.

---

(١١) نوح / ٢٧

(١٢) يوسف / ٨٢

(١٣) الانفطار / ١٣ والمطفّفين / ٢٢

(١٤) النساء / ١٠٣

الفصل الرابع:

المجاز العقلي

١ ـ المجاز العقلي والعملية الاسنادية: إذا كان المجاز المرسل استعمالاً لبعض الكلمات في غير مواضعها فإن المجاز العقلي استعمال للإسناد بطريقة مختلفة.

والعملية الإسنادية من أهم العمليات في الجملة العربية، لأن الجمل تقوم عليها. وقد عرّف سيبويه المسند والمسند إليه، فقال إنهما «ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بداً...»[1] وفي الحقيقة فإن الاسناد هو ربط لفظ بلفظ آخر كما تربط الصفة بالموصوف، أو الحكم بالمحكوم عليه، وقد فسّرنا هذا في أحد الفصول السابقة في الباب الثاني. ويكون الخبر (وما هو بمنزلته كخبر النواسخ) والفعل (وما هو بمنزلته كاسم الفعل) مسنداً، والمبتدأ (وما هو بمنزلته كأسماء النواسخ) والفاعل ونائب الفاعل مسنداً إليه.

والاسناد يقوم على الحقيقة في الأساس، فهي القياس. فإن قلتَ: نامَ الولدُ، اسندتَ النومَ الى الولد، وهذا صحيح، ممكن الحدوث في أي وقت، لا غبار عليه. ولكنك لو قلتَ: ضَحِكَ لنا الزمن، لتغيّرت المسألة لأن ضَحِكَ الزمنِ محال في الحقيقة، فالمراد من كلامك شيء آخر. ومن هنا علاقة المجاز. لهذا نجد الجرجاني يقول في حدّ المجاز: «كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه من العقل لضرب من التأوّل

---

(١) سيبويه، الكتاب، ١ / ٢٣

فهي مجاز».[2]. ولكنه لا يفرّق بين المجاز العقلي والمجاز المرسل من حيث التسمية[3].

٢ ـ تعريف المجاز العقلي: قلنا إن المجاز العقلي يقوم على تغيُّر في العلاقة الإسنادية. ويمكننا أن نقول إنه إسناد الفعل، أو ما هو في معناه، كأسماء الفاعل والمفعول والمصدر واسم الفعل... إلى غير ما يُسند إليه في الواقع، لقرينة تمنع الاسناد الأصيل. وقد سمي مجازاً عقليّاً «لأن التجوّز فُهم من العقل لا من اللغة كما في المجاز اللغوي»[4].

٣ ـ أنواع المجاز العقلي وعلاقاته: علاقات المجاز اللغوي ستّ، نفصّلها في ما يلي:

ـ **أولاً: المكانيّة (أو الإسناد إلى المكان):** والمقصود بها أن نسند الفعل، أو ما كان بمعناه، إلى مكان المسند إليه، عوضاً منه، كقوله تعالى: ﴿**وجعلنا الأنهارَ تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم...**﴾[5] فالنهر لا يجري، ولكنه المكان الذي تجري فيه المياه، لأن مياهه هي ما يجري. ومثل هذا قول الشاعر:

يُغَنِّي كَمَا صَدَحَتْ أَيْكَةٌ وَقَدْ نَبَّهَ الصُبْحُ أَطْيَارَهَا

فالأيكة ـ وهي من الأشجار ـ لا تصدح، ولكن الطير الذي فيها يفعل.

ـ **ثانياً: الزمانية (أو الإسناد إلى الزمان):** والمقصود به أن نسند الفعل أو ما كان بمعناه إلى زمان الحدوث، كقول طرفة بن العبد:

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً

وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

---

(٢) الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٣٥٦

(٣) يتكلم الجرجاني على إسناد الفعل الى السبب (إثبات الفعل للسبب)، أو الوقت، من غير أن يسمي هذا مجازاً عقلياً ويفرّقه عن المجاز المرسل. (المصدر نفسه، ص ٣٥٨ ـ ٣٦٠) الا أن الجرجاني يجعل المجاز المرسل من باب المجاز اللغوي، والمجاز العقلي مجازاً معنوياً ومعقولاً (قارن: المصدر نفسه، ص ٣٧٦)

(٤) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٢٩٦ (ها). ويكون المجاز اللغوي بحذف لفظ أو بزيادته، وليس هو موضوعنا هنا. وقد يراد به المجاز المرسل، وقد يراد به الاستعارة أيضاً.

(٥) الأنعام / ٦

فليست الأيام من يدي، ولكن الفعل أسند إليها على سبيل المجاز. ومثل هذا قول المتنبي:

كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاةً رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سِنَانَا

فالزمان هنا لا ينبت شيئاً، ولكن اسناد الفعل اليه على سبيل المجاز.

ـ **ثالثاً: المصدريّة (أو الإسناد إلى المصدر)**: والمقصود به أن نسند الفعل أو ما يشبه الفعل إلى المصدر، كقول أبي تمام:

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونُهَا إِذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِرُقْيَةِ طَالِبِ

فالعطايا لا تكاد، والجنون لا يُجَنّ؛ ولكن الاسناد هنا اليهما تمّ على سبيل المجاز. ومثله قول الشاعر:

سيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ وَفِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ

فقد أسند فعل «جَدَّ» إلى المصدر «الجِدّ» مجازاً.

ـ **رابعاً: السببيّة (أو الإسناد الى السبب)**: والمقصود به أن نسند الفعل إلى من سبّبه، كقول المتنبي يمدح سيف الدولة:

بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا يَقْرَعُ الْقَنَا

وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوْلَهَا مُتَلاَطِمُ

ويقصد بالبناء هنا بناء القلعة (الحَدَث الحمراء). فقد أسند فعل بنى إلى سيف الدولة، وليس هو من بنى القلعة، ولكنه كان السبب في بنائها. ومثله قول الأخطل مادحاً الخليفة في الحرب:

يَغْشَى الْقَنَاطِرَ يَبْنِيهَا وَيَهْدِمُهَا،

مُسَوَّمٌ، فَوْقَهُ الرَايَاتُ وَالْقَتَرُ

فليس عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي من يبني القناطر ويهدمها بل جنوده، إلا أنه هو السبب في عملية الهدم والبناء.

خامساً: المفعولية: وهي إسناد ما بني للفاعل إلى المفعول، فنرى اسم الفاعل مشتقّاً، ولكن يُقصد منه اسم المفعول، كقول الشاعر:

دَعِ الْمَكَارِمَ لاَ تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا
وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

فالمقصود هنا أقعد تعباً فأنت مطعوم ومكسوٌّ، ويقصد الشاعر أن يهجو لا أن يمدح؛ والكلام أُسنِد فيه وصف الفاعل إلى ضمير المفعول. ومثل هذا قول النابغة:

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ
مِنَ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ

فالمقصود السمّ منقوع، لا ناقع.

ـ **سادساً: الفاعلية**: وهي إسناد ما بني للمفعول إلى الفاعل، فنرى اسم المفعول مشتقاً، ولكن يراد منه اسم الفاعل، كقوله تعالى: ﴿**إنه كان وعده مأتياً...**﴾[6] والمقصود وعده آتياً. ومثله قوله تعالى أيضاً: ﴿**وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستورا**﴾[7]، والمقصود اسم الفاعل ساتر.

ونلفت إلى أن من المجاز العقلي أيضاً ما كان نسبة إضافية، أي ما جاء على شكل مضاف ومضاف إليه، بالشروط الستة التي سبق أن ذكرنا، كأن نقول مثلاً: صُداحُ الأيكةِ، وغَضَبُ الزمانِ، وما إلى ذلك.

---

(٦) مريم / ٦١

(٧) الاسراء / ٤٥

الفصل الخامس

الكنايـة

١ ـ تعريفها: الكناية، لغة، تعني «أن تتكلم بشيء، وتريد غيره. وكَنَى عن الأمر بغيره يكني كناية: يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه»[١]. وقال الزمخشري: «كَنَى عن الشيء كناية وكَنَى ولده وكَنَّاه بكُنية حسنة، والكُنى بالمنى... وفلان حسن العبارة لِكُنى الرؤيا وهي الأمثال التي يضربها ملك الرؤيا يكنى بها عن أعيان الأمور»[٢].

وعلى هذا يمكننا أن نقول إن الكناية، من حيث المعنى اللغوي ليست بعيدة عن الرمز، لأنها تعني «أن تتكلم بشيء وتريد غيره»، أي أن تستعمل ألفاظاً تقصد بها ألفاظاً أخرى. والرمز يعني هذا أيضاً، لأنه «ما أُخفي من الكلام. وأصله الصوت الخفيّ الذي لا يكاد يُفهم»[٣]. وإذا نظرنا في قوله تعالى: ﴿**قال ربِّ اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلّم الناس ثلاثةَ أيام إلا رمزاً**﴾.[٤]

واصطلاحاً، فإن الكناية شبيهة بهذا. فقد قال العسكري إنها «أن يكنّى عن

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٢٣٣/١٥

(٢) الزمخشري، أساس البلاغة، ص ٥٥٢ ـ ٥٥٣.

(٣) قدامة بن جعفر، نقد النثر، ص ٦١

(٤) آل عمران / ٤١

الشيء ويعرض به ولا يصرّح به...»[٥] وإذا أردنا أن نعرّفها بوضوح قلنا إنها لفظ أو تعبير مستعمل له معنيان: قريب وبعيد، يقصد به المعنى البعيد؛ فإن كان المقصود المعنى القريب لم يكن الكلام كناية بل حقيقة، كقولك: فلان يده طويلة. فان أردت أن يده طويلة بحق كان كلامك حقيقة لا تكنية فيه، وإن أردت أنه سارق فكلامك كناية...

والكناية أيضاً إشارة إلى الشيء عن طريق شيء آخر. فعندما يقال، مثلاً: طويل النجاد ـ أي طويلُ مَحْمَلِ السيف ـ يلزم أن يكون الشخص طويلاً، يكون عادةً، شجاعاً. فتكون قد أشرت إلى الشجاعة عن طريق الشكل[٦].

٢ ـ أقسام الكناية: تنقسم الكناية، تبعاً لمعناها، ثلاثة أقسام:

ـ **أولاً: كناية عن صفة:** وهي التي يكون فيها المعنى المكنّى عنه صفة؛ ولا نقصد هنا بالصفة النعت. كما نلفت إلى أن الصفة هنا تضمر ويذكر الموصوف وحده، كقول الخنساء في أخيها صخر:

طَوِيلُ النِجَادِ، رَفِيعُ الْعِمَادِ، كَثِيرُ الرَمَادِ إِذَا مَا شَتَا

فطويل النجاد كناية عن شجاعته، ورفيع العماد كناية عن عظمته في قومه، وكثير الرماد كناية عن كرمه، وكل هذه الكنايات كُنّي بها عن صفات. ومثل هذا قول الشاعر:

فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُم حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمْ تُرَابُ

---

(٥) العسكري، كتاب الصناعتين، ٤٠٧

(٦) يقول الجرجاني: «نعلم أن المعاني التي يقصد الخبر بها لا تتغير في أنفسها بأن يكنّى عنها بمعان سواها، ويترك أن تذكر الألفاظ التي هي لها في اللغة، ومن هذا الذي يشك أن معنى طول القامة وكثرة القرى لا يتغيران بأن يكنّى عنهما بطول النجاد وكثرة رماد القدر، وتقدير التغيير فيهما يؤدي الى ان لا تكون الكناية عنهما ولكن في غيرهما... إذا كنّيت عن كثرة القرى بكثرة رماد القدر كنت قد أثبتّ كثرة القرى باثبات شاهدها ودليلها، وما هو علم على وجودها». (دلائل الاعجاز، ص ٣٤٣)

فقد كنّى بالبسط الحرير عن السيادة والعزة، وهي صفة، وبالبسط التراب عن الحاجة والذل، وهي صفة أيضاً.

وهذه الكناية نوعان:

١ ـ كناية قريبة: أي عندما يكون الانتقال من المعنى الذي ننتقل منه إلى المعنى الذي ننتقل إليه من غير وسائط، أي مباشراً، كقولنا: هؤلاء أقفاؤهم عظيمة. نريد أنهم أغبياء؛ فالانتقال من عِظَم عَظْم الرأس وعرض القَفا إلى الغباء يكون مباشراً، ذلك لأن العرب تعتبر الإفراط في هذا العرض كذلك[٧].

٢ ـ وكناية بعيدة: أي عندما يكون الانتقال من المعنى الذي ننتقل منه إلى المعنى الذي ننتقل إليه بوسائط، أي غير مباشر، كما في قولنا: «كثيرُ الرماد». فإن المعنى يفترض الانتقال من كثرة الرماد إلى كثرة الإحراق، ومنه الى كثرة الطبخ، ومنه إلى كثرة الضيوف، ومن هذا إلى الكرم.

وقد جمعت الخنساء هذين النوعين من التكنية عن الصفة بقولها الذي أوردنا:

طَويلُ النِجَادِ، رَفِيعُ الْعِمَادِ، كَثِيرُ الرَمَادِ إذَا مَا شَتَا

فـ «طويل النجاد» كناية قريبة، لأن طول محمل السيف يفترض طول صاحبه، والطول والشجاعة عند العرب صفتان متلازمتان غالباً. و«رفيع العماد» كناية قريبة أيضاً، لأن رفعة العماد تفترض كون المرء عظيمَ المكانة بين أهله. أما «كثير الرماد» فكناية بعيدة كما أوضحنا.

ـ ثانياً: الكناية عن موصوف: وهي التي يكون المعنى المكنّى عنه موصوفاً، فننتقل من صفته إليه. ويستلزم هذا أن تكون الصفة مذكورة. كقول الشاعر في مدح دار للعلوم:

وَجَدَتْ فِيكِ بِنْتُ عَدْنَانَ دَاراً ذَكَّرَتْهَا بَدَاوَةَ الأَعْرَابِ

---

(٧) يقول البرقوقي: «كقولهم كناية عن الأبله عريض القفا، فإن عرض القفا وعظم الرأس إذا أفرطا فيما يقال دليل الغباوة...» (القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ٣٤٠ (ها))

فـ «بنت عدنان» كناية عن اللغة العربية، وهي، هنا، موصوف. وصِفَتُها أنها مختصّة بعدنان (وغيره) من الأقوام. فعدل عن قوله لغة عدنان، أو لغة عرب عدنان، الى قوله «بنت عدنان» لأن هذا أجمل في النفس.

والكناية عن الموصوف نوعان أيضاً:

١ ــ **فإمّا أن يكون الموصوف معنى واحداً فقط**، لا عدّة معانٍ: كما في قول الشاعر «بنت عدنان» في المثال السابق، وكقول الآخر:

أَلـضَـارِبِـينَ بِـكُـلِّ أَبْـيَـضَ مِـخْـذَمٍ
وَالـطَـاعـنـينَ مَـجَـامِـعَ الأَضْـغَـانِ

فقوله «مجامع الأضغان» كناية عن القلب، وهو موصوف واحد، لا غير.

٢ ــ **وإما أن يكون معاني متعددة**، لا معنىً واحداً، لموصوف واحد، كأن تقول في كلامكَ على القلب، مثلاً: أُفَضّل من الانسانِ موطنَ الأسرارِ، وأرضَ الألغاز، وعالمَ الأحاسيس. فهذه ثلاث معانٍ لموصوف واحد.

ــ **ثالثاً: الكناية عن نسبة**: وهي التي يكون فيها المعنى المكنّى عنه نسبةً حاصلة بين الموصوف وصفته الملازمة له، إثباتاً أو نفياً؛ ولذلك يذكر الموصوف، وتذكر صفته، ثم تتمّ نسبة هذه الصفة إلى ما يلازم صاحبها، أو يتم نفي هذه النسبة. كقولك، مثلاً: الجود في طرفي ثوبه. فأنتَ قد ذكرت الموصوف (هاء الضمير في: «ثوبه»)، وذكرت الصفة، وهي الكرم، ولكنك عدلت عن نسبتها إليه مباشرة، فنسبتها إلى طرفي الثوب - وهو ما يلازم صاحبه. ومثله قول الشاعر:

أَلْـيُـمْـنُ يَـتْـبَـعُ ظِـلَّـهُ وَالمَجْـدُ يَمْـشِـي فِـي رِكَـابِـهْ

فالصفة هي «اليُمن» و«المجد» والموصوف هو الهاء في «ظله» و«ركابه»، عدل عن نسبة الصفتين الى الموصوف مباشرة، فنسبهما إلى ظله وركابه، وهما ملازمان له.

٣ ــ **الكناية باعتبار الوسائط والسياق**: تنقسم الكناية باعتبار وسائطها وسياقها أربعة أقسام، هي التالية:

١ ــ **التعريض**: هو،لغةً، نقيض التصريح... وهو في خطبة المرأة (في عدّتها) «أن

يتكلم بكلام يشبه خطبتها، ولا يصرّح به[٨]. ومعناه اصطلاحاً إطلاق الكلام والإشارة به إلى معنى آخر نستنتجه من سياق الكلام. يقول البرقوقي: «التعريض إمالة الكلام إلى عرض أي جانب يدل على المقصود، يقال عرضت بفلان ولفلان: إذا قلت قولاً وأنتَ تعنيه، فكأنما أشرتَ به إلى جانب وأنت تريد جانباً آخر»؛[٩] ومثاله قول الشاعر:

وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبِيضَ عَاجِزَةٌ

عَنِ الْجَمِيلِ، فَكَيْفَ الْخِصْيَةُ السُودُ؟

فقد أطلق المتنبي المعنى في هذا البيت، فكان المعنى العام مفهوماً، واضحاً، وهو عجز الفحول البيض عن المعروف، والخصية السود كذلك بطبيعة الحال. إلا أنه أضمر المعنى الذي يريد، كأنه يقول لكافور أنه أذا كان سيف الدولة ـ وهو أمير أبيض ـ عاجزاً عن المعروف فكيف يكون هو قادراً وهو عبد أسودُ خصيّ؟ فالمعنى الحقيقي خفيّ ومخبأ وراء القول الصريح. ومثله أن تقول لشخص: «أراك اليومَ بخيلاً» وتقصد بكلامكَ شخصاً آخرَ معه.

٢ ـ **التلويح**: وهو، لغةً، من فعل لوّح أي «أشار من بعيد مطلقاً بأي شيء كان...»[١٠] ومن هذا المعنى سُمّيت الكناية، اصطلاحاً، تلويحاً إذا كثرت وسائطها[١١] من غير أن يكون فيها تعريض. يقول البرقوقي مفسراً: «فإن كان بينها (أي بين الكناية) وبين المكنّى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في كثير الرماد وأشباهه كان إطلاق اسم التلويح عليها مناسباً، لأن التلويح هو أن تشير الى غيرك عن بُعد».[١٢] كقول الشاعر:

وَمَا يَكُ فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنِّي　　　جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَطِيمِ

---

(٨) ابن منظور، لسان العرب، ١٨٣/٧

(٩) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ٣٤٤ (ها)

(١٠) بطرس البستاني، محيط المحيط، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٣، ص ٨٣٠

(١١) الموضع نفسه

(١٢) القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، ص ٣٤٤ (ها)

فقد كنّى الشاعر هنا عن كَرَمه بأنه جبانٌ ومهزولٌ فطيمهُ. والدلالة بعيدة، كثيرة الوسائط: فالمقصود أن كلابه لما تعوّدت كثرة الناس آلفتها، ودرّبها صاحبها على عدم النباح لأن الناس لا تفارق داره، فصارت كلابه جبانة، وذلك بسبب كرمه. أما فطيمه أي صغار الإبل فتبقى مهزولة، لأن أمهاتها لا تكون معها، والسبب هو أن الشاعر يذبحها ليطعم كلٌّ من يستضيف فلا تُرضع صغارَها.

وهكذا نرى أن الكنايتين «جبان الكلب» و«مهزول الفطيم» تحتاجان إلى كثير من الوسائط للوصول الى الكناية المقصودة.

٣ ـ **الرمز**: وهو، لغةً، تصويتٌ خفيّ باللسان كالهمس... وقيل: «الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم. والرمز في اللغة كل ما أشرتَ إليه مما يُبان بلفظ بأي شيء أشرتَ إليه...»[١٣] وبهذا المعنى جاءت الآية: ﴿**آيتك ألاّ تكلّم الناس ثلاثة ايام إلاّ رمزاً...**﴾[١٤] وكذلك بهذا المعنى جاء قول الشاعر:

رَمَزَتْ إِلَيَّ مَخَافَةً مِنْ بَعْلِهَا ... مِنْ غَيْرِ أَنْ تُبْدِي هُنَاكَ كَلاَمَهَا

والرمز، اصطلاحاً، ما قلّت وسائطه من الكنايات، وخفي معناه، بلا تعريض، كقول الشاعر:

لاَ بُلْبُلٌ يَزُوْرُهَا ... شَوْقاً، وَلاَ شُحْرُورَهْ

فالبلبل هنا يرمز الى الإنسان الحر، والشحرورة ترمز الى الفتاة الحرة اللطيفة في موطنها. ونلاحظ أن المعنى هنا ليس تعريفاً.

٤ ـ **الإشارة (ويقال لها أيضاً الإيماء)**: وهي، لغةً، الايماء، يقال: «أشار اليه وعليه بيده وبعينه وبحاجبه أومأ...»[١٥] واصطلاحاً هي كل كناية قلّت وسائطها، ووضحت لوازمها، من غير تعريض، كقول الشاعر:

مَتَى تَخْلُو تَمِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ ... وَمَسْلَمَةُ بْنُ عَمْرٍو مِنْ تَمِيمِ

---

(١٣) ابن منظور، لسان العرب، ٣٥٦/٥

(١٤) آل عمران / ٤١

(١٥) بطرس البستاني، محيط المحيط، ص ٤٨٧

فقد أشار إلى أن الكرم في تميم، ثم إلى أن مسلمة بن عمرو من هذه القبيلة، ونستنتج بالتالي أنه كريم؛ ولا نحتاج في هذا إلى وسائط، وليس هذا كذلك من باب التعريض. ومثله قول أبي تمام:

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوَ انَّهُ

ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُطِعْهُ أَنَامِلُهْ

فبسط الكف كناية عن الكرم وكذلك عدم انثنائها للقبض. ولا يحتاج المرء هنا الى وسائط كثيرة للربط بين بسط الكف والكرم ولا بين عدم انثنائها وبينه.

الفصل السادس:

الرمز والكتابة الفنية الحديثة

١ ـ مقدمة: رأينا في الفصل السابق كيف أن قدامى العرب اعتبروا الرمز ضرباً من ضروب الكناية، وهو ما قلّت وسائطه، وخفي معناه، بلا تعريض، وذلك تشبيهاً له بخفيّ الكلام وبالهمس. لكننا نرى أن الرمز أكثر من هذا، ويحتاج إلى دراسة أعمق وأبعد غوراً للوقوف على طبيعته ووظيفته، ولا تكفي دراسة الكناية لفهمه. وتجدر الإشارة إلى أن الكتابة الشعرية الحديثة تقوم، عموماً، على هذا المستوى التعبيري.

٢ ـ الأَسْلَبَة الرمزية: اعتبر التقليديون والكلاسيكيون أن مصطلح الشعريّة Poétique «انعطاف لتقنية لفظية تتمثل في «التعبير» وفقاً لقواعد أكثر جمالاً، أي أكثر اجتماعية من قواعد الحديث...»[١] فاللغة الكلاسيكية وإن اعتمدت الاقتصاد، فاقتصادها «ذو طابع علائقي» لأن ألفاظة تجريدية لا تخدم الا العلاقات...[٢] وتفسير هذا أن اللفظ لا يستمد كثافته من نفسه، بل مهمته أن يشير الى شيء ما، ويمهّد لعلاقة ما، ويمتد «نحو ألفاظ أخرى بحيث يشكل سلسلة مصطنعة من النوايا»[٣].

---

(١) رولان بارت، درجة الصفر للكتابة، تعريب: محمد برّادة، بيروت: دار الطليعة، ط ١، ١٩٨٠، ص ٥٨

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٩

(٣) المرجع نفسه، ص ٦٠

وإذا أردنا أن نختصر قلنا إن دلالات الكلمات الوضعية، في الشعرية الكلاسيكية لا تتغير لأن لها معاني مكتسبةً لا يجوز، في عرفهم أن تتغير، أيّاً تكن شبكة العلاقات التي تنسج فيها الكلمات، وأيّاً تكن المعاني التي تتوالد في هذه الشبكة. ويعني كل هذا أن لكل كلمة ذاكرة خاصة بها يُستَنَد إليها في تعريف معناها، ويتحدد من خلالها معناها القاموسي.

ولكننا نرى أن دخول الكلمات في عمليات علائقية قد تجعل لها ما يمكن أن ندعوه «ذاكرة مكتسبة»، تضاف إلى ذاكرتها الأساسية وتلغيها، لأنها تحل محلها، وتمتصّ المعنى بكامله[٤]. نحن، في هذه الحال، أمام معنىً يخترق السطح الى العمق حيث جوهر إحساس الذات، عن طريق توليد صورة مغايرة للممكن. وهذا المعنى الثاني هو المعنى العمقي للجملة الذي يرتبط دائماً بصورة ما. وتختلف هذه الأنساق سهولة وصعوبةً، وتتولد أحياناً من المسافة التي يخلقها مثل هذا السياق بين الكلمة والأخرى.

انطلاقاً من هنا يبدأ الرمز بالتشكل. ويعني هذا انشطاراً داخل ذاكرة الكلمة الواحدة، يمثّله مبدأ الانحراف الذي، بدءاً منه، نتمكن من تتبّع مسيرة السياق في النص، ولا سيما عندما تتعانق الصور والدلالات وتتكاثر في عملية اختراق للواقع الوضعي. فالرمز، تحديداً، وانطلاقاً من هذا المفهوم، هو خلق ذاكرة ثانية في الكلمة إلى جانب ذاكرتها الأولى، أو فوقها، بفعل الانحراف، ما يفجّر الامكانات في الكلمة الواحدة، فيثري النص ويخصبه. وليس المقصود بانشطار الذاكرةِ تفتيتَها، بل خروج بها إلى إمكانيات جديدة، أو توسيع لإمكانياتها وفتحها على جميع الاحتمالات، في شبكة علاقات جديدة، تعطي السياقَ نسغاً جديداً. هكذا يصير للكلمة معنيان: معناها الوضعي، ومعناها الجديد في السياق.

وإذا أردنا أن نوضح الأمر بطريقة أخرى، قلنا إن للفظة معنىً وضعيّاً، هو معناها القاموسي الاصطلاحي. ويمكن أن نسمي هذا المعنى: المعنى في الدرجة الصفر، كأن

---

(٤) يراجع في هذه المسألة: ديزيره سقال، من الصورة الى الفضاء الشعري، دار الفكر اللبناني، ط ١، ١٩٩٣، الفصل الأخير: إشكالية اللغة في الحداثة العربية (درجة صفر للكتابة العربية)، ولا سيما ص ١٢٤ - ١٢٩

تستعمل لفظة «حَجَر» لنقصد مادّة معينة من الجماد. ولكن، في السياق يمكن أن نغيّر مدلول الكلمة، أي ذاكرتها ونشطرها، فتصير لفظة «حجر» تعني الموت. هذا المعنى ـ الذاكرة هو، قياساً على معناها في الدرجة الصفر، ذاكرة جديدة. إلا أن اللفظة لا تكتسب هذا المعنى إلاّ من خلال السياق. فالسياق هو الذي يشطر الذاكرة، ويحمل في بنية علاقاته توسيعاً للمعاني القاموسية، وامكاناتٍ كثيرة لتوسيع المعجم.

٣ ـ الرمز: مما عرضنا، نفهم أن الكلمة تتخطى وضعيتها عندما تصير رمزاً، وتكثّف فضاء الصورة ليصير النص شبكة متعانقة من الشُحُن الجديدة، أو من العلاقات الجديدة(٥). إنه النص ـ الرمز. ويتركب هذا النص من مجموع الصور الجزئية التي تتسلسل ذاكرتها في تضافر لتأليف معنى محال، ينقل حال الذات المنخطفة عندما تتفاعل مع الواقع.

ويندرج النص، بدوره، في مجموعة من البنى العمقية التي تخترق السياق من أوله إلى آخره. يتحول النص إلى بنية دلالية ذات مستويين، يسقط الأول على حساب الثاني. وهذا شبيه جداً بما يحدث في الكناية، حيث يكون للكلام معنيان يُقصد منهما المعنى الأبعد. ففيما يصور النص ـ الرمز حالة من المستحيل بالقياس إلى الواقع الممكن صُوَرِيّاً، وعن طريق الخيال، يبقى في حاله التخييلية، وفي جوهره الأعمق، أشدّ واقعية، وأكثر تماسكاً وتلاؤماً من الواقع نفسه، لأنه الوضع الذي تعيش فيه الذات، وتتمفصل حول نوازعها وكوامنها في الدلالات والبنية العامة، موسيقياً، ولغويّاً وعضويّاً (معنى + شكل). وهو يجمع، في آن، مع ذلك، الواقعَ واللاواقعَ. والممكن والمحال. وله، من جهة ثانية، منطقه الذاتي الذي لا يمكن تجاهله، أيّاً يكن مصدر الرمز، لأنه يتحكم بحركته وبهويته.

٤ ـ النص النثري والنص الشعري: من المتعارف عليه، كما ذكرنا في فصل من الفصول، أن الكلام رموز صوتيّة لمدلولات من الوجود، بعضها مادي، وبعضها معنوي.

---

(٥) يقول صبحي البستاني: «في الكلمة ـ الرمز تجتمع كل العناصر المؤلفة لمدلولها المعياري الأول لتشكيل الصورة العقلية التي تنطبع في ذهن القارئ. ثم من خلال هذه الصورة بكاملها يتم الانتقال الى صورة أخرى أو مفهوم آخر هو المرموز إليه (الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، ص ١٨٣)»

ومن ارتباط الكلام بهذه الرموز يأخذ الرسم النطقي شكله ومعناه وذاكرته. ففي كل مفردة ذاكرة ما تتحول إلى صوت مرتبط بالمعنى من جهة، وإلى شكل هو تجسيد للصوت من جهة أخرى. فالكتابة عمل مزدوج يفترض في آن، وجود معنى (موضوع)، وشكل (حرف) وصوت.

وينبغي أن يرتبط هذا التحديد بالتفكير، وإلا ظلّ ناقصاً[٦]. وعليه، فالكتابة هي صوغ فكرة ما، أو «تعبير عن»، في شكل مجموعة كلمات يجمع بينها معنى أو سياق. والسياق أساسي، يدخل في صلب تحديد الكتابة.

انطلاقاً من هذا المفهوم يمكننا أن نحدد النص. وعليه، فما هي الحدود التي تفصل بين النص النثري والنص الشعري؟ وكيف يتم تحديد النثر والشعر من خلال المُرْسَلَة الكلامية؟

النثر هو المُرْسَل من الكلام إرسالاً، فلا يُصاغ في موسيقى لفظية وايقاعية معينة تخترق النص من أوله إلى آخره، ويرتبط بالعقل ارتباطاً وثيقاً[٧]. وهذا يعني أن النثر مرسلة كلامية موجَّهَة إلى العقل، غير منتظمة عادةً في شكل نطقي، داخلي، واحد،

---

(٦) يحدد دي سوسير منظومة الكتابة الإيحائية التي يميزها عن الكتابة الصوتية بأنها التي ترمز من خلالها الى الكلمة «بعلامة واحدة غريبة عن الأصوات التي تكوّن الكلمة نفسها وهذه العلامة إنما ترجع إلى كلية الكلمة، ومن هنا إلى الفكرة التي تعبّر عنها بشكل غير مباشر». في حين أن المنظومة الصوتية «تهدف إلى إعادة تعاقب الأصوات في الكلمة. إن الكتابات الصوتية هي طوراً مقطعية وطوراً آخر ألفبائية، وهذا يعني: أنها مبنية على عناصر الكلام غير القابلة للتجزيء». (محاضرات في الألسنية العامة، ص ٤٢). ونشير هنا إلى أن الكتابة تتغير باستمرار. وتميز يمنى العيد بين اللغة والكلام قائلة: «إن اللغة نظام. مؤسسة. حركتها التكرار والثبات، ونسبها الجماعة، وهي بذلك، وكما استنتج البعض، ماضوية وسلطوية... وإن الكلام فردي يولد خارج هذا النظام، وضد هذه المؤسسة... إنه اليومي والمعيوش لذلك فإن له طابع الفوضى والتحرر، ومنه المنبت والولادة للغة الجديدة». (في القول الشعري، مجلة مواقف، عدد ٥٠، ربيع ١٩٨٤، ص ٧٢)

(٧) يحدد أدونيس النثر بقوله: «النثر اطّراد وتتابع لأفكار ما... ينقل فكرة محدودة، ولذلك يطمح أن يكون واضحاً... (وهو) وصفي تقريري، ذو غاية خارجية معينة ومحدودة». (مقدمة للشعر العربي، دار العودة، ط ١، ١٩٧١، ص ١١٢)

يكوّن موسيقى هيكليّة للنص يرفُدُها به وزن ما، أو إيقاع داخلي خاص. فالنثر يتميز باللاإنتظام الموسيقي من جهة، وبالطابع العقلاني من جهة أخرى، وبالتركيب اللغوي المألوف، من جهة ثالثة.

أما الشعر فمُرْسَلَة تحتوي عناصر المرسَلَة النثرية من لغة وكلام وفكر (موضوع)، ولكنها تنحرف عنها[٨] لتصير تعبيراً مرتبطاً بتنظيم معقّد ـ ظاهر أو غير ظاهر ـ يغاير تنظيم النثر المباشر، ويتميز عنه بتخطي المعنى الوضعي للكلمة، وبخلق ذاكرة جديدة لها غير ذاكرتها المعهودة، أو إلى جانبها. ولهذا خصصنا الشعر بالانحراف، أي أن المرسلة الشعرية لا تكون عادية[٩]، بل جديدة في لغتها[١٠] وايصالها ونوعيّة توجُّهها الى المرسل إليه[١١]. إنّ لها طبقتين،إذا صحّ التعبير: أولى هي طبقة نثرية، وثانية هي ما انحرف ليصير شعراً، أي ما تخطّى ذاكرته المألوفة فشطرها ليخلق فيها ذاكرة جديدة ـ وهذا هو، تحديداً، الانحراف الشعري. ففي الشعر، لا تعود الكلمات رموزاً وضعيّة محددة، بل تتخذ لها معنى مختلفاً في كلّ مرسَلَة شعرية (قصيدة)[١٢]. وقراءة الخطاب

---

(٨) تقول يمنى العيد: «إن الكلمات من حيث هي علاقات دالة، تنزاح، بالاستعمال، عن مدلولها الذي وضعت له، والذي هو أساساً، أي هذا المدلول، الموجودات الطبيعية والمادية، كأن تنزاح كلمة حمامة عن مدلولها الذي وضعت له، والذي هو الموجود الطبيعي، الحمامة، لتدل، مثلاً، على السلام، أو لتصير رمزاً له...» (في القول الشعري، ص ٧٢).

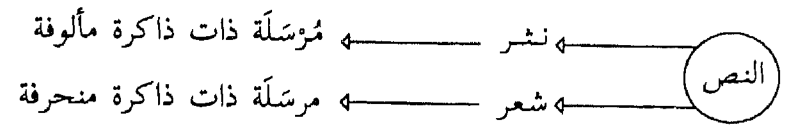
(٩) يقول تزيفيتان تودورف: «إن العلاقة بين «الشعرية» و«التأويل» هي، تماماً، علاقة تكاملية». (الشعرية، تعريب: كاظم جهاد، مجلة مواقف، عدد ٣٣، خريف ١٩٧٨، ص ١٢٧).

(١٠) تقول يمنى العيد: «فالقول الشعري هو قول ينهض في الحقل الثقافي الشعري أو الأدبي. في هذا الحقل يصاغ القول ويتميز في جنس هو الشعر... هكذا أصبحنا نقول: قول شعري، ويقول البعض: خطاب شعري، وهذا يعني أن «الشعر» هو قول يصير شعرياً، أي يتميز بمفاهيمه الشعرية دون ان يعادل القول الشعري هذه المفاهيم». (في القول الشعري، ص ٧٧)

(١١) يقول أدونيس: «الشعر تأسيس باللغة والرؤيا: تأسيس عالم واتجاه لا عهد لنا بهما، من قبل. لهذا كان الشعر تخطياً للواقع يدفع إلى التخطي». (مقدمة للشعر العربي، ص ١٠٢)

(١٢) يقول أدونيس إن تقويم الإبداع الشعري الجديد يجب أن يكون «استناداً» إلى حضوره ذاته ـ إلى حضور القصيدة بكيانها الخاص ونظامها الإبداعي الخاص. فكل إبداع برق لا يتكرر، وانبجاس مفاجئ قائم بذاته، يُنظر إليه في حدود ذاته». (المرجع نفسه، ص ١٠٣)

الشعري تكون قراءة مزدوجة: قراءة مسطحة نثرية لإدراك روابط النص ومفاصله، وقراءة ثانية عمودية لفهم مدى الانحراف الذي يتحكم بالنص، والرابط الدلالي في مفرداته من جهة، وفي فضائه الخيالي (تخييله) من جهة أخرى:



وبقدر ما يكون الانحراف في النص كبيراً تكون شعريته قيّمة. ولهذا نجد نصوصاً نثريّة تقترب من الشعر، ونصوصاً شعرية تجنح نحو النثر. وعلى العموم، لا يمكن للمرسَلَة الشعرية أن تخلو خلوّاً تاماً من النثر مهما كانت درجة انحرافها، في حين أنه يمكن للمرسلة النثرية أن تخلو من الشعر؛ وسبب هذا أن أداة الشعر هي اللغة، واللغة، بحدّ ذاتها، نثرية، لهذا تبقى رواسب النثر في الشعر[١٣].

٥ ـ الكتابة الشعرية الحديثة: من الصناعة الى الخلق[١٤]، هذا هو الخط الذي انتهجته الكتابة الشعرية عند العرب حتى مرحلة الحداثة. وكان مردّ النقلة في طبيعة الكتابة إلى اختلاف جوهري في مفهوم الشعر نفسه. فبعد أن كان الشعر حالاً من حالات التلقُّن والتعليم، وبالتالي حالَ استحضار للماضي وتذكُّر له من خلال بعض القيم الفنيّة[١٥] ـ وهذا هو جوهر مفهوم «الصناعة» ـ، بات خلقاً مستمراً لقيم جديدة هي بمنزلة ارتباط بالحاضر والآتي. فالإنسان أكبر من القواعد، وهو خالقها باستمرار،

---

(١٣) حاول السرياليون أن يخلقوا شعراً تام الانحراف بعيد تماماً عن النثر من خلال الكتابة الآلية التي تقوم أساساً على اللاوعي. ولكنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى هدفهم لأن كلامهم صار كالهلوسة التي لا توصل الى شيء. ولهذا نجد أن هذه الطريقة لم تعمّر كثيراً. فلا بد من إطار معين للتجربة والمعاناة يتجلى من خلال نثرية اللغة ليكون قابلاً للإيصال.

(١٤) يظهر لنا، من خلال فصول هذا الكتاب، أن التعبير عند العرب (وهو شكل) قام على اساس الصناعة. واذا عدنا الى علم البديع وأضفناه الى ما أوردنا ظهر هذا بوضوح.

(١٥) نلفت إلى ان الكلاسيكية قد تبنّت مبدأ المحاكاة الذي وضعه أرسطو، وكرّست، انطلاقاً منه، تقليدَ الأقدمين والأصلَ الماضي على أنه اساس مثالي. وحذا العرب حذوَهم حين فضّل بعضهم القديمَ على الجديد، واعتبروا الشعرَ صنعةً، والصنعةُ بطبيعتها، تكريس لما سبق، وتعلّم منه.

يولّدها متى شاء، ويغيّرها متى شاء[١٦]. وصارت الكتابة الشعرية الجديدة حالَ اتصال، بمعنى أنها تفترض، دلالياً، وحداتٍ معجميّة متصلة، متوسعة العمق، لأنها تتّخذ مناحيَ دلالية عديدة، من شأنها أن توسّع ذاكرتّها المألوفة، أو أن تخلق لها ذاكرة جديدة ونظاماً جديداً. هكذا ينطلق الشاعر من وحدات دلالية ـ معجميّة، يستطيع أن يوسّعها متى شاء، أو متى اقتضت الضرورة، وكما يريد، لتشكيل مرسَلَة مفتوحة الفضاء، من غير سقف، وعلى أسس جديدة تختلف عن أسس الصناعة.

ولا تقوم مثل هذه المرسلة على ما هو قَبْليّ؛ بمعنى أنها لا تستحضر، بل تولّد: فمجموع الكلمات يشكل الحقل الدلالي الذي لا يكون حقلاً دلالياً عاديّاً، لأن عملية الانحراف في المعنى هي التي تؤسس فيه شعريته. فالشعر، كما يقول غاستون باشلار، «ميتافيزيقا فوريّة. عليه أن يقدّم، في قصيدة قصيرة، سراً نفسياً، ورؤية للكون، أن يقدم الكائن والأشياءَ في آن»[١٧]. ولهذا السبب، بمقدار ما يكون الانحراف أوسع يكون النص أشعر، وبمقدار ما يكون الانحراف أقلّ يكون النص أبعد عن الشعر[١٨]. فلفظة

---

(١٦) يقول أدونيس: «إن رؤيا الشاعر المبدع لا تكمل القيم والقواعد وحسب أيّاً كانت وإنما تتجاوزها. إنها أغنى منها، وأشمل وأسمى». (مقدمة للشعر العربي، ص ١٠٦). ويقول: «وليس الشاعر الشخص الذي لديه شيء ليعبّر عنه وحسب، بل هو، إلى ذلك، الشخص الذي يخلق أشياءَه بطريقة جديدة». (المرجع نفسه، ص ١٢٧)

ويقول فؤاد رفقة: «والشعر لا يسكن القصيدة، عندما تكون هذه الأخيرة «متموضعة»، أي حول موضوع جاهز، حتى ولو كان هذا الموضوع مصيريّاً، وهذا القول يلغي نظرية المحاكاة في الفن... وهذا يعني ان القصيدة، في نهاية النهايات، غريبة عن المناسبات...» (الشعر والقصيدة، مجلة مواقف، عدد ٣٥، ربيع ١٩٧٩. ص ١٠٩ ـ ١١٠)

(١٧) غاستون باشلار، اللحظة الشعرية واللحظة الميتافيزيقية، تعريب: أدونيس مجلة مواقف، عدد ٤٤، شتاء ١٩٨٢، ص ٩٤

(١٨) يقول باشلار: «اللحظة الشعرية... لحظة مركّبة: تُحرّك. تدلّ ـ تدعو، تؤاسي ـ فهي مدهشة وأليفة. اللحظة الشعرية هي، جوهريّاً. علاقة تناغميّة بين متضادّين. فهناك دائماً شيء من العقل في لحظة الشاعر المشبوبة الانفعال، وهناك دائماً شيء من الانفعال المشبوب في رفضه العقلانيّ. التناقضات المتوالية تلذّ للشاعر. لكن من أجل الافتتان، من أجل النشوة، لا بد للتناقضات من أن تندغم في نوع من اجتماع الأضداد حينذاك تنبثق اللحظة الشعرية. اللحظة الشعرية هي، على الأقل، وعي اجتماع الأضداد... اللحظة الشعرية تقسر الكائن على أن يزيد القيمة أو يُنقصها. ففي اللحظة الشعرية يصعد الكائن أو يهبط، دون أن يقبل زمن العالم الذي يجعل من اجتماع الضدين تناقضاً، ومن التزامن تتابعاً». (المرجع نفسه، ص ٩٥)

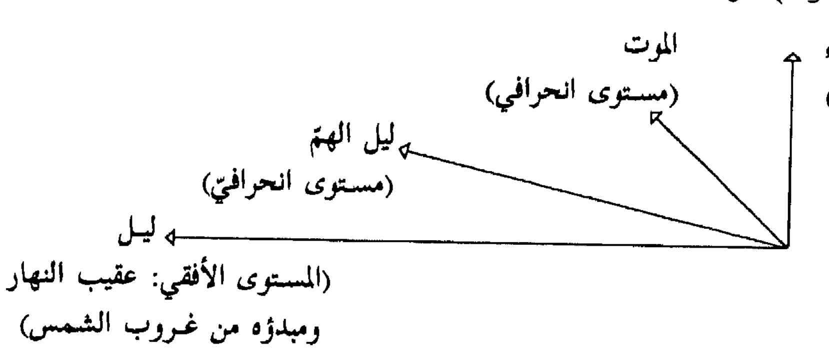
«ليل»، مثلاً، يكون لها مستوى دلالي أفقيّ هو معناها الاصطلاحي: الليل عقيب النهار، ومبدؤه من غروب الشمس... ثم مستوى انحرافي هو المعنى المكتَسَب: الليل هو ليل الهموم (ما الجامع بين الهمّ والليل؟)، كما في قول امرئ القيس:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ   عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي

أو الليل هو الموت، كما في قول خليل حاوي (قصيدة: الرعد الجريح):

ثُمَّ هَلَّتْ
نِعْمَةُ التَهْوِيمِ
فِي طَلْعَة ضَيْفٍ عَادَ مِنْ غَوْرِ **اللَيَالِي**
عَادَ غَضّاً وَغَضُوباً مُتَعَالِي
يَحْمِلُ الجُرْحَ الَّذِي يَنْزِفُ جَمْراً وَلآلِي
أَتُرَى هَلْ كَانَ فِي حَنْوَةِ **لَيْلٍ** يَسْتَرِيحْ
حَيْثُ لاَ تَضْرِبُهُ شَمْسٌ
وَلاَ تَحْفِيهِ رِيحْ؟
كَيْفَ لاَ يَحْتَرِقُ **الْلَيْلُ** وَيَفْنَى
حِينَ يَلْتَفُّ عَلَى رَعْدٍ جَرِيحْ...؟

(فقد وردت لفظة «ليل» هنا ثلاث مرات مرتبطة بمعنى الموت: ما الجامع بين الليل والموت؟) وقد يتصل معنى الوحدة المعجمية بما يناقضه، فيصل الانحراف إلى ذروته، كقول أبي تمام: «لَيْلٌ مِنَ الضَوْءِ وَالظَلْمَاءُ عَاكِفَةٌ...» واصفاً حريقَ عموريّة (ما الجامع بين الليل والضوء؟). ويمكننا أن نحدد حالات الانحراف بالرسم البياني التالي:



في هذه الحال تصير الكتابة شيئاً يتخطى الذاكرة ويفجّرها، لأنه يلغي حدودها تماماً. وتصير الكتابة كذلك شيئاً ضد العادة لأنها تتغيّر باستمرار؛ إنها نسبيّة بطبيعتها، تضرب نواة مفهوم المطلق. فليس في الكتابة الشعرية الحديثة مطلق، ولا ثابت.

من هنا، تعبّر الكتابة عن مفهوم الصيرورة المستمرة، وعن اتصال الزمن وآناته وتواترهما. إنها الكتابة التي تنطلق من الزمن نفسه، ولكن لتتخطاه، وتصير خيانة له. فليست هي الكتابة الزمنية، ولكنها ليست الكتابة الثابتة النهائية. فلا شيءَ نهائيّ في الحداثة. وتعني الأفكار ههنا اتصالاً ببعضها، صائرة دائماً بسبب هذا الاتصال، تغريبيّة لأنها تخلق فجوة توتّر بين النص والعالم. ليس الشكل ههنا ما يميز الشعر والنثر كما كانت الحال سابقاً، بل المستوى الانحرافي المرتبط أساساً بالمعنى، والذي يتخذ له شكلاً من أشكال التعبير الكتابي.

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ الكتب العربية:

١ ـ ابن الأثير: **المثل السائر**، صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٩٠.

٢ ـ ابن رشيق القيرواني: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، بيروت: دار الجيل، ط ٥، ١٩٨١.

٣ ـ ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، بيروت: دار ومكتبة الهلال، لا تاريخ.

٤ ـ ابن فارس: **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، بيروت: مؤسسة بدران، ١٩٦٤.

٥ ـ ابن منظور: **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، لا تاريخ.

٦ ـ ابن هشام: **قطر الندى وبَلّ الصدى**، القاهرة: المكتبة التجارية، ط ١١، ١٩٦٣.

٧ ـ   : مغني اللبيب، صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٨٧.

٨ ـ ابن يعيش: **شرح المفصّل**، بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٨.

٩ ـ أدونيس (علي أحمد سعيد): **مقدمة للشعر العربي**، بيروت دار العودة، ط ١، ١٩٧١.

١٠ ـ الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح سنن ابن ماجة**، بيروت: مكتبة التربية العربية لدول الخليج والمكتب الإسلامي، ط ٣، ١٩٨٨.

١١ ـ ألتونجي، محمد وراجي الأسمر: **المعجم المفصّل في علوم اللغة**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٣.

١٢ ـ الأيوبي، ياسين ومحيي الدين ديب: **كشف الغموض عن قواعد البلاغة والعروض**، طرابلس: دار الشمال، ط ١، ١٩٩٠.

١٣ ـ البرقوقي، عبد الرحمن: **شرح ديوان المتنبي**، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٠.
١٤ ـ البستاني، بطرس: **محيط المحيط**، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٣.
١٥ ـ البستاني، صبحي: **الصورة الشعرية في الكتابة الفنية**، بيروت: دار الفكر اللبناني، ط ١، ١٩٨٦.
١٦ ـ الجاحظ: **البيان والتبيين**، بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٦٨.
١٧ ـ   : **كتاب الحيوان**، بيروت: دار صعب، ط ٢، ١٩٧٨.
١٨ ـ الجرجاني، عبد القاهر: **أسرار البلاغة**، استانبول: مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٤.
١٩ ـ   : **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٨.
٢٠ ـ الجرجاني (عبد القاهر) والخطّابي والرمّاني: **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، القاهرة: دار المعارف، ط ٢، ١٩٦٨.
٢١ ـ حسن، عباس: **النحو الوافي**، القاهرة: دار المعارف، ط ٣، ١٩٧٤.
٢٢ ـ الدقر، عبد الغني: **معجم النحو**، بيروت: الشركة المتحدة للتوزيع، ط ٢، ١٩٨٢.
٢٣ ـ الرماني: **حروف المعاني**، طرابلس: دار االشمال، ١٩٨٨.
٢٤ ـ الزمخشري، جار الله: **أساس البلاغة**، بيروت: دار صادر، ١٩٧٩.
٢٥ ـ سقال، ديزيره: **من الصورة إلى الفضاء الشعري**، بيروت دار الفكر اللبناني، ط ١، ١٩٩٣.
٢٦ ـ سيبويه: **كتاب سيبويه**، بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٩٩١.
٢٧ ـ السيوطي، جلال الدين وجلال الدين المبحر: **تفسير الجلالين** (قرآن كريم)، لا دار نشر، عن طبعة بولاق ١٣٤٢ هـ.
٢٨ ـ ضومط، جبر: **الخواطر الحسان في المعاني والبيان**، بيروت: مكتبة لبنان، ط ٢، ١٩٣٠.
٢٩ ـ العسكري، أبو هلال: **كتاب الصناعتين**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٩.
٣٠ ـ فارس، أحمد محمد: **الكتابة والتعبير**، بيروت: دار الفكر اللبناني، ط ٣، ١٩٨٩.

٣١ ـ فضل، صلاح: **بلاغة الخطاب وعلم النص**، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ عالم المعرفة (آب، ١٩٩٢).
٣٢ ـ قدامة بن جعفر: **نقد النثر**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢.
٣٣ ـ   : **نقد الشعر**، حريصا المكتبة البولسية، ١٩٥٨.
٣٤ ـ القزويني: **التلخيص في علوم البلاغة**، بيروت: دار الكتاب العربي، لا تاريخ.
٣٥ ـ المبرّد، أبو العباس: **الكامل في اللغة والأدب**، بيروت: مكتبة المعارف، لا تاريخ.
٣٦ ـ مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، بيروت: دار عمران، ط ٣، ١٩٨٥.
٣٧ ـ مطلوب، أحمد: **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٣ ـ ١٩٨٧.
٣٨ ـ النحاس، أبو جعفر: **إعراب القرآن**، بيروت: عالم الكتب، ط ٣، ١٩٨٨.
٣٩ ـ الهاشمي، أحمد: **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١٢.
٤٠ ـ وافي، علي عبد الواحد: **علم اللغة**، الفجالة: مكتبة نهضة مصر، ط ٥، ١٩٦٢.
٤١ ـ يعقوب، إميل بديع: **موسوعة الحروف في اللغة العربية**، بيروت دار الجيل، ط ١، ١٩٨٨.

٢ ـ الكتب المعرّبة:

١ ـ بارت، رولان: **نقد وحقيقة، تعريب: منذر عباسي، بيروت: مركز الإنماء الحضاري، ١٩٩٤.**
٢ ـ   : **درجة الصفر للكتابة**، تعريب: محمد برّادة، بيروت: دار الطليعة، ط ١، ١٩٨٠.
٣ ـ دي سوسّر، فردينان: **محاضرات في الألسنية العامة**، تعريب: يوسف غازي ومجيد النصر، جونيه: دار النعمان، ١٩٨٤.
٤ ـ شوشار، بول: **اللغة والفكر**، تعريب: صلاح أبو الوليد، بيروت: المنشورات العربية (سلسلة: ماذا أعرف؟ ـ رقم ١٢)، لا تاريخ.

٥ - فوكو، ميشيل: **الكلمات والأشياء**، تعريب: فريق من المعرّبين، بيروت: مركز الانماء القومي، ١٩٨٩ - ١٩٩٠.

٣ ــ المقالات:

١ - باشلار، غاستون: **اللحظة الشعرية واللحظة الميتافيزيقية**، تعريب: أدونيس، مجلة مواقف، عدد ٤٤، شتاء ١٩٨٢.

٢ - تودورف، تزيفيتان: **الشعرية**، تعريب: كاظم جهاد، مجلة مواقف، عدد ٣٣، خريف ١٩٧٨.

٣ - رفقة، فؤاد: **الشعر والقصيدة**، مجلة مواقف، عدد ٣٥، ربيع ١٩٧٩.

٤ - العيد، يمنى: **في القول الشعري**، مجلة مواقف، عدد ٥٠، ربيع ١٩٨٤.

فهرس الابيات الشعرية

النـاعـمـات الـقـاتـلات المحـيـيـا تُ المبديات من الدلال غرائبا (ص: ٩٢)
- بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهنّ جلاء الشك والريب (ص: ١٠٩ - ها)
- تكاد عطاياه يجنّ جنونها إذا لم يعوّذها برقية طالب (ص: ١٧٥)
- حتى سقيناهم بكأس مرّةٍ فيها المثل نافعاً فليسربوا (ص: ٥٢)
- حليم إذا ما الحلم زيّن أهله، مع الحلم في عين العدو مهيب (ص: ١٣٢)
- ست وعشرون تدعوني فأتبعها إلى المشيب ولم تظلم ولم تحب (ص: ١٢٣)
- سعى الأعداء لا يألون شراً عليّ، وربّ مكة، والصليب (ص: ٤٧)
سقتني في ليل شبيه بشعرها شبيهة خدّيها بغير رقيبِ
- فما زلت في ليلين: شعرٍ وظلمة وشمسين من خمرٍ ووجه حبيب (ص: ١٢٩)
- عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراء فرج قريب (ص: ٥١، ٩٦)
- عضّنا الدهر بنابهْ ليت ما حلّ بنا بِهْ (ص: ١٦١، ١٦٢)
- فمساهم وبُسْطهمُ حريرٌ وصبّحهم وبسطهم ترابُ (ص: ١٧٨)
- قلْ لِبَانٍ بقولٍ ركنَ مملكةٍ على الكتائب يبنى الملكُ لا الكتُبُ (ص: ٩٤)
- لدوا للموت وابنوا للخرابِ فكلّكمُ يصير الى تبابِ (ص: ١٦٤)
- لم يغزُ قوماً ولم ينهد إلى بلدٍ الا تقدّمه جيش من الرعب (ص: ١٠٤)
- ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها فكيفما انقلبت يوماً به انقلبوا (ص: ٩٦)
- مبارك الاسم أغرّ اللقَبْ كريم الجرِشّى شريف النَسَبْ (ص: ٢٤)
- نسيبك من ناسبت بالود قلبه وجارك من صافيت لا من تصاقب (ص: ١١٥)
- والشمس من مشرقها قد بدت مشرقةً ليس لها حاجبُ
كأنها بوتقة أُحميت يجول فيها ذهب ذائبُ (ص: ١٥٣)
- والعلم في شهب الأرماح لامعةً بين الخميسين لا في السبعة الشهب (ص: ١٠٩، ١٥٥)
- وجدت فيك بنت عدنان داراً ذكّرتها بداوة الأعرابِ (ص: ١٧٩)
- ولله عندي جانب لا أضيعه وللهو عندي والخلاعة جانب (ص: ٧٦)
- ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا ومن دون رمسينا من الأرض سببُ
لظلّ صدى صوتي، وإن كنت رمّةً، لصوت صدى ليلى يهشّ ويطربُ (ص: ٩٩)
- وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربُهْ (ص: ٢٩)
- يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقابُ (ص: ١٥٤)

ـ التاء ـ

- إنما النفس كالزجاجة وَالْعِلْـ مُ سراج وحكمة الله زيت (ص: ١٤٩، ١٥١)
- طويل النجاد، رفيع العمادِ، كثير الرمادِ إذا ما شتا (ص: ١٧٨، ١٧٩)
- هل ضممتِ النور فجراً وغفوتِ؟ ذاك أنتِ (ص: ٥٨)

ـ الجيم ـ

- فكم معنى بديع تحت لفظ هناك تزاوجا كل ازدواجِ
كراحٍ في زجاج أو كروح سرت في جسم معتدل المزاجِ (ص: ١٥٢)
- ومقلةً وحاجباً مزجّجاً وفاحماً ومرسناً مسرّجا (ص: ٢٣)

ـ الحاء ـ

- أباك أباك إن من لا أبا له كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح (ص: ٤٧)
- دامنٌ سعدكِ لو رحمتِ متيّماً لولاكِ لم يك للصبابة جانحا (ص: ٤٦ ـ ها)
- كأنه في اجتماع الروح فيه له في كل جارحة من جسمه روح (ص: ٣١)
- وبدا الصباح كأنّ غرّته وجه الخليفة حين يبتسمُ (ص: ١٥٥)
- وقالت: رح بربك من أمامي فقلت لها بربك أنت روحي (ص: ٤٧)
- ولو أن ليلى الأخيلية سلّمت عليّ ودوني جندل وصفائحُ
لسلمتُ تسليم البشاشة أو زما إليها صدى من جانب القبر صائحُ (ص: ١٠٠)

ـ الدال ـ

- إذا اشتد جنح الليل فلتأتِ ولتكن خطاك خفافا، إن حرّاسنا أُسْدا (ص: ٤٦)
- إذا سيد منا مضى لسبيله أقام عمود الدين آخرُ سيد (ص: ٩٣)
- أزلْ حسد الحسّاد عني بكبتهم فأنتَ الذي صيّرتهم ليَ حُسّدا (ص: ٥٢)
- أكلما اغتال عبد السوء سيّده أو خانه فله في مصر تمهيد (ص: ٧٥)
- ألشيب كره وكره أن يفارقني إعجبْ لشيء على البغضاء مودود (ص: ١١٦)
- أماويُّ ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ (ص: ١٢٤)
- بكت لؤلؤاً رطباً ففاضت مدامعي عقيقا فصار الكل في نحرها عقدا (ص: ١٦٢)
- ترفع لي خندف والله يرفع لي ناراً إذا خمدت نيرانها تقدِ (ص: ٩٨)

- رأيت الله أكبر كلّ شيء محاولةً وأكثرهم جنودا (ص: ٨٠)
- ربّ رُدَّ الأهوال أقبلن يضربـ ـنَ وجُنْدَ لات ما خلاك يجودُ (ص: ١٠٨)
- سأطلب بعدَ الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا (ص: ٢٩)
- ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزوّدِ (ص: ١٧٤)
- سقى الله نجدا والسلام على نجد ويا حبذا نجدا على القرب والبعدِ (ص: ١٣٠)
- شاب رأسي فصار أبيض لوناً بعد أن كان حالكاً بالسوادِ (ص: ١٢٨)
- صاح، هذي قبورنا تملأ الرحـ ـبَ، فأين القبور من عهد عاد؟ (ص: ٥٩)
- عرفتَ سجايا الدهر أمّا شروره فنقدٌ وأما خيره فوعودُ (ص: ٤٤)
- فإن تبغني في حلقة القوم تلقني وإن تقتنصني في الحوانيت تصطدِ (ص: ٩٧)
- فإن تكتموا الداءَ لا نخفِهِ، وإن تبعثوا الحربَ لا نقعدِ
- وإنْ تقتلونا نقتّلكُمُ، وإنْ تقصدوا الدم لا نقصدِ (ص: ١٣٣)
- فإن كنت لا تستطيعُ دفعَ منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي (ص: ١٠١)
- فلم أرَ في ما ساءني غير شامتٍ ولم أرَ في ما سرّني غير حاسدِ (ص: ١٠٨)
- فهي الشمس بهمة والقضيب الـ ـلدْنُ قدّاً والريم طرْفاً وجيدا (ص: ١٥٣)
- في شأنه ولسانه وبنانه وجنانه عجب لمن يتفقّد (ص: ١٢٥)
- لا تبكِ ليلى ولا تطرب إلى هندِ واشرب على الورد من حمراء كالوردِ (ص: ١٧١)
- لا تشترِ العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيدُ (ص: ٥٤)
- لخولة أطلال ببرقة ثهمدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ (ص: ٨٥)
- لمّا مشين بذي الأراك تشابهت أعطاف قضبان به وقدودُ
في حلّتي حبر وروض فالتقى وشيانِ: وشى ربّى ووشي برودِ
وسَفَرنَ فامتلأت عيون راقها وردان: ورد جنًى وورد خدود (ص: ١٢٩)
- له ايادٍ عليّ سابغة أعدّ منها ولا أعددها (ص: ١٧٠)
- ليل وبدر وغصنٌ شعر ووجه وقدْ
خمر ودرّ وورد ريقٌ وثغر وخدْ (ص: ١٥١)
- نامت نواطير مصر عن ثعالبها فقد بشمن وما تفنى العناقيد (ص: ٨٤)
- هو الحلي دون الحلي جنب سطورها فيا أحرف اللاتين: أين القلائد (ص: ٥٧)
- والذي حارت البريّة فيه حيوان مستحدث من جمادِ (ص: ٧٢، ٧٧)

- وإنّ ذا الأسود المثقوب مشفره تطيعه ذي العضاريط الرعاديد (ص: ٢٥)
- وتسعدني في غمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهدُ (ص: ٣١)
- وخبّرتُ سوداء الغميم مريضةً فأقبلتُ من أهلي بمصر أعودُها (ص: ٨٠ ـ ها)
- وذاك أن الفحول البيض عاجزة عن الجميل، فكيف الخصية السودُ (ص: ١٨١)
- وربّ أسيلة الخدّين بكر مهفهفة لها فرع وجيد (ص: ١٢٤)
- وعلمتُ أني اليوم ذا كَ مُنازلٌ كعباً ونهدا
قومٌ إذا لبسوا الحديـ ـدَ تنمّروا حَلَقاً وقدًّا (ص: ٦٨)
- ولست بحلال التلاع مخافةً ولكن متى يسترفد القوم أرفدِ (ص: ٦٦، ٩٦)
- ولولا ثلاث هنّ من لذة الفتى وجدّك لم أحفل متى قام عوّدي (ص: ٦٧)
- وما الدهر إلاّ مِنْ رواة قصائدي إذا قلتُ شعراً أصبح الدهر منشدا (ص: ١٠٨)
- وما زال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي
إلى أن تحامتني العشيرة كلها وأفردتُ إفرادَ البعير المعبّدِ (ص: ١٥٥)
- يا لقومي ويا لأمثال قومي لأناس عتوُّهم في ازديادِ (ص: ٦٢ ـ ها)

ـ الراء ـ

- أتذكرهم وحاجتك ادّكارُ وقلبك في الضغائن مستعارُ؟ (ص: ٥٨)
- أحادِ ترى بريقاً هبّ وهناً كنار مجوسَ تستعر استعارا (ص: ٧٤)
- إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا لكي يحسبوا أن الهوى حيث تنظرُ (ص: ٩٧)
- إذا عُمّر الإنسان عشرين حجة فأبلغْ بها عمراً، وأجدر بها شكرا (ص: ٥٠)
- أقسم بالله أبو حفص عمرْ ما مسّها من نقبٍ ولا دَبَرْ (ص: ٩٣)
- الخد وردٌ والعذار رياض والطرف ليل والبياض نهارُ (ص: ١٥٠، ١٥١)
- العشق كالموت يأتي لا مردَّ له ما فيه للعاشق المسكين تدبير (ص: ١٤٩)
- ألعمر والإنسان والدنيا هُم كالظل في الإقبال والإدبار (ص: ١٥٢)
- ألقها عنك يا طويلة أوْ لا فاحتسبها شرارة في السعير (ص: ٥٢)
- إني وأسطار سطرن سطرا لقائلٌ: يا نصر نصرٌ نصرا (ص: ٢٩)
- أهذا الذي أطريت نعتاً فلم أكن وعيشكِ أنساه إلى يوم أُقبرُ (ص: ٥٩)
- حُمّلت أمراً عظيما واصطبرت به وقمتَ فيه بأمر الله يا عمرا (ص: ٦٢)
- خلّ الطريق لمن يبني المنار به وأبرز ببرزة حيث اضطرك القدرُ (ص: ٥٢)

- سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر (ص: ١٧٥)
- صريع تقاضاه الليالي حشاشة يجود بها والموت حمر أظافرُهُ (ص: ١٦٦)
- عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذارا (ص: ١٢١)
- غيثان: فالأنواء غيث ظاهرٌ لك فعله والصحو غيث مضمرُ (ص: ٧٩)
- فالأرض ياقوتة والجو لؤلؤة والنبت فيروزج والماء بلورُ (ص: ١٥٥)
- فقلت: أباديهم فإما أفوتهم وإما ينال السيف ثأراً فيثأر (ص: ٩٥)
- فقلت اقتلوها عنكمُ بمزاجها وحبٌّ بها عمراً، وأجدرْ بها شكرا (ص: ٥٠ ـ ها)
- فوالله ما ادري أتعجيل حاجة أتت بك أم قد نام من كنت تحذر (ص: ٤٩)
- كأن الدموع على خدّها بقيّة طلّ على جلنار (ص: ١٤٩)
- كل عذر من كل ذنب ولكن أعوز العذر من بياض العذار (ص: ١٢٥)
- لا بلبل يزورها شوقاً، ولا شحرورَهْ (ص: ١٨٢)
- لا يستقلّ ذووالأضغان حربَهُمُ ولا يبينُ في عيدانهم خَوَرُ (ص: ١٠١)
- لمّا رأى طالبوه مصعباً ذعروا وكاد لو ساعد المقدور ينتصر (ص: ٢٨)
- لهفي عليك للهفة من خائف يبغي جوارك حين لات مجيرُ (ص: ١٠٣)
- وأخذت ما جاد الأمير به وقضيت حاجاتي من الأخرى (ص: ٧٢)
- هَلَ اعفو عن أصول الحكم فيهم إذا عسرت وأقتطع الصدورا (ص: ١٢٣)
- وقبر حرب بمكان قفرِ وليس قرب حرب قبر (ص: ٢٦)
- ولا تحْسِبن المجد زقا وقينةً فما المجد الا السيف والفتكة البكرُ (ص: ١١٢)
- ولأنت أملأُ في القلوب لديهم وأجلّ قدراً في الصدور وأكبرُ (ص: ١٢٥)
- وليلة مرضت من كل ناحية فما يضيء لها نجم ولا قمرُ (ص: ١٦٦)
- وما أنا أسقمتُ جسمي به ولا أنا أضرمت في القلب نارا (ص: ٧٧)
- يا له طائرا بصورة شيطا ن يبث اللهيب ببركان صدره (ص: ٦٢)
- يغشي القناطر يبنيها ويهدمها مُسَوّمٌ فوقه الرايات والقَتَرُ (ص: ١٧٥)
- يغنّي كما صدحت أيكةٌ وقد نبّه الصبح أطيارها (ص: ١٧٤)
- يهواك ما عشت الفؤاد فإن أمت يتبع صداي صداك بين الأقبرِ (ص: ٤٥)

ـ السين ـ

ـ ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها   إن السفينة لا تجري على اليبسِ   (ص: ١٥٧)

ـ دانٍ بعيد محبٌ مبغض بهج   أغـرّ حـلـو ممِـرّ لـيِنّ شـرسِ   (ص: ٢٩)

ـ دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي   (ص: ١٧٦)

ـ صنت نفسي عمّا يدنّس نفسي   وترفّعت عن جدا كـلّ جبسِ   (ص: ١١٤)

ـ فيا لهفي عليه ولهف أمي   أيصبح في الضريح وفيه يمسي   (ص: ٦٢)

ـ لم يكـن وصلـك إلاّ حـلـما   في الكرى أو خلسة المختلسِ   (ص: ١٠٨)

ـ والمنـايـا مـواثـل وأنـو شـر   وانَ يزجي الصفوف تحت الدرفسِ

في اخضرار من اللباس على أصـ   ـفَرَ يختـال في صبيـغة ورسِ   (ص: ١٢٤)

ـ الطاء ـ

ـ «أل» حرف تعريف، أو «اللام» فقط،   فنمط عرفت، قل فيه: النمطْ   (ص: ١٠٨ ـ ها)

ـ العين ـ

ـ أصدق وعفَّ وبرَّ واصبرْ واحتملْ   واحلمْ ودارِ وكافِ وابذلْ واشجعِ   (ص: ٣٠)

ـ إن الذيـن تـرونـهـم إخـوانـكـم   يشفي غليل صدورهم أن تُصرعوا   (ص: ٧٢)

ـ أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا، يا جرير، المجامعُ   (ص: ٧٢)

ـ تملكني الوشاة فأزعجوني   فـيـا لَـلـه لـلـواشـي المطـاعِ   (ص: ٦٢)

ـ حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي   فأنتِ بمرأى من سعاد ومسمعِ   (ص: ٣١)

ـ خليليّ، ما وافٍ بعهديَ أنتما   إذا لم تكونا لي على من أقاطعُ   (ص: ٦٦)

ـ علّ الليالي التي أضنت بفرقتنا   جسمي ستجمعني يوماً وتجمعُهُ   (ص: ٦٠)

ـ فأقسم لو شيء أتانا رسوله   سواك ولكن لم نجد لك مدفعا   (ص: ١٢٦)

ـ فبتّ كأني ساورتني ضئيلة   من الرقش في أنيابها السم ناقعُ   (ص: ١٧٦)

ـ فصبراً في مجال الموت صبراً   فـمـا نـيـل الخلود بمـسـتـطـاعِ   (ص: ٥١)

ـ فكـأنما أثر الـدموع بـخـدهـا   طـلّ تـنـاثـر فـوق ورد يـانـع   (ص: ١٥٤)

ـ فيا قبر معن أنت أول حفرةٍ   من الأرض خُطّت للسماحة مضجعا

ويا قبر معن كيف واريت جوده   وقد كان منه البرّ والبحر مترعا   (ص: ١٢٩ ـ ١٣٠)

ـ من طمحة صبيرها جحلنجع   لم يـحـضـهـا الجدول بـالـتنوّع   (ص: ٢٤)

- وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفيت كلّ تميمة لا تنفع (ص: ١٦٣)
- وما شاب رأسي من سنين تتابعت عليّ ولكن شيّبتني الوقائعُ (ص: ١١٠)
- وما المال والأهلون إلا ودائعٌ ولا بد يوماً أن تردّ الودائعُ (ص: ١١١)
- يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما راءٍ كمن سمعا (ص: ٦٤)
- يا ليل طُلْ، يا نوم زلْ، يا صبح قف، لا تطلعِ (ص: ٥٤)

- الفاء -

- أيا شجر الخابور ما لك مورقاً كأنك لم تجزعْ على ابن طريفِ (ص: ٥٨)
- نحن بما عندنا وأنت بما عِنْـ دَكَ راضٍ والرأي مختلف (ص: ٨١)

- القاف -

- في كفّه قلم يمجّ لعابُهُ سمّا وينفثه على الأوراقِ (ص: ٨٤)
- فإن كنتَ مأكولا فكن خير آكلٍ وإلا فأدركني ولمّا أمزّقِ (ص: ١٠٤)
- لك الخير غيري رام من غيرك الغنى وغيري بغير اللاذقية لاحقُ (ص: ٢٧)
- مضى بها ما مضى من عقل شاربها وفي الزجاجة باقٍ يطلب الباقي (ص: ٧٢)
- هواي مع الركب اليمانين مصعدٌ جنيب، وجثماني بمكة موثقُ (ص: ٧٥)

- الكاف -

- أتتني الشمس زائرة ولم تك تبرح الفلكا (ص: ١٦٢)
- ألسحب تعطي وتبكي وأنت تعطي وتضحك (ص: ٨١)
- أيا منازل سلمى أين سلماك من أجل هذا بكيناها بكيناك (ص: ٦٣)

- اللام -

- أحلماً؟ فقبل اليوم كان أوانه أم اخشى؟ فقبل اليوم أوعدتُ بالقتل (ص: ٥٨)
- إذا ما علت منا ذؤابة شارب تمشّت به مشي المقيّد في الوحل (ص: ١٣٠)
- أشكوك كوكك كي ينفك عن كنفي ولا ينيغ على الركاب كلكله (ص: ٢٧)
- أقِلْ أإنك أقطع اجمل علّ سلّ عِدِ زِدْ هشَّ بشَّ تفضّلَ ادنِ سرَّ صلِ (ص: ٣٠)
- أقل أنلْ أُن صُنِ احمل علّ سلِّ أعدْ زدْ هشَّ بشَّ هب اغفرْ أدنِ سُرَّ صلِ (ص: ٣٠ - ها)
- ألا أيها الليل الطويل ألا أنجلِ بصبح وما الإصباح عنك بأمثلِ (ص: ٥٣)

- كلانا بكى أو كاد يبكي صبابة إلى إلفه واستعجلت عبرة قبلي (ص: ٨٥)
- لا تقل أصلي وفصلي أبداً، إنما أصل الفتى ما قد حصلْ (ص: ١٠٢)
- لا خيل عندك تهديها ولا مالُ فليسعد النطق إن لم تسعد الحالُ (ص: ١٠١)
- للورد عندي محلٌّ لأنه لا يملُّ
- كلّ الرياحين جندٌ وهو الأمير الأجلُّ (ص: ١٥٣)
- لم يبق جودُك لي شيئاً أؤمّله تركتني أصحب الدنيا بلا أملِ (ص: ١٣١)
- لن تزالوا كذلكم ثم لا زِلْـ ـتُ لكم خالداً خلود الجبالِ (ص: ١٠٤)
- لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فقلتُ ما لم أفعلِ (ص: ٢٣)
- لو يشأْ طار به ذو ميعةٍ لاحقُ الآجال، نهد، ذو خصلْ (ص: ١٠٠)
- هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السماكين منزلُ (ص: ٨٢)
- هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحلُهْ (ص: ٤٤، ٦٧، ٨٢، ١٥٤)
- وأنت من أهل بيت سوء قصّتهم قصة تطولُ (ص: ٧٠)
- وإن مدّت الأيدي الى الزاد لم أكن بأعجلهم، إذ أجشع القوم أعجل (ص: ٦٦)
- وإني وأن كنت الأخير زمانه لأتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ (ص: ٤٥)
- وجهك البدر، لا بل الشمس لو لم يُقضِ للشمس كَسْفةٌ وأفولُ (ص: ١٠٩)
- وجهك يا عمرو فيه طول وفي وجوه الكلاب طولُ (ص: ٤٤)
- وجوههم للورى عِظَاتٌ لكن أقفاءهم طبولُ (ص: ٨٣)
- وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاوٍ مُشِلّ شَلول شلشل شَوِلُ (ص: ٢٧)
- وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل هم كلّهن قلاقلُ (ص: ٢٧)
- وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأي أمير المؤمنين جميلُ (ص: ٥٧)
- ولو نعطي الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الليالي (ص: ١٠٠)
- وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي (ص: ١٩٢)
- وما حق الذي يعثو نهارا ويسرق ليله إلا نكالا (ص: ١٠٣)
- يا دارُ لا زالت رُباكِ مجودةً من كل سارية تعلّ وتنهل (ص: ٦٣)

- الميم -

- أفؤادي متى المثابُ ألمّا تصبحُ والشيب فوق رأسي ألمّا؟ (ص: ٦٣)
- الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم (ص: ٩٤)
- أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم (ص: ٧٠)
- إن تغفر اللهمّ تغفر جمّا وأي عبد لك لا ألمّا (ص: ١٠٢)
- إيه آثار بعلبك، سلام بعد طول النوى وبعد المقام (ص: ١٦٥)
- بناها فأعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حوله متلاطمُ (ص: ١١٥، ١٧٥)
- حذار حذار من جشع فإني رأيت الناس أجشعها اللئام (ص: ٥١)
- رمزت إليّ مخافة من بعلها من غير أن تبدي هناك كلامها (ص: ١٨٢)
- على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم (ص: ١٣٣)
- فإن المنية من يخشها فسوف تصادفه أينما (ص: ١٢٥)
- فرت يهودُ وأسلمت جيرانها صمّي لما فعلت يهودُ حمامِ (ص: ٧٤)
- فسقى ديارك، غيرَ مفسدها، صوبُ الربيع وديمة تهمي (ص: ١٣١)
- فقمت للطيف مرتاعاً فأرّقني فقلت: أهي سرت أم عادني حلمُ (ص: ٥٥)
- فلا والله أشربها حياتي ولا أسقي بها أبداً نديما (ص: ١٢٣)
- فلا يبرم الأمر الذي هو حالل ولا يُحلل الأمر الذي هو يبرمُ (ص: ٢٤)
- كأن سهيلا والنجوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامها (ص: ١٥٠)
- لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلّم (ص: ١٦٥)
- لياليّ ليلى لم يُشَب عذبُ مائها بملح، وحبلانا متين قواهما (ص: ٦٦)
- متى تخلو البنيان دوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم (ص: ٥٦)
- ندم البغاة ولات ساعة مندم والبغي مرتع مبتغيه وخيم (ص: ١٠٣)
- هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقيّ النقيّ الطاهر العَلَمُ (ص: ٦٧)
- هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي (ص: ٦٣)
- هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت والاسد، أسد الشرى، والبأس محتدمُ (ص: ٨٣)
- وأعلم ما في الأمس واليوم قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي (ص: ١٢٨)
- وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن تولّت مضوا في إثرها قُدُما (ص: ٩٥)
- وإن امرأ دامت مواثيق عهده على مثل هذا، إنه لكريمُ (ص: ١٣٠)

- وظلمت نفسك طالبا إنصافها فعجبت من مظلومة لم تظلمِ (ص: ١٢٢)
- وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم (ص: ١٥٦)
- ولقد نزلت فلا تظنّي غيره مني بمنزلة المحبّ المكرَمِ (ص: ٥٤)
- وما يك فيّ من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفطيم (ص: ١٨١)
- ومن البليّة عزل من لا يرعوي عن غيّه وخطاب من لا يفهمُ (ص: ١١٠)
- ومن يصنع المعروف في غير أهله يكن حمده ذما عليه ويندم (ص: ٨٧)
- ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى عن الناس تعلم (ص: ٩٦)
- يا أعدل الناس الا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكمُ (ص: ٦١، ٧٥)
- يتجنب الآثام خيفة غيّها فكأنما حسناته آثامُ (ص: ١٢٦)

ـ النون ـ

- أسكان نعمان الأراك تيقّنوا بأنكمُ في ربع قلبي سكانُ (ص: ٦١)
- أضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا (ص: ٩٥)
- أقاطن قوم ليلى أم نووا ظعناً؟ إن يظعنوا فعجيب عيش من قطنا (ص: ٧٩)
- إلا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا (ص: ٤٦)
- ألضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الأضغانِ (ص: ١٨٠)
- أنا ابن جلا وطلاّع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني (ص: ٩٦)
- أنتِ مثل الغصن لينا وشبيه البدر لينا (ص: ٨١، ١٥٢)
- تامت فؤادك لو يحزنْك ما صنعت إحدى نساء بني ذهل بن شيبانا (ص: ٩٩)
- حيثما تستقمْ يقدّر لك الله نجاحا في غابر الأزمانِ (ص: ٩٦)
- خلت البلاد من الغزالة ليلها فأعاضهاك الله كي لا تحزنا (ص: ٢٨)
- عمر الفتى ذكره، لا طول مدته، وموته خزية لا يومه الداني (ص: ١١٢)

ـ عمري السحاق في غمار الوصل، أسفاراً يجرّعني!
عمري سويعات أقضّيها رؤىً سكرى... تضيّعني!
عمري هدير، دافىء الوجدان، بالايقاع يحييني... (ص: ٦٨)

- كم بعثنا الجيش جرّا راً وأرسلنا العيونا (ص: ١٧٠)
- كلما أنبت الزمان قناةً ركّب المرء في القناة سنانا (ص: ١٧٥)
- لك شعر مثل حظي في سواد قد تثنى (ص: ١٤٩)

ـ لو كنت كنت كتمت السر كنت كما كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن (ص: ٣٠)
ـ كنت مثل الكتاب أخفاه طي فاستدلوا عليه بالعنوان (ص: ١٥٠)
ـ لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذُهل بن سيبانا (ص: ٩٩)
ـ ليت شعري هل لنا بعد النوى من سبيل للّقا أم لات حينُ (ص: ٦٠)
ـ ما رأيت امرأ أحبَّ إليه البذل منه إليك يا ابن سنانِ (ص: ٦٦)
ـ ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن (ص: ١٥٦)
ـ من يصنع الخير مع من ليس يعرفه كواقد الشمع في بيت لعميان (ص: ١٥٢)
ـ وإذا نطاوعْ أمر سادتنا لا يثننا بخل ولا جبنُ (ص: ٩٨)
ـ وأنبئت قيساً، ولم أبلُهُ ـ كما زعموا ـ خيرَ أهل اليمن (ص: ٨٠ ـ ها)
ـ وذات دلّ كأنّ البدر صورتها باتت تغني عميد القلب سكرانا (ص: ١٥٦)
ـ والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسّد في التراب دفينا (ص: ١٠٤)
ـ يا خزرُ تغلبَ ماذا بال نسوتكم لو يستفقن إلى الديرين تحنانا؟ (ص: ٥٦ ـ ها)
ـ يا للرجال ذوي الألباب من نفر لا يبرح السفه المردي لهم دينا (ص: ٦٢ ـ ها)

ـ الهاء ـ

ـ لك الله على ذاكا لك الله لك الله (ص: ٩٣)
ـ مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها (ص: ٩٥)
ـ هي الحياة تعلّم كيف تحياها ولا تكنْ خامل الإحساس تياها (ص: ٧٠)

ـ الياء ـ

ـ أيا راكباً إما عرضت فبلّغن نداماي من نجران أن لا تلاقيا (ص: ٤٦)
ـ تعزّ فلا شيء على الأرض باقيا ولا وزر ممّا قضى الله وافيا (ص: ١٠١)
ـ تمنيتها لمّا تمنيت أن ترى صديقا فأعيا أو عدوًّا مداجيا (ص: ٨٨)
ـ على أنني راضٍ بأن أحمل الهوى وأخلُصَ منه لا عليّ ولا ليا (ص: ٦٩)
ـ وكأن الصبح لمّا لاح من تحت الثريّا
ملك أقبل في التا جِ يفدّى ويحيّا (ص: ١٥٤)

فهرس الآيات القرآنية

ـ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ـ ٤٥/١٧ (ص: ١٧٦)
ـ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفورا ـ ٤٦/١٧ (ص: ١٠٨ ـ ها)
ـ فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ـ ٦٣/١٧ (ص: ١٠٥)
ـ وقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ـ ٨١/١٧ (ص: ١٣١)
ـ قل الروح من أمر ربي ـ ٨٥/١٧ (ص: ٧٧)
ـ وإني لأظنك يا فرعون مثبورا ـ ١٠٢/١٧ (ص: ٨٠)
ـ قال قائل منهم: كم لبثتم؟ ـ ١٩/١٨ (ص: ٥٧)
ـ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر؛ فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ـ ٧٩/١٨ (ص: ١٢٤)
ـ ولم أكُ بغيًا ـ ٢٠/١٩ (ص: ١٢٣)
ـ إني نذرت للرحمن صوما، فلن آكل اليومَ إنسيًا ـ ٢٦/١٩ (ص: ١٠٤)
ـ أسمعْ بهم وأبصرْ يومَ يأتوننا لكنّ الظالمون اليوم في ضلال مبين ـ ٣٨/١٩ (ص: ١١٠)
ـ قال: أراغبٌ أنت عن آلهتي يا إبراهيم؟ ـ ٤٦/١٩ (ص: ٥٥، ٧٩)
ـ أولئك أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح من ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا ـ ٥٨/١٩ (ص: ٨٨)
ـ إنه كان وعده مأتيًا ـ ٦١/١٩ (ص: ١٧٦)
ـ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردًا ـ ٧٦/١٩ (ص: ٦٦)
ـ وما تلك بيمينك يا موسى ـ ١٧/٢٠ (ص: ٥٦، ٥٨)
ـ فاقضِ ما أنت قاضٍ ـ ٧٢/٢٠ (ص: ٥٣)
ـ فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ـ ١٢٠/٢٠ (ص: ١١٦)
ـ هل هذا إلا بشر مثلكم ـ ٣/٢١ (ص: ٧١)
ـ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلدَ أفإن متّ فهم الخالدون ـ ٣٤/٢١ (ص: ٩٧)

ـ ويقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ ـ ٣٨/٢١ (ص: ٥٦)
ـ تالله لأكيدنَّ أصنامكم ـ ٥٧/٢١ (ص: ٤٧)
ـ بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون؟ ـ ٨١/٢٣ ـ ٨٢ (ص: ١١٦)
ـ ألله نور السموات والأرض ـ ٣٥/٢٤ (ص: ٤٥، ٦٧، ٨٢، ١٥٤)
ـ الزجاجة كأنها كوكب دريّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ـ ٢٤/ ٣٥ (ص: ٩٢)
ـ ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع ـ ٤٥/٢٤ (ص: ٦٥)
ـ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ ـ ٧/٢٥ (ص: ٥٩)
ـ ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله مثاباً ـ ٧١/٢٥ (ص: ١٢٣ ـ ١٢٤)
ـ أن ائتِ القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتّقون ـ ١٠/٢٦ ـ ١١ (ص: ٦٣)
ـ قال فرعون: وما رب العالمين؟ ـ ٢٣/٢٦ (ص: ٥٦)
ـ أيكم يأتيني بعد عرشها؟ ـ ٣٨/٢٧ (ص: ٥٧)
ـ ويقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟ ـ ٧١/٢٧ (ص: ٥٦)
ـ لا تخافي ولا تحزني ـ ٧/٢٨ (ص: ١٠٢)
ـ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ـ ٨/٢٨ (ص: ١٦٤)
ـ هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم ناصحون؟ ـ فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ـ ١٢/٢٨ (ص: ١٢٧)
ـ يا ليت لنا مثلَ ما أوتي قارون ـ ٧٩/٢٨ (ص: ٦٠)
ـ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدونِ ـ ٥٦/٢٩ (ص: ١٢٥)
ـ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ـ ٥/٣١ (ص: ٧٢)
ـ وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأنْ لم يسمعها كأنّ في أذنيه وقرا ـ ٧/٣١ (ص: ١١٦، ١٥٤)

- كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول - ١٥/٧٣ - ١٦ (ص: ٧٠ - ها، ٧٣)
- وما يعلم جنود ربك إلا هو - ٣١/٧٤ (ص: ١٠٣)
- فلا صدّق ولا صلّى - ٣١/٧٥ (ص: ١٠٢)
- ألم نهلك الأولين - ١٦/٧٧ (ص: ١٠٤)
- عم يتساءلون؟ عن النبإ العظيم، الذي هم فيه مختلفون. كلا سيعلمون - ١/٧٨ - ٤ (ص: ٨٩)
- يسألونك عن الساعة أيّانَ مرساها - ٤٢/٧٩ (ص: ٥٧)
- إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم - ١٣/٨٢ - ١٤ و: ٢٢/٨٣ (ص: ١١٤، ١٧٢)
- فبشرهم بعذاب أليم - ٢٤/٨٤ (ص: ١٦٤)
- سبح اسم ربك الأعلى، الذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى - ١/٨٧ - ٣ (ص: ٨٨)
- قد أفلح من تزكّى، وذكر اسم ربّه فصلّى، بل تؤثرون الحياة الدنيا - ١٤/٨٧ - ١٦ (ص: ٩٤)
- هل أتاك حديث الغاشية؟ وجوه يومئذ خاشعة - ١/٨٨ - ٢ (ص: ٧٠)
- والشمس وضحاها - ١/٩١ (ص: ٤٧)
- ألم يجدك يتيماً فآوى، ووجدك ضالاً فهدى، ووجدك عائلاً فأغنى - ٦/٩٣ - ٨ (ص: ٨٨، ١٠٤)
- فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدث - ٩/٩٣ - ١١ (ص: ٤٨)
- كلا سوف يعلمون ثم كلا سوف يعلمون - ٣/١٠٢ - ٤ (ص: ١٢٩)
- إن الإنسان لفي خسر - ٢/١٠٣ (ص: ٧٤)
- فذلك الذي يدُعّ اليتيم - ٢/١٠٧ (ص: ٧١)
- لكم دينكم ولي دين - ٦/١٠٩ (ص: ٨٤)